

الفصل

Mngool.com

غير مخصص للبيع

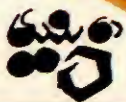
مجلة ثقافية شهرية
AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 117 - 10TH YEAR - NOV./DEC. 1996.

العدد (١١٧) - ربيع الأول ١٤١٧ هـ - السنة العاشرة - تشرين الثاني (نوفمبر) / كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٦ م.



أنقذني يا دكتور..
أنا خلاص
تبت إلى الأبد..





★ أرييل ★

تاريخ الحضارة في



ويتشكل التاريخ بعد هذا إلى الألف ، وبين الألف التاسع قبل الميلاد ، إنشاء واكتشاف الحضارة في (تل الصوان) بالقرب من (سامراء) ، في حدود ١١٠ كيلومترات شمالي بغداد على الضفة الشرقية لنهر دجلة ، وهذا الموقع أعطى نماذج رائعة جداً للنحت في العصور قبل التاريخ . وهذه المنحوتات تنصف قيمها الجمالية الشبيهة لقيم الفن المعاصر أو الفنون المعاصرة . وهذه المنحوتات الصغيرة تمثل في أغلبيتها (الإله الأم) ، مما يدل على وجود معتقدات متقدمة نوعاً ما ، ثم يأتي الألف الخامس قبل الميلاد ، وأبرز مثل على حضارة هذه الحقبة هي مكتشفات (تل حسوينة)

مرة اختراع العجلة ، وعلى هذه الأرض وضع أول تقويم زراعي يساعد الفلاح في معرفة الفصول ، ونوعية الزرع لكل فصل .

في دراستنا للتاريخ ، وخاصة تاريخ بلاد الرافدين في الأحقاب القديمة ، نستطيع أن نلمس مدى عراقية وغنى الحضارة التي كانت موجودة فيها ، الحضارة الأصيلة والعريقة التي يفخر بها كل عربي ، حضارة يعود تاريخها إلى ألف سنة قبل الميلاد ، حيث تم العثور في كهف (شاييندار) على هيكل عظمي لإنسان كامل (إنسان النيندرتال) ، الذي يرجع تاريخه إلى (٤٥٠٠٠ - ٦٠,٠٠٠) سنة ،

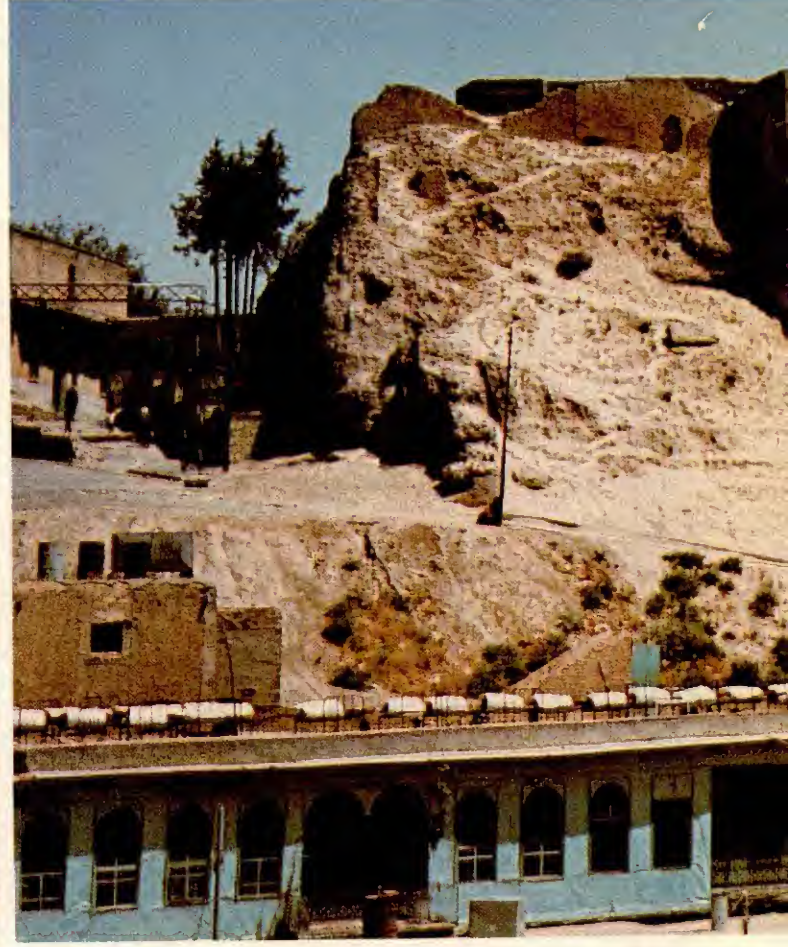
صاحب العراق الإنسانية منذ نشأتها الأولى ، وكانت الأقوام المحيطة به في مناطق جبلية وصحراوية ، تنظر إليه بحسد وطمع لخصوبة أرضه ، وكثرة ثرواته . ومن هنا ازدهر وازدحم تاريخه يشق الأقوام والمدنيات ، تعيد قصتهم أطلال حزينه لمدن حفلت بكل غال ونفيس . ففي هذا البلد عرفت الإنسانية - لأول مرة - الزراعة المستقرة ، واهتدت إلى الكتابة التي أصبحت فيما بعد ، أهم دعامة للحضارة والمدنية ، وأنشئت فيها لأول مرة ، جامعة لنشر العلم ، وعرفت لأول



★ حوائط بابلون ★



★ أسد بابلون ★



استولى (الأكاديون - الساميون) على الحكم في العراق الجنوبي، وأسسوا دولا مشهورة في التاريخ، واتسعت رقعة المناطق التي حكموها من عيلام شرقاً حتى الأناضول شمالاً والجزيرة السورية غرباً وشمال الجزيرة العربية والخليج جنوباً.

وتدل المكتشفات الأثرية في مختلف الأنحاء التي تقع داخل هذه البقعة، على أن الحضارة (الأكادية) قد طورت معارف الإنسان وإمكاناته الإبداعية، بحيث يمكن اعتبار الفترة الأكادية، فترة تطور وتقدم بالنسبة للعهد (السومري القديم).

كان من أبرز ملوك الأكاديين (سرجون الأكادي)، وابنه (نارمسن). إلا أن السومريين استطاعوا العودة من جديد في فترتهم التي نسميها بالعهد السومري الجديد، حيث كان هذا العهد مرحلة ازدهار وتطور بالغين، وتدل الآثار والمكتشفات التي كشفت في تلك

السومرية، وهي أول حضارة متكاملة ومتقدمة عرفها الإنسان، وقد اكتشف آثار هذه الحضارة في بقايا مدن متعددة ما تزال آثارها تنتشر في مختلف أنحاء العراق جنوباً، ومن أهمها: (الوركاء)، و (أريبو)، و (لغش)، و (التيبور)، و (العبيد)، ومن أبرز المكتشفات التي تعطي فكرة عن التقدم الحضاري الكبير الذي بلغته حضارة السومريين هي مكتشفات ما يسمى (بالمقبرة الملكية) في أور - سومر في الحضارة وفي العلم عالم واسع جداً.

الأكاديون .. الساميون

في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد،



غربي مدينة الموصل وبعض طبقات نينوى، والطبقات السفلى في السامراء. وتمثل هذه المكتشفات خصوصاً بالفخاريات الملونة والمنقوشة بأشكال مختلفة بين النباتية والهندسية والإنسانية والحيوانية، ثم يبرز في الألف الرابع قبل الميلاد فن من أهم الفنون التي تميّزت بها حضارة (وادي الرافدين)، وهو فن الأختام المسطحة والأختام الأسطوانية، ويمكن اعتبار هذه الأختام من أهم الوثائق التي تعطينا المعلومات الدقيقة عن الحياة بدءاً من الألف الرابع قبل الميلاد، حتى نهاية العهد البابلي. أما الألف الثالث قبل الميلاد، فقد تميّز بازدهار الحضارة



★ الحدائق المعلقة / بابلون ★

الرافديني ، الأسبقية في الإبداع ، وحين نطلع على الكثير من أصوليات حياتنا الحديثة المعاصرة نرى أصولها وجذورها تعود في الغالب إلى تلك الحضارات الرافدينية وخصوصاً إلى الحضارة البابلية .

الآشورية

أما الحضارة الآشورية ، فإنها قد بلغت مرحلة لم يكن لها مثيل فيما سبقها من المراحل . وإنها بدأت في رقعة محدودة في شمال العراق ، إلا أنها سرعان ما توسعت وبلغت كل ما نسميه اليوم بالشرق الأوسط ، إمبراطورية عظيمة تعتمد على الإبداع والاختراع والتطور في كل ميادين الحياة القديمة والحاضرة . بلغت حدود هذه الإمبراطورية من قوقاسيا حتى الخليج العربي ، ومن ميديسا وغيلام حتى مصر وفلسطين وسورية وبلاد

الموجودة حالياً في متحف اللوفر ، تعطي الدليل القاطع على أن فكرة تسجيل حقوق الإنسان هي من إبداع الفكر الحضاري العراقي ، علماً بأن علماء الآثار قد اكتشفوا قوانين وشرائع أخرى أقدم من شريعة حمورابي ، بحيث تسبقها بعدة قرون مثل (شرائع مملكة إشمونة) .

البابليون

كان الفن البابلي انعكاساً رائعاً للسمو الذي بلغته الحضارة والحياة في بابل ، وكانت مدينة (بابل العاصمة) مركزاً مرموقاً استراتيجياً للعالم المتحضر - وكان التقدم الحضاري قد تغلغل في نواحي الحياة وميادينها - امتدت تأثيراته غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً ، باتساع رقعته ، هذه الإمبراطورية الكبيرة التي انتمى تاريخها بالعديد من الحقائق التي تعطي للإنسان

الفترة عن مدى الروعة والإتقان في الإخراج الشكلي . ومن أشهر الأمثلة على ذلك ، (التماثيل المصنوعة من الغرانيت) ، التي تمثل الملك - الأمير غوديا - حاكم مدينة لغش ، وعدد كبير من هذه التماثيل ما تزال معروضة في (متحف اللوفر في باريس) . وقد تميّز العهد السومري الجديد بالاستفادة من التجربة (الأكادية) ، لأن تلك التجربة اتصفت بنوع من الواقعية والاهتمام بالتفاصيل الطبيعية للحياة . وقد انتهى العهد السومري الجديد حينما استولى البابليون (الساميون أيضاً) على الحكم ، حيث استطاعوا أن يوحدوا مختلف المقاطعات في دولة عظيمة اشتهر من ملوكها (حمورابي) ، هذا الملك الذي اقترن اسمه بالشرائع والقوانين التي نشرها أسساً وركائز اعتمدت عليها مملكته لإقامة العدل وحفظ حقوق الإنسان ، ولعل (مسلة حمورابي)



★ بوابة إشتار / بابلون ★

المتميّزة بصفاتها العربية حوالي أربعة قرون من الزمن ، في العطاء الحضاري والثقافي والعسكري ، ولقد اكتشفت في أنقاض مدينة الحضر ، التي عرفت مجدداً عسكرياً عظيماً ، تمثل بعجز الجيش الروماني الذي حاصرها بقيادة الإمبراطور كراجان من بلسوغ أسوارها ، وكذلك تميّزت بتفوقها العسكري من حيث التقنية ، حيث إننا نعلم حتى اليوم أن (المنجنيق) هو إبداع عسكري حضري ومن مدينة حضر بالذات .

مدينة نينوى

مدينة نينوى من أهم المراكز الحضارية في العالم ، ولها مكانة بارزة في مضمار الحضارة الإنسانية وتقدمها باعتبارها من أعظم العواصم التي تطورت فيها المعارف والفنون ، فقد اتخذها الآشوريون مركزاً للحكم ، وكانت منزلتها من

المعلقة التي اعتبرت من إحدى عجائب العالم السبع) ، وكانت نهاية بابل على يد الإسكندر الكبير الذي عرفت حملته الكبيرة في الشرق ، والذي توفي ودفن بالقرب من مدينة بابل .

حضارات أخرى

في القرن الثاني قبل الميلاد ، نشأت مملكة عربية في مدينة الحضر ، الواقعة على بعد ٧٠ كيلومتراً غرب مدينة الموصل في البادية التي تقترب اليوم من الحدود السورية – العراقية ، وقد أسس هذه المملكة (كاهن) كان اسمه نصر) ، وكان ذلك على أنقاض موقع آشوري قديم يقع على ملتقى الطرق التجارية القديمة بين الشرق والغرب ، وأعقب النصر ملك النصر القديم المعروف بملك (سمطروف الأول) ، استمرت هذه المملكة العربية ذات الحضارة

الأناضول . وكان الفن الآشوري أمثلة حية للعظمة التي بلغت الإمبراطورية الآشورية ، وكان أيضاً مرحلة تقدم وتطور بالنسبة للصياغة والتقنية الفنية ، وكان يشمل ذلك كل أنواع الفنون من نحت ورسم وصياغة مجوهرات . بالإضافة إلى الصناعات العسكرية ، حيث إن التقدم والتنظيم العسكري في الإمبراطورية الآشورية ، كان من أهم ما وصلت إليه العبقريات الإنسانية في ذلك العصر .

البابلية من جديد

بعد حلول الضعف في الحضارة الآشورية ازدهرت الحضارة البابلية من جديد في نشرتها الثانية ، وتذكر أحد ملوك بابل الذي ترك بصائته على تاريخ وادي الرافدين هو (الملك نبوخذ نصر) ، ولعله اشتهر عند الغرب كثيراً بسبب ما يعتقد من أنه بنى (لامراته الجنائن



★ مشننة حلزونية سامراء ★

مدينة نينوى في الإسلام عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، استناداً إلى رواية ابن هشام، في السيرة النبوية الشريفة (عندما هاجر النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف ولقي من أهلها الكثير من الأذى... جاءه غلام نصراني يقال له «عداس» يحمل طبقاً من العنب، فأقبل الغلام ووضع الطبق بين يدي الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وسأل الغلام: من أهل أي بلاد أنت يا عداس وما دينك؟ فأجاب: نصراني وأنا من أهل نينوى، فقال النبي: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى. فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال النبي: ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي، فأكب عداس على النبي وأسلم بين يديه)، ويذكر المسعودي أن عداس صاحب النبي حتى قتل في معركة بدر.

ويقوم اليوم فوق تل النبي يونس مسجد هذا النبي، ويعد من أهم الأماكن المقدسة في محافظة نينوى.

ويذكر أن مسجد النبي يونس، كان في بادئ الأمر معبداً آشورياً، ثم اتخذ موضعاً لعبادة النار، ثم ديراً أو كنيسة مسيحية، وأخيراً اتخذ جامعاً إسلامياً.

الآشوريين وبعض المعابد والأبنية العامة.

ويعرف هذا التل باسم النبي يونس، وذلك نسبة إلى النبي يونس (يونس بن متى) صاحب الحوت الذي ورد ذكره في القرآن الكريم (سورة يونس - الأنعام)، وكذلك في التوراة، ويذكر أن هذا النبي عاش في مدينة نينوى وبشر فيها. وقد ذكر المؤرخون العرب (أمثال المسعودي - وابن الأثير -

وياقوت - وابن حوقل) الكثير عن مدينة نينوى، وتل النبي يونس الذي كان يعرف أيضاً بتل التوبة، وتسمية التوبة جاءت في حادثة البلاء الذي أحلّ بأهل نينوى «كان يونس من أهل مدينة نينوى، وكان قومه يعبدون الأصنام، فبعثه الله إليهم فدعاهم إلى الله فكذبوه، فخوفهم بعذاب الله في وقت معين وفارقهم. فلما دنا ذلك الوقت وشاهدوا آثار عذاب الله لهم خرجوا بالنساء والأطفال إلى هذا التل الموجود شرقي دجلة، واجتمعوا مع بعضهم البعض وسألوا الله العفو عنهم ثم تابوا وآمنوا، فكشف الله عنهم العذاب».

والتل باقٍ إلى الآن، ويسمى بتل التوبة، وعليه مشهد مقصود.

ومن المناسب هنا، ذكر أقدم خبر عن

حيث الأهمية بعد آشور العاصمة الدينية الأولى لهم.

وتنتشر أطلال نينوى في الضفة الشرقية من نهر دجلة قبالة مدينة الموصل في شمال العراق، فلإلى الجنوب منها، تقع مدينة آشور، أما إلى الشمال منها، فتقع مدينة خرسباد، وإلى الشرق منها، تقع مدينة أربيل (مدينة الآلهة الأربعة).

ولمدينة نينوى أهمية استراتيجية عالمية لكونها تتوسط مراكز الحضارات القديمة في بلاد الأناضول وأرمينيا، والمراكز الحضارية في سواحل البحر الأبيض المتوسط، وإن تسمية نينوى، تعني اسم مدينة كانت تابعة إلى ملكة كلش في بلاد سومر. فعرفت نينوى بهذا الاسم، لأن تلك المدينة كانت موضعاً لعبادة الآلهة نينا، وكانت هذه الآلهة مشهورة عند البابليين في جنوب العراق، كما كان لها معبد في مدينة الوركاء - أوروك، وفي غيرها من المدن العراقية، إلا أنها أصبحت فيما بعد عند الآشوريين الآلهة عشتار التي كان لها مركز كبير ومرموق بين الآلهة الآشورية، فهناك عشتار أربيل، وعشتار نينوى.

معالم نينوى

يعتبر ما تبقى من أطلال هذه المدينة من الآثار المتمثلة بشكل تلال وأسوار، فشكل المدينة بسورها العظيم الممتد طويلاً من الشمال إلى الجنوب، ومن أبرز معالمها التلان الهائلان الأول هو (تل قوينجق)، والثاني (تل النبي يونس)، ويضم تل قوينجق القصور الملكية والمعابد والمرافق الإدارية، ويعد المركز الرئيسي للعاصمة الآشورية نينوى، ولدى فحص طبقات هذا التل، نجد فيها تعدد مراحل زمنية مختلفة متعاقبة فوق بعضها البعض، وأقدمها التي تعود لعصر حسونة حوالي ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وننتهي بأعلى الطبقات وهو العصر الإسلامي. أما تل النبي يونس، يقع هذا التل في القسم الجنوبي من مدينة نينوى، يضم تل النبي يونس قصر أسرحدون، وقلاعاً للعديد من الملوك

مهمين في تل قوينجق بينسوى : الأول قصر سنحاريب ، وهو يحتل قسماً من الجنوب الغربي من التل ، والقصر الثاني مكان يحتل قسماً من الشمال الشرقي لهذا التل ، وينسب إلى الملك آشور بانيبال ، والمعروف أن هذا الملك قد سكن عند أول توليه الحكم في قصر الملك سنحاريب ، واتخذ من بعض مرافقه وقاعاته مخازن وقاعات مطالعة كمكتبته الشهيرة ، فقد كشف في القصر الجنوبي الغربي عن آلاف الرقم الطينية ، وتوصل إلى اكتشافها علماء آثار بريطانيون ، وقد نقلت جميعاً إلى المتحف البريطاني . كما عثر في قصر آشور بانيبال على الألواح المنحوتة بالنحت البارز ، التي تزين اليوم قاعات واسعة من المتحف البريطاني ، وهي تحتوي على مواضيع شتى منها حربية ، ومنها احتفالات دينية . ومن أشهر ما فيها موضوع صيد الأسود ، وهي تمثل أهم الألواح في تاريخ تطور الفن الآشوري .

أما مكتبة آشور بانيبال ، فهي من أجمل النفايس التي اكتشفها الحفائر الأثرية في مدينة نينوى للفترة ما بين ١٨٤٢ - ١٩٣٣ م ، وهي تمثل مجامع من ألواح الطين التي دونت عليها بالخط المساري مختلف فنون المعرفة ، وهي تبحث في مجالات شتى بمجموعها تكون خزانة للوثائق المدونة ، وأنها تعد من أعظم الخزائن في العالم القديم لشمولها وتعدد أبحاثها . ولما كان العراق هو الموطن الأول للتدوين ، لذا فإن أغلب الملوك والحكام دونوا أعمالهم وسجل حكمهم في مسجلات اعتبرت مصادر لتاريخ العراق القديم .

إن الملك سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) ، يعتبر من أقدم الملوك الآشوريين الذين عملوا في تكوين خزانة للكتب ، فقد عثر على ألواح دونت في عهده وعليها ختم خزانته . إلا أن تلك الخزانة لم تزدهر وتأخذ مكانتها المرموقة إلا في عهد الملك آشور بانيبال (٦٦٩ - ٦٢٤ ق.م) ، وفي عهده ازدهرت المعارف والثقافات الإنسانية ، فقد كرس جهوده



★ من آثار زبيدة القديمة ★

المستعملة في الليل بأشكال بديعة وبألوان جميلة لا تضاهى .

واستخدم سنحاريب المعادن لصب أشكال من الحيوانات الحارسة ، التي توضع عادة في مداخل الأبنية مثل : الثيران والأسود المجنحة ، وقد استخدم سنحاريب في أعمال البناء أعداداً غفيرة من أسرى الحرب من الكلدانيين والآراميين واليهود (وكان فيهم الملوك والأمراء والحكام والأسرى) . فن الدراسات الأركيولوجية في نينوى ، تشير بأن هذه الدراسات أظهرت قاعة العرش ، وتعد هذه القاعة من أهم المرافق الموجودة في هذا القصر ، وهي مستطيلة الشكل يبلغ طولها ٥١ متراً ، وعرضها ١١,٥ متراً . ويوجد في الضلع الشرقية منها مدخلان يؤديان إليها من الساحة الكبيرة ، وقد ازداد جانباً كل مدخل بشورين مجنحين ، وجدران هذه القاعة مزودة بالوواح من المنحوتات الحجرية التي عليها رسوم لمشاهد كثيرة من الحياة الآشورية ، كما توجد عليها نصوص من الكتابات المسارية تعود للملك سنحاريب ولفترة حكمه في المنطقة .

قصر آشور

كشفت التنقيبات الأثرية عن قصرين

قصر سنحاريب

لعل من أبرز الأبنية في نينوى ، القصر الذي شيده الملك سنحاريب ، الذي سماه بالقصر الذي لا مثيل له باسمه . فقد أظهرت التنقيبات صحة هذا الرأي لما لأبنيته وزخارفه ومرافقه من سعة وأبهة وفخامة .

يقع قصر سنحاريب في القسم الجنوبي من تل قوينجق ويحتل جزءاً كبيراً من التل ذاته ، وهو بقية القصور والأبنية الملكية والآشورية ، شيّد بجدران سميكة من اللبن ومغلقة بالمرمر وأحجار الحلان المنحوتة بالمواضيع المختلفة . غلفت الجدران على ارتفاع ثلاثة أمتار بالمنحوتات الملونة ، وفوقها رسوم جدارية ملونة أيضاً ، ومواضيعها مكمل لمواضيع المنحوتات . وأغلب جدرانه وأرضياته مغطاة بأنفس المعادن والأحجار والأخشاب . فقد استعمل سنحاريب في تزيينه من المعادن الذهب والفضة والنحاس ، ومن الحجر حجر الحلان الأحمر والأبيض وبألوان متعددة ، والرخام بأنواعه ، كما استعمل العاج ومن الأخشاب الاسفندان ، والتوت ، والأرز ، والصنوبر ، والزيتون ، والبلوط ، وكانت الجدران عليها حلة بالألوان البراقة تعكس ضوء الشمس في النهار والأضوية



★ قوس السيفون ★



★ مئذنة ★

في الدراسات الثقافية والدينية والعلمية ، حيث كان محباً للعلم وذوياً للأدب على خلاف غيره من الملوك ، الذين اشتغلوا بالنواحي العسكرية والفتوحات الخارجية ، وتشديد الأبنية الفخمة لتوطيد سلطانهم وتعزيز هيبتهم ، فكان آشور بانيبال عالماً وباحثاً ، وتدلنا إحدى كتاباته التي دونت على أسطوانة فخارية على ذلك حيث جاء فيها : « أنا آشور بانيبال قد خزنت في عصري حكمة آشور ، واستوعبت مما في الألواح المدونة كل ما فيها من خفايا ومشاكل ... » . وكانت الألواح المدونة قبل إيداعها في خزائنه ، تقرأ أمامه ليوافق عليها ، وقد بعث بنسائه وخطاطيه إلى مظان العلم والأدب المختلفة في زمنه مثل : الوركاء وبابل ويورسيبا وألد وآشور فاستسخوا له كل التأليف المهمة ، وحفظت في خزائنه الشهيرة ، وقد اشتملت على جميع ما توصل إليه الإنسان من (فنون) العلم والأدب والدين والطقوس والسحر والأساطير والقصص : كقصة الخليقة ، وقصة الطوفان .

ومكتبة آشور بانيبال ، كانت تحوي على ما يربو على ٣٠ ألف رقيم طيني ، نقلت جميعها إلى المتحف البريطاني ، عندما قام ليف من الأجانب بأعمال الحفر والنش في هذا الموقع الأثري وسرقوا تلك الكنوز العلمية النفيسة التي تفخر بها الإنسانية . ومن أهم وأبرز تلك الكتابات أجزاء من ملحمة كلكيش ، وقصة الطوفان ، وكانت على ألواح هذه المكتبة العظيمة تواقيع النساخ وختم المكتبة وأسماء أصحابها ، بالإضافة إلى وجود فهرس لها . لقد درست أغلب الرقيم الطينية من قبل المختصين بالدراسات المسارية ، ووضعت أبحاث عديدة مخطوطاتها ومجلداتها ، وهي بحق تمثل جانباً من التراث الحضاري لبلاد ما بين النهرين ، وتحكي لنا قصة المدنية الناضجة ، وما توصل إليه

الفكر العربي في العراق من تقدم في مختلف مجالات الحياة .

التنقيب في نينوى

وفد إلى العراق عدد من الرحالة الأوروبيين في القرن السابع عشر الميلادي ، ضمن جولات استطلاعية قاموا بها في موطن الحضارات القديمة في الشرق . فزاروا المعالم الأثرية في أرجاء وادي الرافدين وكتبوا الكثير في وصف مشاهداتهم ،

وكان لينيوي النقيب الأوفى في تلك الكتابات . إن مدينة كنينوى «زاهرة بفخامة أطلالها التي استهوت الكثير من الرحالة ، وقد زارها عدد من هؤلاء نذكر منهم بنيامين التطيلي (١١٦٠ - ١١٧٣ م) ، ودلافيديا (١٦١٦ - ١٦٢٥ م) ، غير أن بداية التنقيبات التي جرت في هذه المدينة كانت على شكل أعمال سير ، قام بها المستشرق الإنكليزي (كلوديس جيمس ريج سنة ١٨٢٠ م) ، وعثر في تل قوينجق على

تلك الحفائر هو العثور على الرقم الطينية المكتوبة بالخط المساري الآشوري ومواضيعها الأسطورية (كملمحة كلكيش)، و (قصة الطوفان). غير أن أولى التنقيبات العلمية بدأت في نينوى سنة ١٩٢٧ م، حين أوفد المتحف البريطاني هيئة التنقيب برئاسة الأستاذ (كاميل تومسن)، وكان الهدف منها تكملة البحث عن الرقم الطينية ذات المحتوى الأدبي. وكذلك التنقيب في معبد (عشتار)، و (نسابو) الواقعين في المنطقة الوسطى من تل قوينجق. وقد عثرت البعثة على نوع من الفخار يعرف بفخار نينوى الطبقة الخامسة، حيث يعود تاريخها إلى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد.

غير أن التنقيبات الأثرية في نينوى، قد أجريت بنطاق واسع من قبل مديرية الآثار العامة في سنة ١٩٦٥ م، فكانت الضرورة تحم القيام بذلك، وذلك لامتداد خطر العمران والسكنى في أراضيها الأثرية. والسبب الثاني هو المباشرة بالحفر من أجل تحقيق غرض علمي، حيث إن كثيراً من معالم هذه المدينة العريقة بمبانيها وآثارها لم تكن قد كشفت بعد، مما يستدعي تسليط أضواء جديدة على ما تبطنه من تراث حضاري إسلامي وعربي، نظراً لمكانتها الرفيعة بين مدن العالم القديمة، فباشرت مديرية آثار العراق بقيادة الدكتور (طارق مظلوم) بالتنقيب في بوابة الشمس، وقصر سنحاريب، وبوابة أور. وهذه الأعمال مستمرة كما أن جهات أخرى ساندت مديرية الآثار العامة في تنفيذ دراساتها للحفاظ على المعالم الأثرية لهذه المدينة الهامة والعريقة في التاريخ.



★ أوقيدر ★



★ معبد أجراجوف ★

من (٤٠) ألف رقم. لقد حاول أيضاً بالحفر في تل النبي يونس، لكن أهالي المنطقة أوقفوه عند حده، وذلك لما يتمتع به تل النبي يونس من حرمة وقديسة.

وكان هدف هؤلاء الأثريين هو الحصول على المنحوتة بالنحت البارز والمجسمة لعرضها في متاحفهم التي كانت خالية في ذلك الوقت، وهذه الألواح موزعة الآن بين متاحف العالم، ومن أهمها المتحف البريطاني. وكان الغرض من

صف من المنحوتات الآشورية البارزة، وكتب عنها في كتابه «Residesert Kurdistan»، فهياً لغيره من طلاب الآثار فكرة الحفر في هذا الموقع، وتبعه بعد ذلك هنري لايارد سنة ١٩٥١ م.

وفي نينوى كشف عن قصر سنحاريب وآثاره العظيمة، وقد نقل كثيراً من الرقم الطينية التي تعود إلى مكتبة آشور بانيبال الشهيرة إلى المتحف البريطاني التي تتراوح أكثر

المراجع

(١) المعلومات مستقاة من خلال لقاء شخصي مع مدير الآثار والفنون العراقي السيد جميل حمودي، المقسم حالياً في باريس. وأضفت عليها بعض المعلومات من: IRAK - Le Pays Du nouveau Fleuve "Par Pierre Rossi".



حياة الماساي .. مهرجان

من عادات الشعوب

يعد مفتاح السر وراء هذا
التناقض في طبيعة مجموعة
المناهج التي استخدمها
الباحثون والرحالة

عن العالم الخلفي الحقيقي
الذي نبعت منه أسرار
الماساي جميعها .
وربما كان بوسعنا أن

التجمعات شهرة وتعرضاً
لأضواء البحث ، والكشف
ومحاولات اكتناه الأسرار .
مع ذلك ، فما أقل ما نعرف

من بين التجمعات
البشرية العديدة في
إفريقيا ، ربما كانت قبائل
الماساي أكثر هذه



بقلم: كامل يوسف حسين

تصب في بحر الرصد
الظاهري، الذي يستشرف
بجمل الظواهر بحسبانها
كذلك، فهو يتناولها وصفاً

للعدد (١١٧) ص ١٣



دائماً

الأوروبيون، في غمار
محاولتهم للإطلال على حياة
المناسي، ذلك لأن هذه
المناهج، في غالبيتها،

www.ahlaltareekh.com

ورصدًا وحصرًا وإحصاءً ،
لكنه حينما يأتي الدور على
الجوهر الأكثر أهمية ، وهو
التحليل والتفسير
والتبرير ، تمهيداً للفهم
الكلي ، يكون قد أهدر
طاقته الحقيقية .

ولم تكن حالة قبائل الماساي
استثناء من هذه القاعدة ، لكن
ذلك لا يحجب الثراء الهائل
لنسيج حياة الماساي وعالمهم
الخلوّ ، المترع بالأساطير
والأقاصيص والخفايا .

مقاتلون من أجل الحياة

تحيا قبائل الماساي على

هضبة مرتفعة ، تحترقها الحدود
الفاصلة بين كينيا وتنزانيا ،
دون أن تغلح هذه الحدود في أن
تفرض ذاتها على حياة أبناء هذه
القبائل .

وقد يبدو لنا مدى اتساع
نطاق شهرة الماساي إذا ما تذكرنا
أن عدد أبناء قبائلها ، على
الجانب الكيني من الهضبة ، لا
يتجاوز مائتي ألف نسمة على
أقصى تقدير .

ولكننا ، في الوقت نفسه ،
نستطيع أن نطل على أحد أسباب
تلك الشهرة ، إذا ما تذكرنا أنه
حتى وقت قريب كانت هذه
القبائل تضم بين أبنائها أعداداً

هائلة من المحاربين ، تعكس
اختلالاً بالغ الوضوح ، بين
العناصر المقاتلة والعدد الإجمالي
لأبناء القبائل .

ولا يستمد هذا الاختلال
ذاتية من نزوع عدواني لدى
الماساي ، أو استعداد طبيعي
لاستيعاب وتلقي المهارات
العسكرية ، وإنما هو ، على
العكس من ذلك ، يضرب
جذوره في رغبة مستميتة في
الدفاع عن الحياة الإنسانية ، بما
هي كذلك ، في مواجهة دفع
هائل من الاضطراب يبدأ من
الطبيعة ومكوناتها ، ولا ينتهي
عند الصراعات التقليدية بين
القبائل الإفريقية .

وعلاقة الماساي بالطبيعة
أكثر تعقيداً ، مما تبدو لنا ،
للهولة الأولى ، فهم لا يسكنون
الغابات ، وبالتالي لا يملكون
رفاهية جعل الالتقاط طريقة
إنتاج ، ومن ثم أسلوب حياة ،
وإنما هم يسكنون هضبة تغطيها
الحشائش الكثيفة ، الأمر الذي
فرض عليهم أن يكونوا رعاة ،
تتسم حياتهم بالخشونة البدوية ،
التي تكفل حماية قطعان الماعز
والأغنام والأبقار ، التي يرعونها ،
من بطش الحيوانات المفترسة من
ناحية ، ومن محاولات القبائل
الأخرى الإغارة عليها ، تحقيقاً
واكتساباً للمغانم ، من ناحية
ثانية .



★ مربيان للماشية والعميل والقبائل الماساي في تنزانيا

وليس معروفاً على وجه
الدقة من أين يستمد الماساي
اسمهم ، ومع ذلك ، فالبعض
يرجح أن هذا الاسم مستمد
من لغة « الما » Maa التي
يتحدثونها . وفي هذه اللغة ، فإن
التحية الأكثر رقة هي : « بارك
الله لك في قطعانك » ، الأمر
الذي يعكس مدى أهمية هذه
القطعان في حياة الماساي .

وتقاس ثروة الرجل من أبناء
قبائل الماساي الإفريقية بعدد
رؤوس الماعز أو الأغنام ، أو
الأبقار التي يمتلكها ، وكلما كثر ما
يملكه ، ارتفعت مكانة عائلته في
سل التقدير الاجتماعي للقبيلة .



★ تصد دعاء الماشية ★



★ الطائر الأحمر رمز الحرب ★



★ الفتيات الصغيرات حول المادة ★



★ الطلاء بالأبيض رمز السلام ★

الخفي يحدد المهام لكل فرد من أفراد الأسرة، على وجه التقريب، فالقطعان وخومها هي من شأن الرجال، بصورة مطلقة، وقد يطيب خم أن يرسلوا بعض اللحم لزوجاتهم، لكنهم لا يقتسمون وجبة لحم واحدة مع نسايتهم قط، وإنما

لكل فرد مهمته

ومن شأن هذه الحياة الرعوية الخشنة، أن تفرض منطقها الخاص، حيث تقضي حداً أدنى من اقتسام المهام بين الرجال والنساء، بل حتى الأطفال، فهناك نوع من القانون

وأدوات الخفر، وفي قرون الحيوانات يحفظ الماش، وهو شراب يتألف من الماء والعسل، سترى مدى أهميته لاحقاً، والروث بالطبع يستخدم في بناء الخطائر وأسقف البيوت، حيث يخلط بالأغصان لبناء أسطح وجدران متسكة.

ذلك أن هذه السرووس تتخلل، كالنغمة الدالة، لسيح حياة الماساي، فهي تستخدم في الاحتفالات والمهرجانات المتتابعة على مدار العام، التي تشكل أحداثاً اجتماعية بالغة الأهمية. وتستغل أيضاً كوسيط نقدي في عمليات البيع، والشراء، والمقايضة، ودفع السدية، والغرامة، كما أنها في المقام الأول، بالطبع، تقدم الغذاء اليومي لأبناء الماساي، الذين يعيشون أساساً على اللبن والدم (وهو يخلطون دم الحيوانات باللبن سواء أكان مزارعاً أم رائيماً)، واللحم والدهن. ولا تقتصر فائدة الحيوانات على ذلك، فجلودها تدبر لصنع الخشاي والنعال وأغطية الرأس وعظامها تحبف لصنع الملاعق



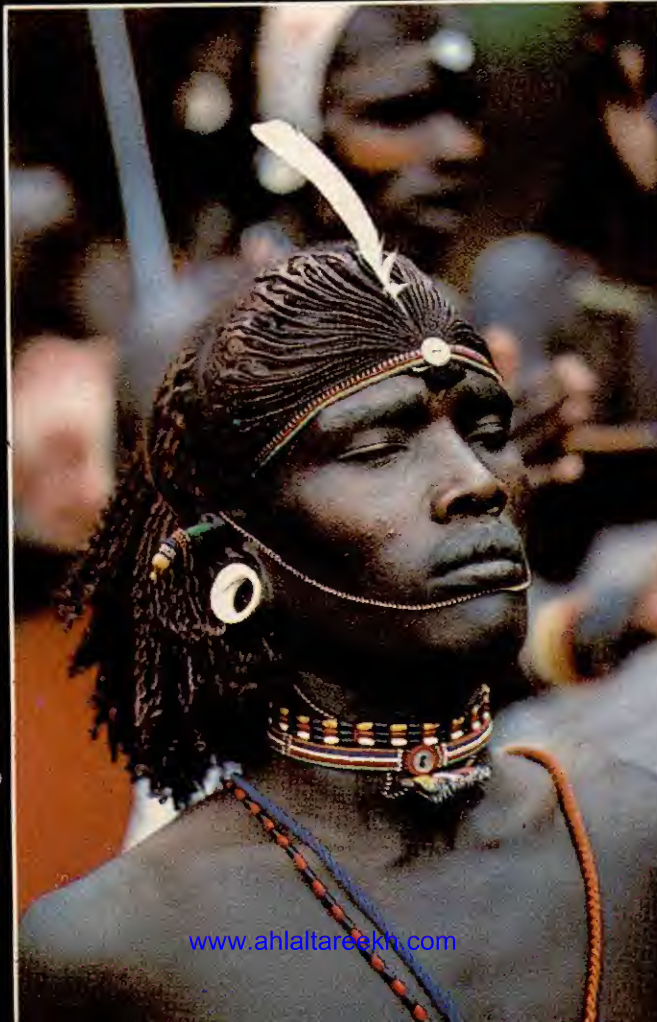
★ محاربو قبائل الماساي ★

والمهرجانات ، أما متعتين الحقيقية فلعلها تكمن في إبداع الخلي من قطع الزجاج الصغيرة الملونة ، التي تنظم في عقود بديعة الجبال .

وفيما يساهم الصبية الصغار في الرعي ، فإن الرجل هو الذي تقع على كاهله حصرًا مهمة زيادة عدد رؤوس القطيع وحمايته من الأسود والفهود والضباع وغيرها من الحيوانات البرية ، وحمل السلاح في مواجهة العدو هو ، بالطبع ، مهمة الرجل ، التي تكتسب عند الماساي قدسية خاصة .

البرية مهد الرجولة

لا تزال عادات الماساي وتقاليدهم وأعرافهم ، تواصل



يمكن اقتسامها مع الفتيات الصغيرات وحدهن .

وسالمقابل ، فإن الزوجات هن الملكات المتوجات على عالم الألبان ومنتجاتها ، فهن وحدهن من حقن حلبها وتوزيعها ، كيفما يخلو هن . وإذا كان العرف يحظر عليهن مزج اللبن باللحم ، فإن بمقدورهن أن يحصلن ، باستخدام سهم مدب تخرج به رقبات الحيوانات ، على مقادير من دماء الحيوانات ، توضع على الفؤاد في قرب وزقاق خاصة ، وتمزج باللبن في شتى صوره واللوانه . وعلى النساء كذلك يقع عبء رعاية الصغار والحيوانات ، بعد عودتها من المرعى ، وبناء البيوت ، وبيع الجلود ، وصنع الملابس المستخدمة في الاحتفالات

الحياة والازدهار بين ظهرانيهم حتى اليوم. ولعل أقواها ما يحكم اندراج حياة الرجل في معراج النمو والتطور، فعبر سلاسل متتابعة من المهرجانات والاحتفالات يتم تمرير الصبية، ليصبحوا من صغار المحاربين، ثم من كبارهم، وأخيراً من كبارهم. وإذا شئنا اختيار تقسيم أقل تعقيداً، لقلنا إن حياة أي وليد لقبائل الماساي لا بد لها أن تمر بثلاث مراحل متوالية، فهو طفل أولاً، ثم محارب ثانياً (ويسمون المحارب «موران» في لغتهم)، ثم شيخ ثالثاً.

وفي الطفولة، يرعى الصغير الحملان الصغيرة، وتندرج مهامه إلى أن يناط به حماية قطع أسرته بكممه. ووحيداً في البرية يتعلم كيف يواجه الخطر، وفي معرض بدء الشجاعة يتدفق الفتيبة ضد الشفقة، حتى ليقدمون على حرق أيديهم وسيقانهم بخمر، ليبرهنوا على قدرتهم على التحمل. وفي وقت لاحق ترقش بطنهم بالنوم، وتخترق آذانهم بعضى محترقة، ثم تقطع سكين. وتحمل شحمت الأذان بحى ثقيلة.

بين العام الثاني عشر والرابع عشر من عمر فتي مسي، عيه أن يخوض تجربة لتطهير الروحي ولطهرة جسدية، فهذا ما قدر له أن يجتاز الأمر دون بدء أدل مؤشر لشعوره بالألم، نهأت عيه الهدايا من الأبقار وسعير والأغنام.

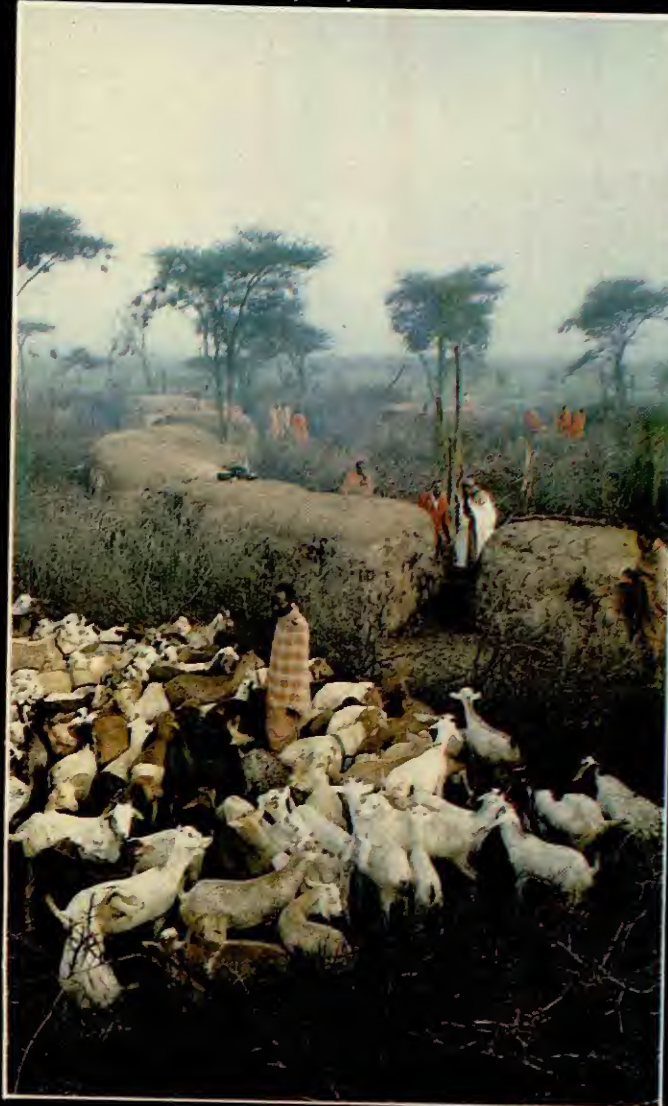
لكن تلك ليست إلا بداية الطريق الوعر إلى عالم الرجولة.

بعد ذلك بعدة أشهر قلائل، سيتعين على فتي الماساي أن يعيش مع رفاقه، ممن هم في مثل سنه، أحلى أيام عمره وأشقها في الوقت نفسه، حيث يحدد شيوخ القبيلة وحكامؤها يوماً بعينه، تخلق فيه رؤوس الفتيبة، ممن يجتازون هذه المرحلة، ويعطى كل منهم حرية «الموران» وسكينة، وعلى مجموعة الشبان تلك أن تمضي إلى السرية، ليرهن على جداتها واستحقاقها هذا الشرف، فهي تقم لنفسها قرية مؤقتة، بعيداً عن القرى

الأصلية، وقد يصحب الشباب أخواتهم الصغيرات وأمهاتهم، ومع الجميع ما يكفي من الماشية. ويوسع المحارب الجديد، في هذه الفترة، أن يبرهن على قدرته ومهارته، بصيد الأسود، أو بالهجوم على معسكرات القبائل المعادية، كما يوسع أن يقضي الساعات في تجاذب أطراف الحديث مع رفاقه، الذين سندوم صداقته لهم حتى آخر يوم له على الأرض.

وفي ختام هذه المرحلة، يتم التخلي عن المزيج الأحمر المكوّن

★ القطعان في حظائرها ★



من أكسيد الحديد الذي المائي الطبيعي، ودهن الماشية الذي تدهن به الرؤوس، ويرمز للحرب، حيث يمضي الشباب إلى مناطق المهاجر، فيطلقون أجسادهم باللون الأبيض، رمز السلام عندهم؛ بالزخارف التي تحملوهم، ويغادرون قريتهم المؤقتة في البرية، ليقموا وئجة الختام، ثم يصار إلى ذروة الاحتفالات، مع قيام الأمهات بحلق رؤوس الشباب، وببارك الآباء الأبناء، برش مزيج الماء والعسل واللبن عليهم. لتبدأ دورة جديدة في حياة لا تتوقف عن التدفق الهادر نحو الإنعاش، إذ يصبح من حق المحاربين الجدد الزواج، وتكوين أسرهم الخاصة والمشاركة في الشؤون العامة للقبيلة.

وفيما يظل العالم يتساءل حول أسرار الماساي، تتقدم أجيال جديدة لتتشق حرية «الموران» وخنجره، لتضعهما في خدمة الحياة - لا الموت - هناك على تلك الهضبة الساحرة، الملتفة بالغموض، إلى الشرق من بحيرة فيكتوريا.

المراجع والمصادر

- ١ - Anne Arthus - Bertrand - Guerriers et Pasteurs. Les Masais - Paris - 1985
- ٢ - Michael Tomkinson - Kenya - London - 1981
- ٣ - Ministry of Tourism and Wildlife - Kenya - or People and Their Culture - Nairobi - W.D.
- ٤ - جولة تفريق من بحري جريدة النيون، لدولة في كيب.

مِنْ بَيْتِ
الشَّعْرِ السَّكُونِ

سَمَرَاءُ

شعر: الأمير عبد الله الفيصل

أَسْعَدْتِهِ زَمَنًا وَرَوَى
وَصَلُّكَ الشَّافِي غَلِيلَهُ
مَا بَالُ قَلْبِكَ ضَلَّ عَن
هَ فَمَا أَهْتَدَى يَوْمًا سَبِيلَهُ
وَسَبِيلُكَ الذِّكْرَى إِذَا
مَا دَاعَبَتْكَ رُؤَى جَمِيلَهُ
فِي لَيْلَةٍ نَسَجَ الْغَرَا
مُ طُيُوفَهَا بِيَدِ نَحِيلَهُ
وَأَطْبَالَ فِيهَا سُهْدَ كُلِّ
مَتَّيْمٍ يَشْكُو خَلِيلَهُ
سَمَرَاءُ يَا أَمَلَ الْفُؤَا
دِ وَحُلْمَهُ مُنْذُ الطُّفُولَةِ

سَمَرَاءُ يَا حُلْمَ الطُّفُولَةِ
يَا مُنْيَةَ النَّفْسِ الْعَلِيلَةِ
كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى «حِمَا
كَ» وَلَيْسَ لِي فِي الْأَمْرِ حِيلُهُ
إِنْ كَانَ فِي ذُلِّي رِضَا
كَ فَهَذِهِ رُوحِي ذَلِيلُهُ
وَوَسِيلَتِي قَلْبُ بِهِ
مَثْوَاكَ إِنْ عَزَّتْ وَسِيلُهُ
فَلْتَرْحَمِي خَفَقَانُهُ
لَكَ وَاسْمَعِي فِيهِ عَوِيلَهُ
قَلْبُ رَعَاكَ وَمَا أَرْتَضَى
فِي حُبِّهِ أَبَدًا بَدِيلَهُ

عن ديوانه «وحى الحرمان»

جحظة .. في كتاب

تحدثت في هذه المجلة ، في ثلاث مقالات متتابعة عن (جحظة البرمكي) : أحمد بن جعفر ، فترجت له في أولها ، وعن شيء من أخباره في ثانيها ، ثم قدمت صوراً من شعره في الثالثة .. وظننت بذلك أنني قد أعطيت قارئاً فكرة ماعن هذا الرجل الشاعر الفنان .

ثم عذت لي خاطرة بيني وبين نفسي ، وقد رجعت إلى عدد من المصادر لأبأس به ، أن أوسع النظر في الموضوع ، وأن أبويه ، وأن أجعل منه رسالة صغيرة مفردة ، كبعض ما أخرجت من كتيبات ، لتكون بين أيدي القراء في أي وقت يشاؤون .. ولكني تريت لأستوثق أن المكتبة العربية الحديثة خلو من أي مؤلف ، طرق هذا الموضوع .. واتجهت بالنظر إلى العراق خاصة .. ذلك أن أدباء العراق معنيون بالتراث عناية كبيرة .. وفيهم ممن دأب على استخراج أشعار الشعراء القدماء من بطون الكتب ، وجمعها في دواوين ، مع مقدمات ودراسات تتسم غالباً بالجودة ، وحسن الاستيعاب ..

ولي في الأمر تجارب .. فقد همت منذ عهد أن أجمع شعر العرجي ، خليفة عمر بن أبي ربيعة على شعر الغزل في الحجاز ، فوجدت أديباً عراقياً قد سبقني إلى ذلك ، فجمدت له أن وفّر عليّ الجهد . وكذلك الأمر كان في شعر كل من الصحابين : كعب بن مالك ، وزيد الخير .. وإن كنت قد كتبت عنهما كتابين أو كتيبين خرجا للناس .. ولكنني وفّرت الجهد في جمع أشعارهما ، فقد صنعها أديبان عراقيان أيضاً ، جزأهما الله خيراً .. فلما كان أمر جحظة .. كتبت للمصديق الكريم ، الأديب الجليل الدكتور (علي جواد الطاهر) ، فكان جوابه : ما ترى لا ماتسمع ، فقد أرسل إليّ مشكوراً كتاباً يقع في أكثر من أربعمائة صفحة من تأليف الدكتور (مزهري السوداني) من كلية التربية بجامعة البصرة .. وأفضل فبعث معه مقالا كان نشره في مجلة (المورد) المجلد الثالث ، العدد الثاني ، عام ١٩٧٤ م ، عن (نشر الشعر وتحقيقه في العراق) .. حيث أكد لي هذا المقال جهد الإخوة أدباء العراق في هذا المجال ، وهو جهد كبير ..

وقد تصفحت كتاب الدكتور السوداني ، وقرأت منه بخاصة ، تلك الفصول المتصلة بترجمة (جحظة) .. فوجدته قد أحاط بمادته إحاطة جيدة ، دلت على عمق بحثه ، وحسن استيعابه .. وأحببت أن أحدث قرائي المتابعين ، عن هذا الكتاب ، إتماماً لما تحدثت به عن جحظة .. عنوانه : (جحظة البرمكي ، الأديب الشاعر) والنسخة التي بين يدي هي الطبعة الأولى منه التي صدرت عام ١٩٧٧ م ، وهي عبارة عن رسالة ماجستير ، كما أخبرنا الدكتور (علي جواد الطاهر) ، في مقاله آنف الذكر . والعنوان لا يدل على المحتوى دلالة دقيقة ، فالمؤلف قد جمع فيه أشعار الشاعر ، فلو ضم إليه ما يدل على هذا الصنيع لكان أولى .

ثم إن جحظة لم يكن شاعراً فحسب ، بل كان رجلاً فناناً .. اشتهر بالمزف على الطنبور ، فلو قال في التعريف به في العنوان : الشاعر المتفنن لكان أمثل للتعريف به .

والدراسة تقع في بابين ، أولهما لدراسة عصر الشاعر ، وقد غطاه تغطية جيدة ، وخص جحظة بالباب الثاني ، فتحدث عن حياته وسيرته ، وأساتذته وطلابه وروايته ، وانتهى به المطاف إلى ما جمع من شتات شعره في المصادر التي استقى منها ، وهي أكثر من مائة مرجع قديم ، غير المراجع الحديثة والمترجمة ، ومن مصادره ما هو مخطوط .. ودل كل ذلك على الجهد الكبير الذي بذله ، وأسدى به للمكتبة العربية كتاباً قيماً ، سد به ثغرة كانت شاغرة ..

وفي الفصول الرئيسة التي قرأتها ، لم أقف إلا وقفات يسيرة لأدوّن ملاحظة هنا أو هناك ، وهي ملاحظات لا تقلل من قيمة الكتاب ، ولا من ذلك الجهد الكبير الذي بذل فيه ، وهو الجهد الذي أعجبت به وأكبرته !

فما لاحظت أنه ذكر في ص ٨٠ ، سبب لقبه بجحظة ، وأورد قول الثعالبي في (لطائف المعارف) : بأنه لُقّب بذلك لجحوظ عينيه ، وأشار أن (عباس القمي) ذكر في (الكنى والألقاب) أن لفظة جحظة تعني (الجاحظ الصغير) .. ولم يقف المؤلف هنا ليناقش القولين أو ليرجع أحدهما ، بينما أورد في الصفحة المقابلة تماماً ، ص ٨١ ، هجاء ابن الرومي له الذي يبدها بهذا البيت :

نُبِشت جحظة يستمير جحوظه
من فيل شطرنج ومن سرطان

وهذا لا يدل على أن جحوظ جحظة ، كان جحوظاً أدبياً ، يضارع به الجاحظ أو يقاربه .. وكما هو معلوم فإن جحظة لم يشتهر بالكتابة الأدبية ، ليصح أن يقارن بالجاحظ ..

ثم إن هناك أكثر من خبر على دمامة جحظة .. وعلى إحلال عينه ، من ذلك ما أورده المؤلف نفسه في ص ١٥٥ . ويبدو أن المؤلف ، حينما تحدث عن صفاته وأخلاقه ص ٨٠ ، غرض النظر ، عن بعض ما ورد في هذا الباب عن ربه ورائحته .. وقد التمس له العذر ، وإن كان إيراد ذلك يُعد من تمام الترجمة ، وتقديم صورة أدق للمترجم له ..



وعندما تحدث عن وفاته ، لم يذكر مرضه الذي توفي به ، فقد ذكر صاحب (الفهرست) أنه مات بعدة الذرب ، سنة ست وعشرين وثلاثمائة .

كما لم يشر إلى ما قاله الزركلي في (الأعلام) عن نقل تابوته إلى بغداد .

وذهب إلى ترجيح القول بوفاته سنة ٣٢٤ هـ ، لأن القائلين به أسبق من أصحاب القول بأن وفاته سنة ٣٢٦ هـ .. بينما صاحب الفهرست ، وهو من أقرب المؤلفين عهداً بحضرة من القائلين بأن وفاته سنة ٣٢٦ هـ .
وحينما أشار إلى ما أورده (الصولي) في (أخبار الرازي والمتقي) ، عن وفاة (جحظة) ، وهو في طريقه إلى أبي بكر بن رائق بواسط ، قال : «ومن كتب التاريخ نعرف أن أبا بكر بن رائق : وصل بغداد وخلع عليه الخليفة الرازي أواخر ذي القعدة سنة ٣٢٤ هـ ، فكيف يتوجه جحظة إلى واسط قاصداً ابن رائق سنة ٣٢٦ هـ ، على حين أن ابن رائق وصل بغداد سنة ٣٢٤ هـ» .

وأنا لا أرى ما يمنع من أن يكون ابن رائق في واسط سنة ٣٢٦ هـ ، وأن يكون جحظة قد توفي وهو في طريقه إليه ، فنقل جثته إلى بغداد .. بل إن هذه المعلومة ترجح أن وفاته كانت سنة ٣٢٦ هـ .
وقد وقفت عند قول المؤلف في ص ١٢٥ :

«ويقول ابن حجر العسقلاني عن جحظة .. سمع من جماعة ، وأكثر عنه الصولي والحسين بن العباس ، وأبو الفرج الأصفهاني وغيرهم ، وما يقوله ابن حجر من كثرة روايات الصولي عن جحظة ليس بصحيح ، فقد طالعت جميع كتب الصولي المطبوعة فلم أجد الرجل يروي عن جحظة إلا مرة واحدة» .

وقفت عند هذا القول متأملاً .. لأكثر من سبب : فالصولي وأعني أبا بكر محمد بن يحيى كان معاصراً لجحظة ، إذ كانت وفاته سنة ٣٣٥ هـ ، وقد ألف عدداً من الكتب ، لم يطبع منها إلا أقلها ، والاكتفاء بمراجعة المطبوع منها للتأكد من مقولة ابن حجر لا يكفي لنفيها ، ومعروف أن ابن حجر واسع الاطلاع ، وهو علامة حافظ ، وقد وددت أن يترى المؤلف قبل القطع بنفي مقولته .. ولا ننسى أن للصولي كتاب (أخبار الشعراء المحدثين) ، كما ورد عند الزركلي في الأعلام ، وهو مظنة الحديث عن جحظة ، ولكن المؤلف لم يرجع إليه ، بينما هو من كتب الصولي المطبوعة ، وإن لم أقف عليه ، ولكن وجدت ذكره في تاريخ التراث لسيركين ١٧٣/٢/١ ، حيث قال إنه : طبع في لندن سنة ١٩٣٤ م ، وهو من كتاب (الأوراق) أخرجه هايوارث دن .. بل إن الدكتور السوداني لم يرجع إلا لكتابين للصولي ، هما : (أخبار الرازي والمتقي .. وأشعار أولاد الخلفاء) ، كما جاء في سجل مصادره ..

هذه الملاحظات الطفيفة ، لا تقلل من قيمة الكتاب ولا من الجهد الجيد الذي بذل فيه ..

ومن أمثلة جهده ، أنه وجد أن فهرست (جويدي) لكتاب الأغاني لم يذكر إلا صوتاً واحداً لجحظة .. ولكنه تصفح كتاب الأغاني (كله) فوجد الفهرست المذكور قد أغفل ذكر خمسة أصوات .. ثم سرد هذه الأصوات .. فأبى جهد كبير هذا الذي يجسده الرجوع إلى كتاب ضخماً جداً ، واستعراض الأصوات الواردة فيه بحثاً عن استقصاء ما نُسب منها لجحظة !

وهناك معلومات جديدة أفدتها من الكتاب ، لم يتيسر لي الوقوف عليها .. منها ما جاء في ص ٩٠ ، عن كتاب (أخبار جحظة) الذي ألفه (جججج) ، وهو كتاب ضاع ، فلم يصل إلينا ..

وأشار إلى ما أورده الثعالبي في (لطائف اللطائف) من أنه كان - أيضاً - فصيح القلم ، مليح الكتابة ، ولكن الشعر والغناء كانا غالبين عليه ، وأن له مراسلات مع مشاهير عصره .. (ص ١١٧ و ١١٨) .

وهو يرجع أن جميع مؤلفات جحظة ، قد ذهب بها الضياع ، فلم يصل إلينا منها شيء إلا شذرات من أقواله ، أو نقول من كتاباته ، أو نثفت من أشعاره .

أما جججج ، الذي ألف كتاباً عن جحظة ، كتب له الضياع أيضاً ، فقد ترجم له المؤلف في الهامش فقال : إنه عبد الله بن أحمد بن محمد أبو الفتح النحوي ، توفي سنة ٣٥٣ هـ ، وذكر مراجعه وهي : بغية الوعاة ، ص ٣١٩ هـ ، وكشف الظنون ، ص ٢٦ و ٢٧ ، ومعجم المؤلفين ٢٣٦/٦ . أ .

قلت : وقد التفتت ترجمته في (الأعلام) فلم أجدها فيه .. وهذه معلومة أهديها إلى أولئك الباحثين المعنيين بتتبع قوات هذا الكتاب ، وقد كدت أكون أحدهم ، لولا أنني صرفت النظر عن هذا الأمر ، بعد أن أدركت أن في المضمار من هو أولى به مني .

وقد ضبط لقبه (السيوطي) في (بغية الوعاة) ، بجيم ثم خاء ثم جيم ثم خاء ، ونقل عن ياقوت أنه سمع البغوي وابن دريد ، وأنه كان صحيح الكتابة ، صنّف : مجالسات العلماء ، والعزلة والانفراد ، وأخبار جحظة ، وغير ذلك . أ .

أقول : لم أجد اسمه في (معجم الأدباء) .. فلعله إنما أورده في غيره ..

وهكذا نعلم أن هناك ثلاثة من المؤلفين عنوانا بتدوين (أخبار جحظة) ، ضاعت مؤلفاتهم عنه كلها ، فلم يصل إلينا منها شيء .

علوم اللغة في القرن العشرين

بقلم: د. عبد العزيز إبراهيم السويل

تبدو اللغة - أية لغة - على السطح عبارة عن رموز وأصوات تتركب وفقاً لنظام مدهش بطريقة غاية في التعقيد . ولقد سحر هذا النظام الإنسان منذ الأزل . فلقد أطل الفلاسفة والمناطق وعلماء وأهل الفكر ، ولكن هؤلاء وأولئك أوغلووا في الفلسفة وغلووا في التعليل حتى أوشك أن يكون التعليل أعقد من الظاهرة . فلقد اتبى بعضهم للإجابة عن السؤال عن أصل اللغة والعلاقة بين اللغة والفكر وغير ذلك من المسائل الفلسفية التي لا طائل تحتها .

البنوية .. والتحويلية

بدأت الثورة الصناعية والعلمية في أوروبا وطغت المعادلات العلمية على أصول المنطق والفلسفة ولم يعد قيمة لغز ما تثبته التجربة في المعمل أو تؤكد الدراسة في الميدان . وطبيعي أن تتبع علوم اللغة غيرها في ذلك . فبدأت تظهر المدارس اللغوية ، ولعل من أبرز تلك المدارس المدرسة البنوية . ولم تلبث هذه المدرسة أن طغت على غيرها ، وأصبحت كتب النحو تبارى في تطبيقها وتحرض على حذوها حتى كان منتصف القرن العشرين الميلادي . في تلك الحقبة شذَّ أحد طلاب المدرسة البنوية وأعلن تبرمه بها وخرج على العالم بنظرية جديدة لم تنزل شغل الناس الشاغل حتى يومنا هذا ، أعلن تشومسكي نظرية النحو التحويلي وكانت باكورة الإعلان كتابه الصغير الحجم والعظيم الشأن Syntactic Structures (البنى النحوية) ، وما انفك أتباع تشومسكي ومريديه يضيفون ويعدلون ويمجدون ويشكرون ولا نسرى في الأفق اليوم علامة للوصول إلى النظرية الهدف أو الإطار المثالي كما يقول التحويليون .

لم يكن المهم في عمل تشومسكي ظهوره بالنظرية الجديدة ، فهذا أمر سبق أن مرت به العلوم اللغوية من قبل ، ولكن ما لفت الأنظار إلى ذلك الفكر هو النظرة التي ابتدعها للعلوم اللغوية نفسها . لقد أصر تشومسكي على نقل العلوم اللغوية بعامة وعلمي النحو Syntax والنظم اللغوية Phonology بخاصة من معسكر العلوم النظرية إلى معسكر

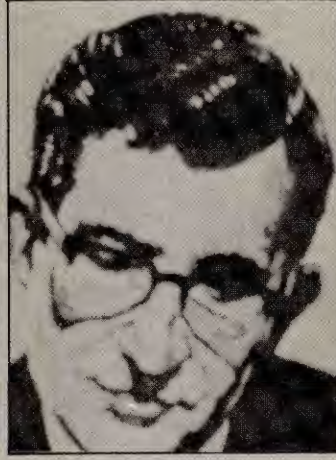
المصور القديمة

ولا يعني هذا - بالطبع - أن تاريخ العلوم اللغوية كان مليئاً بالنتائج الفلسفية فقط بل إن بعض مراحل ذلك التاريخ يبين لنا عن حالات من الومض العقلي النابه من أقدم العصور . ولعل اللغوي الهندي بانيني (Panini) كان من أوائل اللغويين العلماء الذين اعتمدوا المذهب الوصفي التقريري ولم يؤخذوا بظاهر اللغة السطحي المعقد . وكانت دراسته للسكربتية نبراساً لأجيال عديدة من العلماء بعده . وظهر من اليونان والرومان علماء لغويون أيضاً كان من اليونانيين افلاطون (وإن كان يؤخذ عليه بساطته وسذاجته ، أحياناً ، في تناول بعض الظواهر اللغوية ، كبجته في أصول الكلمات) (١) ، ومن الرومان هناك أسماء من مثل ارسطو ودايونيس ثراكس الذي صمدت بعض آرائه اللغوية حتى مطلع القرن الحالي .

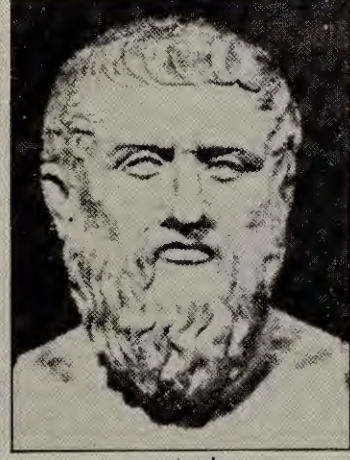
ودخلت أوروبا فيما عرف بالعصور المظلمة وانتقلت شعلة الحضارة إلى المسلمين فنج من رجال في علوم اللغة والنحو ويكنى أن يذكر المرء أسماء من مثل الخليل بن أحمد ذلك العبقرى الملهم ، وابن جنى وغيرهم الذين وصلوا بعلم النحو بالذات إلى مرتبة علمية راقية . وقد يجد المرء نفسه مندهشاً من ذلك التطابق المثير بين آراء بعض العلماء المسلمين وآراء بعض النوايج المتأخرين وعلى رأسهم نعوم تشومسكي مؤسس علم اللغة الحديث (٢) .



★ أرسطو ★



★ تشومسكي ★



★ أفلاطون ★

النظرية ، ولم تلبث أن تبعته علوم أخرى كالسياسة والاجتماع وغيرها ، بل إن مجال الحاسبات الآلية مرة أخرى وجد نفسه مضطراً لأن ينهل من هذا المعين الجديد . فلم يعد جهابذة هذا المجال قادرين على التفاهم مع آلتهم بدون سلطان اللغة ، فكان أن بحثوا عمن يستطيع أن يركب لهم لغات آلية تفتح مغاليق الماكينة ، ولكن ذلك اللغوي جاء ليبقى ، بل ليسيطر على صناعة الحاسب الآلي ويجعلها - على الأقل في شطرها اللغوي - جزء منه هو . ولا يزال الصراع يحتدم على أشده .

في خضم كل هذا لا يسع المرء إلا أن يتساءل : أين العلماء العرب والمسلمون من كل هذا؟ .

إن في بحث ماثورنا الحضاري ثروة قد تقلب كل المفاهيم الغالبة الآن . إن القوم هناك يدعون العالمية لما يتدعون وهم يكادون يجهلون لغات الأرض عامة ، ولغة الضاد خاصة . فمن لي بمن يقدم هذه اللغة بفصيحتها ولهجاتها بقديمتها وحديثها ، ويرى ما عسى علم اللغة الحديث فاعل فيها مات سيبويه وفي نفسه شيء منه .

العلوم التطبيقية وابتداء تقليداً علمياً يضاهي ما يوجد في علوم كالطب والكيمياء والفيزياء وغيرها ، ولم يعد للمنطق والفلسفة أي دور . وأصبح على من يبحث في أي من مباحث اللغة أن يجيد الرياضيات ، ويحقق معادلاتها الدقيقة ، وأن يطلع على التخريج العلمي ويستوفي شروطه ، وإلا فلا مكان له ضمن الإطار الجديد . وسنت قوانين أشبه ما تكون بنود الدستور لإعادة الأمور - في العلوم اللغوية - إلى مضمار الدراسات التطبيقية . وكان من أشهر الكتب التي تزخر بمثل هذه القوانين كتاب تشومسكي وهالي « The Sound and Patterns of English » (1978) Chomsky and Haly الذي ينظر إليه الآن على أنه دستور العلوم اللغوية .

ونقدر ما وجدت هذه القوانين من المؤيدين والمتبعين بقدر ما آثارت من المعارضين والمنتقدين . وقامت قيامة اللغويين ولم تقعد ، لدرجة أنه ظهر في أميركا الآن من يطالب بإلغاء النظرية التحويلية ككل والعدول إلى إطار نظرية أخرى جديد . ومن أبرز هؤلاء مايكل بريم Micheal K. Brame الذي نهج نهج تشومسكي ؛ حيث كان من طلابه فشار عليه وعارضه وكان التاريخ يعيد نفسه ، فبالأمس ثار تشومسكي على المدرسة البنوية التي تعلم فيها ليتوج نفسه لروح من الزمان . ثم مالبت أن سحب البساط من تحت سلاطينها ليتوج نفسه إمبراطوراً لعلم اللغة لفترة قد تطول . ولا ندرى لعل الزمان يفاجئنا مرة أخرى بإمبراطور آخر قد يكون بريم أو يكون غيره .

برغم كل شيء يبقى نعم تشومسكي زعيماً لغوياً لم يأت بعد من يضاهيه ، وعالمًا بارعاً استطاع في زمن قياسي أن ينقل علماً من إطار إلى آخر ، واستطاع أن يجتذب إليه علماء من مجالات أخرى لم يكن يدور بخلداهم يوماً أن يكون علم اللغة مصدراً للتظنير في مجالاتهم . لقد استعار الأدب من علم اللغة الكثير من المذاهب والأطر

الهوامش

- (١) انظر كتاب « An Introduction to Linguistics » Crane-J وآخرون .
- (٢) للدكتور نهاد الموسى دراسة معمقة في هذا التشابه . وأظن الدكتور الموسى لم يحاف الحقيقة في الزعم بتأثر الدراسات اللغوية الحديثة - على الأقل في دعائها - بالنطق اللغوي الإسلامي .

الدين والسياسة

بقلم: د. حسين فوزي النجار

الدولة في مضمونها ظاهرة اجتماعية ، وفي مدلولها نظام قانوني ، والسياسة في أبسط معانيها هي الأسلوب الذي يقوم عليه تنفيذ هذا النظام القانوني ، أو الطريقة التي يتم بها إدارة هذا النظام وتبنيته مساره ، ويتعريف أعم هي إدارة شؤون الجماعة الإنسانية ورعاية مصالحها والعمل لخيرها لا يختلف في ذلك رأي منذ أفلاطون حتى برتراند رسل .

ولا تنشأ الدولة إلا بنشأة المجتمع المنظم ، فهي ظاهرة لاحقة عليه وليست سابقة له ، « فالاجتماع الإنساني - كما يقول ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع بحق - ضروري ، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع ، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم ، وهو معنى العمران ، وبيانه أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها ويقاؤها إلا بالغذاء وهده إلى القماسة بفطرته ، وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله إلا أن قدرة الفرد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه .

جنسه .. فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات لاسيما المفترسة .. ولا تنفي قدرته أيضاً باستعمال الآلات المعدة للمدافعة لكثرتها وكثرة الصنائع والمواعين المعدة لها فلا بد لذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه ، وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ، ولا تتم حياته .

الذي يخرج الحب من غلاف السنبيل ، ويحتاج كل واحد إلى آلات متعددة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير ، ويستحيل أن تفي بذلك كله أو بعضه قدرة الفرد ، فلا بد من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأنصاف ، وكذلك يحتاج كل واحد منهم في الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء

ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه ، وهو قوت يوم من الخنطة مثلاً ، فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ ، وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناعات متعددة من حداد ونجار ، هب أنه يأكله حباً من غير علاج ، فهو أيضاً يحتاج في تحصيله أيضاً حباً إلى أعمال أخرى أكثر من هذه من الزراعة والحصاد والدراس

وإذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء ، والسلاح للمدافعة ، وتمت حكمة الله في بقاءه وحفظ نوعه . فإذن هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني وإلا لم يكمل وجودهم وما أراد الله من اعتبار العالم بهم واستخلافه إياهم ، وهذا هو معنى العمران » .

ومضي ابن خلدون في استقراءه ، فيقرر « إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه ، وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم .. فيكون ذلك الوازع واحداً منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان ، وهذا هو المعنى الملك »^(١) .

فالدولة لا تقوم إلا بقيام المجتمع ، وما حاجة هذا المجتمع إلى نظام تحكمه السلطة الماثلة في « الملك » - كما يرى ابن خلدون - أو في النظام السياسي الذي يحكم الدولة . وقد مرت الدولة على مدى التاريخ بأنظمة عديدة وصور متباينة ترتد في الواقع إلى طبيعة المجتمع الذي تحكمه وتسوسه منذ أخذ المجتمع صورته المنظمة في إقليم يعينه ينتمي إليه ولا يدين بالسيادة لغيره .

ماهية الدولة

ولا تقوم الدولة ما لم تكتمل لها العناصر الأساسية لقيامها وهي الأمة والوطن والحكومة ، فالأمة أو الشعب هو الأساس في كيانها الاجتماعي أو الإنساني ، والوطن أو الإقليم هو الأساس في كيانها المادي أو الطبيعي ، والحكومة هي الأساس في كيانها المعنوي ، وهي جماع شخصيتها المعنوية .

وحين نعرف الأمة أو الشعب تعريفاً قانونياً نقول إنه جماعة من الناس تقطن إقليماً يعينه وترتبط به بشكل أو بآخر سواء كانت هذه الجماعة تتكلم لغة واحدة أو عدة لغات ، وقد تَمَتُّ إلى أرومة واحدة أو تنحدر من أرومات

عدة أو تدين بدين واحد أو عدة أديان ، والأساس هو انتاؤها لذاتها واشتراك أفرادها جميعاً في عنصر المواطنة ورعوية الدولة التي ينتمون إليها سواء كانوا يقيمون بها أو يقيمون بعيداً عنها ماداموا ينتمون إليها وتعدهم من رعاياها . وإن كانت اللغة الواحدة والأرومة المشتركة والدين الواحد إطاراً أقوى للانسجام والتوافق ، وقد يغلب إحداها الآخر كالدين مثلاً ، حين يعلو الدين على أي عنصر آخر ، كما كانت الدولة الإسلامية .

أما الوطن أو الإقليم فهو نطاق من الأرض محدد المعالم . وهو في الأصل موطن الأمة ومنتجعها لها أرضه وما تكنه من ثروات مدفونة وبحيراته وأنهاره وأجواء سمائه ومن مياه البحار والمحيطات ما يحيط به في حدود المجال البحري الذي تجمع الدولة على الاعتراف به بالنسبة لها ولغيرها .

وأما الحكومة فهي التنظيم السياسي الذي يقوم على أمور الوطن ويرعى شؤون المواطنين ، ويضع القوانين ويكفل تنفيذها داخل حدود الوطن .

وحين قامت أول دولة في التاريخ قامت على أساس واضح من التنظيم السياسي كما كان في مصر القديمة ، واستنت من الشرائع ما يكفل لتنظيمها السياسي البقاء والاستمرار ، وبحق الخير لجماعتها الإنسانية ، كما جاء في مقدمة حمورابي حيث يقول : « في ذلك الوقت ، أرا حمورابي الخادم الذي سرتها (!!!) أعماله ، والذي كان عوناً لشعبه في الشدائد ، وأفاء عليه الثروة والرخاء ، لأنزع الأقوياء أن يظلموا الضعفاء ، وأنشر النور في الأرض ، وأرعى مصالح العباد » .

وما من دولة قامت - كما يمكن أن نقول - إلا وقام نظامها وقامت علاقاتها بغيرها من الدول على أساس معين من التنظيم السياسي ، ينبع في الواقع من طبيعة الأمة التي ترتضيه ،

فإن فُرض عليها بفعل قوى القاهرة داخلية كانت أو خارجية فلا بد لها أن ترتضيه ، وإلا كان مصيره الانهيار والزوال عند أول بادرة للانتفاض .

وعند البحث في سياسة دولة من الدول ، أو نعرض لنظامها السياسي فلإننا ندرس مقوماتها الاجتماعية والخلقية التي يمكن أن تكون أساساً لنظامها السياسي ، فالسياسة منهج عقلي من مناهج العلم - كما يقول مترجم أرسطو الفرنسي « بارتلمي سانتيلير » - تصدر فيها إما عن المبادئ العقلية لنحكم على الحوادث وننظمها ، وإما عن الحوادث المفسرة تفسيراً مناسباً لنضع منها مبادئ ، ولكن العقل مهما أغرق في الخيال أو التصور الذي يتقبله علم السياسة ولا ينكره ، لا مندوحة له من أن يستمد صوره من الواقع الذي يحيط به ، وفي هذا يبدو الأثر الاجتماعي والخلقي للبيئة على العقل جلياً واضحاً شأنه في ذلك شأن الأثر التاريخي^(٢) .

وإذا كان لنا أن نتناول الدولة العصرية ومقوماتها العامة اجتماعية ، أو اقتصادية ، أو خلقية ، أو نعرض لكيانها المادي ، أو نظامها السياسي ، فقد لا نجد فيها شيئاً من الجودة إلا فيما أضفاه التقدم العلمي والتكنولوجي على كيانها المادي من تغير في السعة والامتداد والشيوع دون القيم والمقومات الاجتماعية والخلقية التي تصدر عنها أو تنشدها . فقد كانت هذه القيم والمقومات الاجتماعية والخلقية التي تصدر عنها أو تنشدها مجالا لتطور دائب مستمر ينشد الكمال الإنساني مما حفلت به آراء الفلاسفة والأحرار من الكتاب في الشرق منذ حفل الشرق بحضاراته القديمة ، وفي الغرب منذ انتقلت حضارة الشرق إلى الغرب .

وقدر للغرب أن يرث دعوة المسيحية فيغلفها بأهوائه ويفقد ساحتها ، ويضفي عليها طابعاً لاهوتياً يسيطر على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى ، وبقي الإسلام ختام رسالات السماء في نطاقه ينساح ويتسع ليرث حضارات العالم القديم ويبعد

حضارة كانت زاداً لحضارة الغرب المسيحية ، يعبر عنها «هيرنشو» في كتابه «علم التاريخ» بقوله :

«خرج الصليبيون من ديارهم لقتال المسلمين فإذا هم جلوس عند أقدامهم يأخذون عنهم العلم والمعرفة . لقد بهت أشباه الهمج من مقاتلة الصليبيين عندما رأوا (الكفار) الذين كانوا ينكرون من الناحية اللاهوتية ديانتهم ، على حضارة ترجع رجحاناً لاتصح معه المقارنة بينها .. إن أثر هذه الثقافة العربية انتقل إلى أوروبا النصرانية عن طريق مدارس الأندلس وجنوب إيطاليا ، فكان من العوامل القوية في انتهاء العصور الوسطى ، وانبثاق فجر الحضارة الحديثة» .

وإذا كان لنا أن نتناول بالبحث «الإسلام والدولة العصرية» ، فليس ذلك بدءاً في هذا الصدد ، فقد كان الدين منذ القدم قوام الدولة ، فالملك قائم على تنفيذ أحكام الله ورعايتها وحراسة البلاد ، ويكفل رخاء الأهلين .

وكما كان فراعنة مصر القديمة وملوك ما بين النهرين ، كان أباطرة روما ، وإن كانوا سياسيين وليسوا أصحاب دين سماوي . وكانت العقيدة عند الإغريق نظاماً أخلاقياً أكثر منه لاهوتياً تغلفه الأسطورة والخيال أكثر مما يغلفه السحر والطقوس .. وإن كان لكل من اليهودية والمسيحية والإسلام نظرة خاصة في علاقة الدين

بالدولة ، فقد ضرب الدين على الشعب اليهودي عزلة مريرة وعنصرية حادة تحيلوها لأنفسهم حين اعتقدوا أنهم شعب الله المختار ، يؤمنون - كما يقول هـ.ج. ويلز - بأن الله الواحد الأحد ، رب العالم أجمع ، ولكنه - حسب زعمهم - يعدهم بأن يعلو بهم في النهاية سادة على الأرض^(٣) .

وطبع ادعائهم للتميز في حياتهم بطابع خاص لم يتحرروا منه حتى اليوم ، وحين راحوا ينشدون إقامة دولة ويتطلعون إلى ملك كانت عنصرتهم تقضي عليهم وتدمرهم في النهاية ، «وقدر لهم - كما يقول ويلز - أن يعيشوا في إسارها خمسة وعشرين قرناً غصت بالحن والمغامرة والاضطهاد» .

وأصبح المجتمع اليهودي مجتمعاً مغلقاً على ذاته لا يستطيع التحرر مما ابتدعه من تعاليم من فكر عسير ، وكانوا قد حرّفوا التوراة على هواهم ، فمن الثابت أنها لم تدون إلا بعد ألف عام ، كانت قبلها تروى على لسان الحاخامات والقضاة .

وبينا ذهب اليهود يشرون بتمجيد أنفسهم وإن لهم حقاً وامتيازاً ، يمثي المسيح مبعثاً بملكوته السماء ، مسفهاً أحلام اليهود العنصرية ، وإن الله لا يميز بين عباده . إذ لا بد لمملكة السماء أن تسع الجميع في أبوة كاملة تسوي بين الناس في أخوة شاملة .

وحين غدت المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية ، وكان بولس (الرسول) قد حولها إلى ديانة جديدة تأثرت إلى حد بعيد بتعاليم مدرسة الإسكندرية الفلسفية والأفلاطونية الحديثة غدت قواماً للكاتوليكية الغربية ، بينما حافظت كنيسة القديس مرقس على أرثوذكسيتها التاريخية وغدت أساساً للكنيسة الشرقية ، ولم يكن لها تأثير على الدولة ، في الوقت الذي استأثرت فيه الكنيسة الكاثوليكية بسلطان الدين والدنيا وأصبحت السلطة الفعلية الحاكمة والمتحكمة في

سلوك الناس وفي ضئيرهم ، فحلت التبعية للكنيسة التي ادعت مملكة السماء محل المواطنة الرومانية .

وكان انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى دولتين ، إمبراطورية الروم البيزنطية في القسطنطينية ، وإمبراطورية الروم الغربية في روما ، وظلت الإمبراطورية الشرقية حفيظة على أرثوذكسيتها بنجوة من غارات القبائل الجرمانية التي أطاحت بإمبراطورية الغرب ، فلما سقطت الدولة ، حملت الكنيسة وحدها عبء المحافظة - ما أمكن - على تراثها القديم في عالم آل فيه السلطان لأولئك البرابرة المحدثين ، وكانت البداية لمسؤولية حملتها طوال العصور الوسطى ، فأخذت تستقل بشؤونها عن الإمبراطور ، وما لبثت أن استحوذت على السلطين الدينية والزمنية وغدا لها السلطان على الدين والدنيا معاً . في الوقت الذي بقيت فيه الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية خاضعة للإمبراطور لا تجرؤ على مخالفة التقاليد الكنسية الأولى فاستمتمت بالمحافظة على عقيدتها وتفسيرها لطبيعة السيد المسيح ، وكان الخلاف عليه سبباً في انقسام الكنيسة إلى كنيسة كاثوليكية وأرثوذكسية .

دولة المدينة

ولم تمض بضعة قرون على رسالة المسيح - عليه السلام - حتى أشرق الإسلام بلألاء باهر غمر سماء الجزيرة العربية ، ولم يواجه ما واجهته المسيحية من عسف الدولة واضطهادها قبل أن يحملها الإمبراطور قسطنطين ديناً رسمياً للرومان ، وبقي جوهره سليماً لم يواجه ما واجهته المسيحية الأولى من تعاليم الرسل واختلافاتهم ، ولما تكونت الجماعة الإسلامية الأولى بالمدينة عدت نواة لدولة نستطيع أن نطلق عليها «دولة المدينة» - City State ، أشبه بدولة المدينة في أثينا وشبهتها بمكة^(٤) ، استطاعت أن تحمي نفسها وتدافع عن وجودها وتنزل بكل من يتعرض لها أو

يتهددها العقاب الزاجر، ووضع لها الرسول محمد - عليه الصلاة والسلام - الدستور الذي ينظم إدارتها وعلاقاتها بقاطنيها، وهو الدستور الذي أخطأ المؤرخون فوصفوه بأنه معاهدة أبرمها مع الأطراف التي تقيم بالمدينة مما يخالف الواقع التاريخي والقانوني للاتفاقيات الدولية.

وقد رمى الرسول، صلى الله عليه وسلم، في هذا الدستور أو الميثاق - كما يمكن أن ندعوه - إلى تقرير مبادئ والتزامات رأى فيه ضماناً لحرية الدعوة وأمن المدينة وقاطنيها، فأقر حرية الرأي وحرية العقيدة، وحرمة المدينة، وحرمة الحياة، وحرمة المال، وتحريم الجريمة، وهي مبادئ والتزامات ترى الأطراف الأخرى حاجتها إليها، كحاجة المسلمين تماماً، فلا يمكن أن تستقيم الحياة لقوم يعيشون في مجتمع واحد لا تحكمهم مبادئ والتزامات تؤمن الجماعات كما تؤمن الفرد منهم على حريته وماله وحرمة مقامه، وما لبث بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع، أن تقبلوا ما أقره الرسول عليه الصلاة والسلام، ووقعوا للنبي إقرارهم بقبوله.

وكان هذا الكتاب «من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس» أول دستور - بلغة العصر - وأول تنظيم سياسي لدولة المدينة، وإن لم يكن القصد منه وضع نظام لدولة تنشأ بقدر ما كان تنظيماً لمجتمع ناشئ، وإن حمل في طياته أسس بناء الدولة التي يمكن أن تنشأ نتيجة لقيام المجتمع الجديد واكتمال شخصيته، وهو ما يفرضه الواقع الاجتماعي على الجماعة المنظمة حين تنشأ وتسلم بحاجتها الملحة إلى «سلطة» ترضى بها وترضى عنها، وهو ما يؤدي إلى قيام الدولة، وهذا الرضا - وهو ما تقوم عليه الدولة العصرية - هو الذي ينأى بالسلطة من التصاقها بشخص الحاكم، كما كانت الدولة القديمة، إلى صورتها المجردة التي ترضى بها

الجماعة وتنشق من ضميرها الاجتماعي.

نشأة الدولة الإسلامية

وفي هذا الإطار نشأت الدولة الإسلامية في محيطها الاجتماعي في المدينة المنورة. مدينة الرسول، كما أصبحت تدعى من بعد، ولم يعد لاسمها القديم «يثرب» كما ورد في كتاب الرسول، وجود. فقد كان على هذه الجماعة الإسلامية الناشئة أن تواجه مطالب حياتها الجديدة، على هدي ما قرره الإسلام من قيم ومبادئ قررتها شريعته السمحاء، أما مطالب دنياها فقد تركها الرسول لهم بقوله: «أنتم أعلم بشؤون دنياكم».

ثم كان هذا التنظيم السياسي لدولة المدينة يتطور على الدوام بتطور المجتمع الإسلامي ونموه، وكان التطور يأتي كلما بدت الحاجة إليه منذ اكتمل التكوين الاجتماعي للجماعة الإسلامية، فقد ظل هذا التكوين الاجتماعي الأول في المدينة صورة للجماعة الإسلامية الكبرى في نموها وامتدادها.

وقد امتدت الدولة الإسلامية في ظل المبادئ الجديدة إلى أبعد مما وصلت إليه دولة في العالم، وأقاموا في مدى ثلاثين عاماً دولة سارت على هدي النبوة فسعدت الناس في ظلها بالإخاء والعدالة والمساواة والحرية، لا يستعلي فيها الحاكم على المحكومين ولا يستأثر دونهم بما لا يؤثره على غيره، وكانت هذه المبادئ الجديدة التي قررها الإسلام، وجاءت بها شريعته السمحاء، هي التي حملها المسلمون ظافرين إلى العالم أوسع، وكانت ممكن انتصارهم وانسيان دولتهم، وهو ما يقرره «جوستاف لويون» بقوله: «وقد استطاع العرب أن يفتحوا العالم يوم خضعوا لقانون مقرر ثقفه من الدين الجديد الذي جاءهم محمد به، فعرفوا كيف يوفقون بين الشريعة وحاجة الشعوب التي دانت بها». وهو ما يشير إليه سيد أمير علي حين يستشهد بقول «دوسون» - Dohsson،

إذ يقرر: «لو أن من تبعوا محمداً ساروا على سنة رسوله، وكانت لهم أخلاق خلفائهم الأوائل، لعدت إمبراطوريتهم أكثر اتساعاً وأبقى على الزمن من الإمبراطورية الرومانية»^(٥).

وكان قيام الإمبراطورية الإسلامية حدثاً فذاً من أحداث التاريخ ما زال يشير الدهشة والعجب، «فلو أن هابياً من هواة النبوءات التاريخية، قد عرض لأحداث العالم في مستهل القرن السابع الميلادي.. لما استطاع أبداً أن يتبين تلك القوى الكامنة في الصحراء العربية، إذ إن بلاد العرب قد تبدوا أمام ناظره على ما كانت عليه منذ زمن بعيد، مرتعاً لقبائل من الرحل تنوشها الفرقة والصراع الدامي، ولم يتأت لشعب سامي لأكثر من ألف سنة أن يقيم إمبراطورية ما، حتى بزغ نجم هؤلاء البدو بلالاء باهر لقرن واحد حفل بالأبهة والجلال، امتد ملكهم ولغتهم خلاله من الأندلس إلى حدود الصين، وأهدوا العالم ثقافة جديدة، وعقيدة بقيت حتى اليوم من أعظم القوى الحيوية في العالم»^(٦).

العصور الوسطى

وصاغ الدين حضارة العصور الوسطى، في الشرق الإسلامي، والغرب المسيحي على السواء، وبينما احتفظ الإسلام بجمهره النقي، ولأذت الكنيسة الشرقية بالتزمت وغلبت عليها بيروقراطية الدولة، كانت الكنيسة الغربية قد هجرت الأسلوب العقلي للحضارة الهيلينية، وأقامت عالماً من تصور القديس أغسطين يقوم على الزهد والتجرد اللاهوتي، وما لبثت أن نادت بسلطتها فوق أي سلطة أخرى، وأصبحت - كما يقول فشر المؤرخ الإنجليزي ومؤلف تاريخ أوروبا - «هي الإمبراطورية في قالب كنسي» ودان لها عالم العصور الوسطى في الغرب لألف سنة كانت سطوتها وسلطانها يفوقان أية سلطة وأي سلطان، فطبعت الناس والمجتمع بطابع أحل

فيه البابوات والقساوسة ما لم يحلوه لغيرهم من الناس، مما أدى في النهاية إلى الثورة عليها والخروج على طاعتها فكانت موجة الإلحاد، والاتجاه إلى الدنيويات متحرراً من كل وقر لاهوتي وسادت هذه الاتجاهات المجتمع والدولة في تاريخ العصور الوسطى.

وإن كانت النزعة الدينية قد سادت عالم العصور الوسطى في الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، إلا أنها كانا عالمين متباينين، تباين ما بين الإسلام والمسيحية في نشأتها، وفيما ألم بهما من اتجاهات دينية، فبينما تأثرت المسيحية الغربية بتعاليم (الرسول) بولس والاختلاف حول طبيعة السيد المسيح، واتجاهات سان أوجستين وتوما الأكويني اللاهوتية المترتبة التي جردت الحياة الدنيوية من كل متاع، بقي الإسلام محافظاً بنقاء جوهره وعقيدته بعيداً عن المؤثرات الحضارية المجاورة، وإن كنا نعتقد أن اكتماله فضلاً عن حرص أصحابه على الشريعة والسنة، كانا السبب الأول في بقاءه نقياً، وحين اتصل بالحضارات المجاورة، كانت عقيدته قد تأصلت في النفوس، ولم يسر أصحابها ما يفضلها من عقائد الحضارات المجاورة، فلم يكن به حاجة إلى الاقتباس، والتزود بما يراه أصحابها من نقص يرون أنفسهم في حاجة إليه. وكان الإسلام قد قضى على كل فكر سابق عليه، وأقام مجتمعاً لا صلة له بالمجتمع القديم في مثله وأخلاقه وتقاليده، بل وفي مجرى تفكيره العام، إذ قام على تفكير عقلي متوازن بعيداً عن التجريدات الغامضة، وشريعة يقبلها

المنطق، ولا يجد فيها الإنسان البسيط ما يجاوز عقله وتفكيره أو يناقض طبيعته الإنسانية، بينما نشأت المسيحية في عالم مترع بالثقافات العديدة وفي بقعة تلاقحت فيها شتى التيارات الفكرية والفلسفية، وكان من اليسير أن تنجو من تأثيرها لولا أن داعيها بولس (الرسول) كان قد تشرب الفلسفة اليونانية من مدرسة الإسكندرية، فمزج ما بينها وبين المسيحية في جوهرها الصافي، وتحولت على يديه إلى ديانة منذ ابتعدت عن موطنها الأصلي ولم تعد ديانة عيسى عليه السلام - كما يقول سيد أمير علي - وأصبحت ديانة بولس (الرسول) ^(١)، فقد كانت الوثنية في طريقها إلى الزوال في الوقت الذي هيأت فيه فلسفة اليونان والإسكندرية العالم الروماني لتقبل فكرة الله، خالق العالم، فتأصلت هذه الفكرة في مسيحية بولس.

ولم يكن الإسلام في حاجة إلى مثل هذا التوفيق أو الاقتباس أو التأثر بغيره، بل جاء متكاملأً، جمع بين الدين والدنيا، وشرع من الدين ما شمل الدنيا فأرسي قواعد الأخلاق على أساس من توقيير الحياة وإعلاء الكرامة الإنسانية، وهما جوهر الروح السياسي للدولة العصرية حين تنشأ الخير للمجتمع. كما أقام قوانين الوجود على أساس التأمل والعقل، ونظم العلاقات الاجتماعية والواجبات الإنسانية على أساس الواجب والمسؤولية، وحدد المشورة والجزاء، فتجزى الحسنة بعشرة أمثالها وتحجزى السيئة بسية مثلها، وربط ما بين الدين والحياة برباط من الوحدة والنضام، لا يشذ فيها الواحد عن الآخر، ولا يتشكك الإنسان في أحدهما سبيل الآخر.. فكان دين الفطرة عن حق - كما يقول الشيخ عبد العزيز جاويز - ^(٢). فلو أن الطفل ترك وشأنه حتى يكبر لما اختار غير الإسلام ديناً، ذلك أنه لا يناقض الطبيعة البشرية في حاجتها إلى الإيمان القائم على العقل، ويعلي من شأن الخير

ويسمو بالنوازع البشرية إلى العمل الصالح في قوله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (سورة آل عمران، الآية ١١٠).

وإذا تواصى الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهم خير الأمم أو من خيارها، فإذا اقترن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالعقيدة الدينية أصبحا من القوة بقدر ما في النفس من إيمان بالدين، وبقدر ما تنفذ العقيدة الدينية إلى الضمير الاجتماعي، بقدر ما تستقيم العلاقات الاجتماعية على الخير الذي يهدي إليه الدين ويشر به.

وما كان المسلمون خير أمة أخرجت للناس إلا لأنهم يقيمون حياتهم على هاتين القاعدتين اللتين جمعتا حكمة الأجيال وفلسفة الخير في الوجود، فإذا حاد المسلمون عنها، فليسوا بخير الأمم، وليسوا من الإسلام في شيء وإن حملوا اسم الإسلام والخير الذي تعنيه الآية الكريمة هو غاية ما ينشده المجتمع لقوامه الصالح، وهو ما تحققه الدولة لرعاياها في ظل الدستور أو القانون أو الشريعة التي يتسق في إطارها كيان الأمة أو الشعب، وينبثق منها الضمير الاجتماعي.

الهوامش

- (١) مقدمة ابن خلدون: الفصل الأول من الكتاب الأول: المقدمة الأولى.
- (٢) الإسلام والسياسة للمؤلف، ص ٥٥ - ٦٠.
- (٣) H.G Wells: A Short History of The World. ch. 37.
- (٤) راجع لمزيد من البيان كتابنا «الدولة والحكم في الإسلام»، سلسلة دار الحرية، ع ٤.
- (٥) Ameer Ali Sayed: The Spirit of Islam, Part 11 ch. 7111 P 292.
- (٦) H. G. Wells, Ibid, ch. 43.
- (٧) Ameer Ali Sayed: Ibid, Part 11. ch. II. P. 180.
- (٨) الإسلام دين الفطرة.

حَلِيمَةٌ

شعر: كمال عبد الكريم الوحيدي

من الأعماق أشواق القديمة
مع النسمات أزجيك التحايا
إلى ظئر الرسول أبث حُباً
إلى من أرضعت بالحُب طه
إليك حليلة الكبرى التهاني
إليك وقد أتيت من البوادي
أتيت لمكة العظمى كظئر
فلم تقبلك أم في خباها
وعادت كل صاحبة بطفل
ولم يقبلن آمنه «ضناها»
تشاءمت المراضع من يتم
وضاقت كل سابلة وأنى
مضيت لدار أرملته بقلب
ولما بان وجهه شع نوراً
وأدريت إلى صدر حبيباً
وجئت به إلى شيخ وقور
فأشرق وجهه مذ جئت بشراً
وناقته بلا لبن بضرع
وتشحب أضرع العجاء ذراً
وراضع أحمد المختار طفلاً
وعُدتم نحو «سعد» في سرور
وقد ظهرت علامات فحفتُم
أعدتيه إلى أم وأهل
هنيئاً يا حليلة من فؤاد
فتاك الخير أهدها إلينا
أقام العدل ما بين البرايا
وأنت خير أم بين «سعد»
عليه صلاة خالقنا دواماً

إليك أبثها عطراً حليلة
كنفح الزهر يا أمًا رحيمة
إلى الأم الوفية والكريمة
بألبان مباركة سليمة
على الأيام تبقى مستديمة
لبيت الله للدار الشيممة^(١)
وكانت ذات أجواء وخيمة
لأنك كنت من فقر سقيمة
له أهل ذوو مال وقيمة
ولم يأخذن من بيت يتيمة
برغم مكانة الجد العظيمة
لقومك ترجعين بلا غنيمة
سلم ليس ذي إحن سخيمة
هُرعت إليه في أقوى شكيمة^(٢)
فجاد الضرع ألباناً شيممة^(٣)
بذاك «الخان» حالته عديمة
وقبل وجنة الهادي الوسيمة
وقد برك الفصيل بلا عزيمة
لكم وحوارها أضحي وليمة
أخاه منك لم يظلم نديمة
فجاد الله بالنعم العميمة
على الهادي من النفس الأثيمة
فلاقوك بمكرمة وشيممة^(٤)
يرى فيك الفخار إلى الأمومة
إليه الناس ذو الأيدي الكريمة
بدين دك عادات ذميمة
ونعم رضيعك الغالي حليلة
عداد الرمل أو هطال ديمة

(١) الشيممة : العزبة .

(٢) الشكيمة : قوة القلب .

(٣) شيممة : طيبة الرائحة .

(٤) الشيممة : العزبة المرتفعة .

نحن والطوطمية



بقلم: د. صلاح الدين شروخ

لاحظ دوركهايم أن الطوطمية هي من أول مظاهر الشعور الديني، فهي شائعة في كل المجتمعات البدائية، على خلاف في الطوطم المقدس، وفي تقاليده وشعائره .
ومن التعريفات الكثيرة^(١) لها، يمكننا أن نقول إن الطوطمية فكرة دينية تركز فيها الأشياء المقدسة للجماعة، وفيها تتجسد قوة خارقة تجعله قادراً لدى من يؤمن بها، على تجسيد القداسة بمظهر مادي، وللطوطمية اعتباران أحدهما اجتماعي والآخر ديني^(٢)، وهما إن اختلفا في الأغراض، فإنهما متحدان في الجوهر ما دام الديني لا يكون إلا فيما هو اجتماعي .
وتقوم الطوطمية على مصادرة أولية مفادها أنه من الممكن التأثير في الظواهر بالقوى الغيبية التي تتحكم فيها .

العرب .. والطوطمية

وعلى الرغم من أهمية أي فكر يوضح الماضي وينير دروب المستقبل، فإنني أرى - في مجال بحث الطوطمية - أن القول إن العرب عرفوا الطوطمية الاجتماعية أو القول إنهم لم يعرفوها قديماً، لا يؤثر كثيراً، ما دامت الطوطمية موجودة متجذرة في كثير من السلوك المعاصر. ولئن كان بعض العرب لم يعرف الزواج الخارجي، اعتماداً على شهادة استرابون التي تؤكد بأن الزن كان في عرف العرب القدماء هو جماعة امرأة من غير عشيرة الزاني^(٣) فإن لدينا، بالمقابل شهادات تؤكد وجود الزواج الخارجي وزواج المشاركة^(٤). وما من شك بأن اتساع الرقعة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية، وتعدد القبائل العربية القديمة جداً، كان مما يسمح بوجود أشكال متباينة اجتماعياً، هذا إذا كنا نصر على القول إن الطوطمية الاجتماعية تخضع إلى المعايير التي يقول بها الباحثون من زواج خارجي وتعاون متبادل وأمومة^(٥) أما إن قلنا إن خصائص الطوطمية تأتي من دراسة الطوطمية ذاتها، وإن الطوطمية ليست واحدة لدى الجميع، فإننا عند ذلك مضطرون إلى توسيع دائرة معنى الطوطمية ليشمل تلك الاختلافات، وبخاصة إذا تذكرنا أن الطوطمية ذات نظام تراتبي^(٦)، فللعشيرة طوطمها، وللقبيلة طوطمها الاتحاد الذي يسود عشائر القبيلة . وهو الأمر الذي يؤكد إمكان انتقال الرجل من كلاب إلى بني أسد، إن هو أظهر شجاعة وتفوقاً^(٧).

وبناء على هذه المصادرة يقول الفكر الطوطمي إنه يمكن تحقيق ذلك التأثير عن طريق استرضاء الطوطم، أو من خلال التوحد فيه، وبخاصة عن طريق الدم والشعر، وهو الأمر الذي يفسر عناية الوشم المعاصر بأشكال الطواطم^(٨) وبالقرايين ودمائها. فبعض العنابيين (نسبة إلى سكان عنابه) مثلاً، بعد ما يذبحون الدجاجة في القطارة وينظفونها في ماء ذلكم النبع الساحلي في مواجهة مقبرة زغوان يلقون بها إلى البحر صائحين، أو صائحات: يا الموجة يا القطارة .. (ثم يطلبون منها أن تحقق أمنياتهم التي يذكرونها)^(٩)

ولجدلية العلاقة بين القديم والحديث، فإن الطوطمية شكلت واحدة من مكونات الثقافة المعاصرة، فدخلت مع غيرها في تركيبها، وأثرت من خلال هذا على أنماط السلوك العلمي والفكري. فبات كثير مما نفعله ذا جذور طوطمية ... قد تكون صريحة واضحة، وقد تخبئ وراء غيرها .

ومن ناقل القول التذكير بأن الوثنية لا تتخل عن مواقعها بسهولة، وأن إجبارها على التخلي يتطلب مزيداً من الحكمة والتروي وإعمال الفكر النقدي والتوعية، ولعل بمقالي هذه أفتح سبيلاً إلى بعض ذلك .



الطوطمية في الأسماء

وتظهر آثار الطوطمية في الأسماء ، فقد اعتقد الناس قديماً أن التسمية باسم الطوطم ، توحد فيه ، مما يعينه -أي حامل الاسم- على مواجهة الأخطار بحماية طوطمية . ومن يسمى بالضيع قديماً -تقول الأسطورة- كانت الضباع تأنس إليه^(١٢) .

ومظاهر الطبيعة الطوطمية تبرز في أسماء ك : قر . شمس . هلال . . بدر . . الخ . وقد ظهرت قديماً في أسماء ك : بنو عبد شمس . بنو هلال . . إلخ^(١٣) .

ومن أهمية الطوطم الحيوانية ، قديماً وحديثاً ، نسبة الجن إلى الحيوان من ذلك القول إن الإبل الحوشية هي من نسل إبل الجن^(١٤) ، وإن مساكن الجن تشبه مساكن السباع^(١٥) .

ولئن كانت الجن ليست بطوطم ، فإنها مرتبطة بها ، ومنها يأتي الخطر وهي تدافع عن الطوطم المعتدى عليه ، الأمر الذي سنشرحه فيما بعد عند الحديث عن الثعبان/ الطوطم .

ولربما ، اختصاراً للطريق ، لجأ العربي إلى استرضاء الجن ، بدلا من توسيط الطوطم ، ما دام الجني يشكل قوة الطوطم الضارية . ولكن خشيته من غضب الطوطم دفعته لاسترضائها معاً .

ومن الطوطم العريقة الثعبان ، فما زالت آثاره ظاهرة في الوشم ، ولكن طوطم الأسد يظهر في بقايا الطوطمية أقوى من طوطم الثعبان ، وبخاصة حين يتسلح بسيف .

وما زال الناس يعتقدون بأن الثعبان لا يموت إلا إذا غرست الشمس (منطقة عسيلة ، خناصر . . في سورية ، مثلاً) . فهناك ترابط بين طوطم الثعبان وطوطم الشمس .

وقد زعمت العرب قديماً بأن الجن تأخذ بثار الثعبان القاتل ، فلا بد من تقديم ترضية لها بدفع دية^(١٦) .

وبدلنا تحليل الطيرة والتشاؤم والتفاؤل على أهمية الطوطم الحيواني . فكما

وحتى بين الطوطم ، فإن بعضها كان أقوى من بعض ، فالأسد أقوى من الثعبان الذي تأخذ الجن بثاره إن قتله الإنسان^(١٧) .

ولا خلاف في دينية الطوطمية التي قد تتجسد في حيوان مقدس ، أو نبات مقدس ، أو في مادة طبيعية أو ظاهرة طبيعية مقدسة . ولكن قد نجد طوطمية بشرية أيضاً (أخوة نزهة ، أخوة فضة في قبائل دير الزور مثلاً) .

الطوطمية الحيوانية

وبخصوص الطوطمية الحيوانية ما زلنا نلاحظ وجود قبائل عربية تحمل أسماء حيوانية كقبيلة الحصنة في البادية السورية ، وأما القبائل العربية ذات الأسماء الحيوانية الطوطمية فكثيرة منها بنو أسد ، وبنو ضبة . . إلخ^(١٨) . ومن الطوطم الحيوانية ما هو سمكي ، وبصورة خاصة في المناطق القريبة من المياه ويظهر في أشكاله المتناقلة إما وحيداً أو مشتركاً مع طوطم أخرى كطوطم الثعبان مثلاً . أو مطوراً بحيث يكون له رأس بشري وجسم سمكة . وفي شمال إفريقيا العربية يرسم الحوت مع كفين بشريين مفتوحين في رمزية واضحة الدلالة على النحو التالي : ونجده مرسوماً على مواقع البخور التونسية والجزائرية (منطقة الحمامات - زغوان تونس العاصمة ، عنابة ، سكيكده . . مثلاً) .

ومن الأمور المألوفة أن تصرخ إحدى النسوة ، عند دخول العروس بيتها الجديد قائلة : قولوا يا حوات . . يا حوات . (منطقة مقرين/ زغوان مثلاً) . وفي اللهجة السورية ، يقال في حمص مثلاً : مثل الحوت . . يا لطيف . وتظهر الحرباء طوطمية التأثير ، فبعض جسم الحرباء هو من العناصر الداخلة في الفاسوخ (عمل هدفه فسوخ السحر الذي يتعرض له الإنسان) في عنابة . (وأستطيع أن أؤكد أنه إذا كان الشيطان له نفس إحساس الشم البشري ، فإن للحرباء التي تحرق عند عمل الفاسوخ تأثير مؤكد إذ يصعب على أي من الناس تحمل رائحة الفاسوخ) .

نحت والطوطمية



ولكن بالمقابل ، نجد أن العربي نظر إلى طوطمه نظرة ريبية ، وبهذه الريبة أمكنه أن يجري قطيعة بين نفسه وبين بعض فكره . فجعل من الطوطم وظيفة براجماتية . فالطوطم ليس قدرياً ثابتاً ، وإنما هو قابل للطعام ، فالعرب- إن هموا جاعوا- يأكلون أربابهم الطوطمية :

أكلت خيفة ربها زمن التقحم والجماع^(٢٢)
لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعد

ومثل هذا يلاحظ في الأوساخ الطبيعية وراء رأس الحمرا مثلاً .

الطوطمية المعاصرة

وبالمقابل أيضاً نجد أن الطوطمية المعاصرة ليست كلها آتية من الماضي السحيق . فالعقل العربي ما زال يضع طوطمه بمادة جديدة يجها ، أو هو يخشاها كما كان يخشى الأفعى ، ثم يسبق عليها مسووناً قديماً ، وبصورة لاشعورية ، ولقد يلجأ إلى الحديث عنها كناية ، أو وراء الأبواب المغلقة خوفاً ونجوى .

وهو في إبداعه هذا أكثر واقعية وريبية ، ففوة الطوطم مرتبطة لديه بما يخشاه من أمر الجن الذين يحيطون به ، ومن قوة القاعدة الصخرية التي يتربع عليها ، ومن قوة الحياة ذاتها . فإن هو ابتعد عن واحد منها فقد- في نظره- قيمته وعندها يبني العقل طوطماً جديداً ، على أنقاض الطوطم القديم ، وبمواد مأخوذة منه ، ويضيف إليه كل خير ، وينأى به عن كل شر . ولقد يلجأ- ضرباً لعصفورين بحجر واحد- إلى التوحيد بين الطوطم وجهه ، فيأخذ الطوطم من الجن ، فيكون الطوطم مزدوج القوى . وهو دائماً- أي العقل- محافظ على فكر قديم يقتضي أن يأكل العربي طوطمه في حالة جوع . ثم يعود إلى بنائه عندما يشبع .

استمرار الطوطمية

ولكن الطوطمية ، في كل أشكالها ، هي ما لا يليق بكرامة الإنسان وبكرامة عقله . وهي معوق من معوقات تقدمه . فإن كان هذا شأنها ، فلماذا تستمر ؟ وكيف تستمر في مجتمع إسلامي عقيدته الدينية حرب على كل وثنية ، مهما كان شكلها ، ومهما كان جوهرها ؟ وكيف تستمر في بلدان قطعت أشواطاً كبيرة في التربية عامة ، وفي تربية الفكر النقدي خاصة ؟

نشاءم العربي قديماً من الغراب . ما زال العربي المحدث يفعل ، في حين هو يتفاد بنباح كلابه^(٢٣) ، وكذلك نلاحظه في الذي يتبارك به العرب . فقد حملوا الطوطم معهم إلى ساحات قتالهم شعاراً على أعلامهم مثلاً . والطوطم الحيواني قد يكون طيراً ، وأبرز أمثله النسر ، وقد كان بموضع في أرض سبا^(٢٤) .

النبات . . والطبيعة

وأما الطوطم النباتية فكثيرة منها ما هو قديم كذات أنواط ، وهي شجرة عظيمة خضراء كانت قريبة من مكة ، يأتيها العرب كل سنة فيعلقون عليها أسلحتهم ويزججون عندها ، ويعتكفون يوماً^(٢٥) ومنها ما هو حديث مثل ما يدعوه بعض سكان سكيكه الجامع ! ! وهو عبارة عن شجرة يذهبون إليها ، ويعتقدون أنها الجد الأكبر لهم فيقدمون لها البخور في اليوم الأول ، ثم يذبحون الأضاحي في يومهم الثاني في احتفال ، ويطلقون عليها أسماء يتبركون بها . . كـ بوتيفه . وهناك أمثال لـ بوتيفه^(٢٦) (ولم تتح لي معاينة أي منها بعد) . وهي في ذلك شبيهة بأمور الطوطم الشجرية التي رقص الشركس لها في تاريخهم القديم ، وقدموا لها الأضاحي^(٢٧) .

وأما مظاهر الطبيعة التي أصبحت طوطم فكثيرة وقد سبق الحديث عن بعضها ، وأما ما بقي منها فكثير أيضاً في كل العالم العربي . نأخذ مثلاً منه ذلك الدمج بين الماء العذب والماء المالح وأمواجه في القطار التي سبق الحديث عنها . ومنها أيضاً تلك الحجرة في رأس الحمراء في منطقة عين عشير في ولاية عنابة . وهي عبارة عن حجرة زيت ببلاط بورسلاني في مغارة تقع على رأس جبل ، يقع على نشز من المتوسط ، ولقد عاينت المغارة يسوم ١٩٨٥/١١/٢٥ م ، ولها مشرف ، فوجدتها مزينة بأعلام ، وقد أضيئت شمعة إلى طرف الحجرة . ورأس الحمراء مشهورة يذهب الناس إليها ، فيذبحون الدجاج ، ويظهونه أو ينظفونه في المغارة فيما يبخرون أجواءها ، ثم يساكنون الدجاجة ، متحدثين عن الاجداد معلنين عن أمنياتهم ورغباتهم .

وإذا كان هذا كله غيضاً من فيض ، فإن الملاحظ في كل هذه الطوطمية العناية البالغة بالقداسة . والتعبير عنها دائماً له بخور وذبيحة - وفي ذلك توحيد (وقد تكون فيه الحناء التي يخضب بها الجدار أو الصخرة القسرية من الطوطم) . ومن مظاهر التقديس والاحترام للطوطم التكنية عن اسمه احتراماً أو خوفاً . كالكناية عن الأسد بأبي الحارث ، وعن الضبع بأبى عامر ، وعن الغراب بجاتم^(٢٨) . أو عدم ذكر اسم الطوطم أو قوته . فالمصريون يقولون عن الجن : الي ما يتسأش .

قد يقول قائل : هو الجهل الذي يجعل الطوطمية تستمر ، بسبيل أن الطوطمية هي الأكثر انتشاراً بين أوساط الجاهلين . وفي هذا بعض حق . وليس كل الحق ، لأنك تجد مثقفين كباراً أحياناً يخضعون سلوكهم لطوطمية عجيبة ، ولقد تجدهم مروجين لها . واسمع - إن كنت معترضاً - الأحاديث الإذاعية ... وتأمل . ولقد تجد مهندساً يذهب بزوجه إلى زيارة بوقرين مثلاً للتبرك ... وطلب « الخلفة الصالحة » . ولقد تجد بالمقابل ، جاهلاً يرفض الطوطمية ويسخر منها .

ولقد يقول قائل إن ألف العادة هو السبب في استمرار الطوطمية . وفي هذا بعض حق وليس كل الحق . فبعضهم يقول : هكذا وجدنا آباءنا يفعلون . ولا أحد يستطيع إنكار تأثير الطبيعة الثانية في السلوك . ولكن العادة إن هي ساعدت في الاستمرارية فلها لا توجد الطوطمية . ثم إن الإنسان يستطيع ، إن هو شاء ، أن يغير من عاداته . فيبقى السؤال : لماذا لم يشأ القضاء على الطوطمية ؟

ولقد يقول قائل إن استمرار الطوطمية عائد إلى ضعف الوعي الديني ، وإلى أن الدين ، عند من لم يزل يسلك معتمداً على الطواطم ، أصبح شكلاً ، وفقد لدى صاحبه ، جوهره العقلي العائلي . وفي هذا بعض حق أيضاً ، يؤكد ما شاهدته في رأس الحمرا من صلاة يؤديها زائر الطوطم في مقام ضريح سيدي نور (ولم أجد في أي من المراجع ذكراً) ثم يحثي (يضع الحناء) على الضريح تبركاً ، ثم يذهب إلى الطوطم في المغارة ليكمل ما يدعوه عبادة ! ولكن علينا أن ننتبه هنا إلى أن الموروث القديم ما زال له تأثير كبير في وعي هذا القطر .

ولئن كانت التفسيرات السابقة كلها تقترب من التفسير ، فلها ليست كافية منفردة ، وليست كافية مجتمعة ، وإنما سبب استمرار الطوطمية ، هو - برأيي - إضافة إلى ما سبق - وظيفة الطوطمية نفسها . فهي تقدم جواباً جاهزاً عن سؤال يهم الإنسان ، ولم يقتنع بالإجابات الأخرى قناعة كافية . من ذلك سعيه إلى معرفة ما سيكون من أمر مستقبله نجاحاً أو فشلاً (لاحظ اهتمام الناس بأبراج الحظ مثلاً) .

ومن ذلك أيضاً ما يقدمه الحل الطوطمي من إشباع لعواطف البعض . فالحب الذي يجد من محبوبه صداً ، ولا يجد حلاً ينهي ذلك الصدا ، قد يسعى بتأثير العاطفة والغريزة إلى حل طوطمي ، أو إلى ما في حكم الحل الطوطمي . فالطوطمية هنا تحقق وظيفة شبيهة بوظيفة الحلم . والمريض الذي لا يجد علاجاً شافياً ، قد يدفعه الألم والأمل ، وقصور الطب ، إلى السعي إلى الطوطمية فإن شفي صدفة ، أو بتأثير المواد المستخدمة ، تعززت الطوطمية لديه بما قد يسميه تجريبية . وإن حدث الشفاء بتأثير الإيماء عزاً الأمر إلى الطوطم . ثم يعمق ألف العادة ، وإيماءات الجماعة المحيطة قيمة الطوطمية في نفس الساعي إليها .

ومن الأسباب الهامة لاستمرار الطوطمية ضعف قوة الهجوم الذي شن عليها فهو لم يكن حتى الآن كافياً للقضاء عليها ، وكلما قضي على بعض منها بنت الطوطمية ذاتها بأسلوب جديد ، يساعدها في ذلك قوة المروجين لها ، والمكاسب الكبيرة التي يحصلون عليها ، منها ، فسادن طوطمي هو أكثر دخلاً من كثيرين من الذين يعملون بمجد وشرف .

وللمروجين للطوطمية وسائل إيصال فكرهم إلى الناس ، قد يستعين بها بعضهم ، ولكنها - بسبيل استمرار الطوطمية - ذات تأثير كبير وسريع . ولعل من أهم أسباب استمرار الطوطمية حتى الآن ، وربما في المستقبل البعيد تلك الرغبة التي تظهر في سلوك بعضهم ، فتدفعهم إلى تصوير أنفسهم لدى الآخرين في صورة « لا بشرية » ذات إمكانات خارقة تستحق أن تعبد ، أو تدفعهم إلى السكوت الراضي عن الذين يرجون بوسائل الاتصال الحديثة لمثل ذلك . وهم في هذا الترويج يبنون طوطمية جديدة ، ذات طقوس ...

قلنا ، إن الطوطمية ، في كل أشكالها إهانة لعقل الإنسان وكرامته ، إذ لا يليق بالذي كرمه رب العالمين أن يخضع لطوطم .. ولذا ، فلا بد من القضاء عليها ، ولا يتم ذلك إلا بضرب وظيفتها ، ويزيادة الوعي وتعميق العقيدة في سلوك الناس ، وبتربية الفكر النقدي .. فكيف يتم ذلك ؟ تلك هي القضية .

الهوامش

- (١) دينكن ميتشل . معجم علم الاجتماع . ترجمه د . إحسان محمد الحسن . دار الطليعة بيروت . ١٩٨١م ، ص ٢٤٥ .
- (٢) محمد عبد المعيد فان . الأساطير والخرافات عند العرب . (أطروحة دكتوراه) دار الحداثة . بيروت . ١٩٨٢م ، ص ٧٠ .
- (٣) سوسن عامر . الوشم في الفن الشعبي . مجلة التراث . دار الجاحظ . بغداد . العدد و لعام ١٩٧٨م . ص ٣٠ و ٣١ .
- (٤) عاينت مكان القطارة بتاريخ ١٩٨٥/١١/٢٥م ، وهو عبارة عن نبع ماء عذب إلى جانب البحر ، أمام مقبرة زغوان في عناه ، وأمامه صخرة عليها بقايا دجاج مذبح ، وعلى الصخرة الجانبية كانت شجرة مازالت مشتعلة ، وعلى الرصيف الصخري بقايا فناء ، وقد نزل الأستاذ كيال بوراوي شرح طقوسها مشكوراً .
- (٥) محمد عبد المعيد فان ، ص ٩٣ .
- (٦) المرجع السابق ، ص ٩٣ .
- (٧) محمد عبد المعيد فان ، ص ٧١ .
- (٨) سوسن عامر .
- (٩) محمد عبد المعيد فان ، ص ٧١ .
- (١٠) سوسن عامر ، ص ٣١ وما بعدها .
- (١١) محمد عبد المعيد فان ، ص ٧٥ .
- (١٢) حياة الحيوان . المجلد ٢ ، ص ٦٥ نقلاً عن : محمد عبد المعيد فان .
- (١٣) محمد عبد المعيد فان ، ص ٧٨ .
- (١٤) السعدي . ج ٣ ، ص ٣٨١ - ٣٩١ .
- (١٥) انظر الدية وكيفية دفعها عند : محمد عبد المعيد فان ، ص ٨٦ .
- (١٦) المرجع السابق ، ص ٨٨ .
- (١٧) المرجع السابق ، ص ٩٠ .
- (١٨) المرجع السابق ، ص ١١٧ .
- (١٩) اعتاداً على شهادة الأستاذ بوشامة . ثانوية وادي قبسه . عنابه بتاريخ ١٩٨٥/١١/٢٣ .
- (٢٠) د . صلاح الدين شيوخ . الأصول والتكيف في تربية المحاربين المسلمين في دولة المليك البرجية . (أطروحة دكتوراه) جامعة القديس يوسف . بيروت ١٩٨٢م (لما طبع بعد) ، ص ٦٨ .
- (٢١) محمد عبد المعيد فان ، ص ٨٧ .
- (٢٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ ، نقلاً عن البده والتاريخ للبلخي . ج ٤ ، ف ١٢ ، ص ٢٣ .

حذر تلميذ

شعر: محمد بن علي العلوي

يرفع الهامة زهواً
ولكم يقسو ويطغى
ليس في قلبه شيء
يضرب الصبية ظملاً
وإذا ما مسَّ أذنأ
وَبَحَّ أذن ورطتها
ويل من أخطأ يوماً
أو لها في القسم سهواً
أو أدار الوجه يلهو
أو أضاع الدرَّ لهما
وإذا نقطة خبر
فالأصابع تؤذني
قد ذهبنا اليوم نحني
ونغذي الفكر بالعلم وأطباق البيان
فإذا الأستاذ يشكو
أصبح اليوم مريضاً
فاقتضى الأمر طبيباً
قد أراح الله منه
ولذا جئت إلى الأ
وأقضي معها الأسبو
وتجلى كل شيء
عندما زار أبوه
حاملاً باقة زهر

في غنوّ وافتتان
مثل طغيان الزمان
من أمارات الجنان
بقضيب الخيزران
أصبحت كالأرجوان
غلطة أو غلطان
أو أتى بعد الألوان
عند شرح أو بيان
أو بدا منه التواني
لفظته الشفتان
سقطت فوق البنان
ثمن الخبر اليماني
حلو أثمار المعاني
ونغذي الفكر بالعلم وأطباق البيان
كبدأ بعد الجنان
لا يعي مما يعاني
وعلاجاً يشفيان
كل أذن وبنان
ثم أراها وتراني
غ في دار الأمان
من أكاذيب الميان
منزلي كيما يراني
من تغور الأقحوان

غخلصاً أن لا يراني
خلف جدران المباني
من أساتيد الزمان
لا يشك الأبوان
لا أعني ممّا عراني
كل غصو وبنان
منه مكر الثعلبان
مضمراً أسمى المعاني
فرّ مني وعصاني
من حنوّ وحنان
وبما شك رماني
ضاع من عمر الزمان

هرب التلميذ يهوى
ومضى يكثر لهواً
يلعن العلم ويشكو
أحكم الفرية حتى
وغدا يزعم أنني
قد أصاب الداء مني
ولكم كنت أفاصي
فأغض الطرف حلماً
رغم هذا وجهودي
رغم ما كان يلاقي
وأتى المنزل يقري
يُظهر الحزن على ما

★ ★ ★

ورأت هند فتاها
يقصد البيت ويعدو
راعها منه قدوم
ثم قالت وهي ترنو
ما جرى في الكون حتى

خلف زهر الأقحوان
مسرعاً مثل الحصان
وقت تنظيف الأواني
لفتاها المتواني
جئت من قبل الألوان

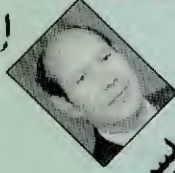
★ ★ ★

قال يا أمّ سئمنّا
ما رأينا منه إلا
فهو دوماً في عبوس

وجه ذاك الأفصوان
غضباً في كل آن
ويداه تبطشان



إعداد: محمد الصادق عبد اللطيف



د. سعد دعبس

نظرية عربية.. في النقد

تطور الأدب

●● الكتابة الأدبية

تطور حسب سير الزمن ..
ماذا يعني هذا التطور في
نظركم من خلال رؤية
نقدية معاصرة؟

● إذا كانت التيارات المائية تتجدد في
النهر المتدفق في كل لحظة، فتيارات الإبداع
الفني والأدبي يصدق عليها ذلك المقياس؛
فالمؤثرات السياسية والاجتماعية والثقافية المؤثرة
في أدب العصر الأموي، تختلف إلى حد
كبير عن مثلتها في العصر العباسي،
والفنان لا بد أن يتأثر بتغيرات العصر - على
صورة من الصور - ولكن تجدد التيارات في
النهر لا يعني القطيعة مع النهر، وكذلك تجدد
التيارات في الإبداع الأدبي، سواء كانت
تيارات متعلقة بالضمون أو الشكل، هذا
التجدد لا يعني القطيعة أبداً مع نهر الشعر
العربي، أو بتعبير آخر: مع ينباع العمق
والأصالة في نهر التراث العربي.

تطور النقد

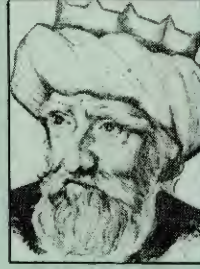
●● هل أدى هذا

تظل قضية الإبداع في الأدب العربي من القضايا التي
تستأثر باهتمامات الأدباء والنقاد على السواء، تطلعا منهم
لإيجاد حركة أدبية عربية إبداعية معاصرة فاعلة، تضيف إلى
تراثنا الأدبي العربي جديداً يعكس معطيات جيل عاش
عصره بكل أبعاده .. جيل مارس حضوره بجدية وجدارة.
وتأتي قضية النقد في الأدب العربي المعاصر من القضايا
الملتزمة بالعملية الإبداعية التزاماً مترابطاً .. ويسعى
المخلصون من النقاد في الوطن العربي إلى إيجاد نظرية نقدية
عربية خالصة، تستقل عن نظريات الغرب المستوردة.
وقد تعددت أصوات النقاد العرب .. ويأتي صوت
الدكتور سعد أحمد دعبس واحداً من الأصوات الداعية إلى
الإبداع في الأدب، وإلى إيجاد نظرية عربية تتفق وإبداعاتنا
المعاصرة.

من هذه المنطلقات يأتي لقائنا هذا مع الدكتور سعد
دعبس لإلقاء الضوء على أفكاره ورؤاه النقدية.



★ د. سعد دعبس ★



★ ابن قتيبة ★

التطور دوره .. وهل يمكن
لنا أن نبدع به فتناً نقدياً
جديداً لكتابة معاصرة؟

● كان كثير من نقّاد العرب القدامى يؤمنون بالتطور، ويقفون مع الجديد. لقد أعلن «ابن قتيبة» ذلك في مقدمة كتابه «الشعر والشعراء»، وأداته من يهاجموا الجديد، لا شيء إلا لأنه جديد، ويشنون على القديم لا شيء إلا لأنه قديم، كما وقف «ابن المعتز» أيضاً مع الجديد، ويشارك معها في ذلك الاتجاه آخرون، على رأسهم: ابن بسّام في مقدمة «الذخيرة»، وصاحب «يتيمة الدهر» وغيرهما.

ولحرص هؤلاء النقاد على مواصلة مسيرة التطور، فقد حرصوا دائماً على إزالة الأعشاب الطفيلية، والصخور التي تدمي أقدام الشعراء في انطلاقاتهم الإبداعية، فأباحوا للشاعر ما لا يباح للنّاثر، وأجازوا له قصّر الممدود، ومدّ المقصور، إلى آخر ما تناوله من كتبوا في باب «الضرائر الشعرية»، ولم يجعلوا قضيتي الإيمان والكفر، سلاحاً يُشهّر في وجه الشاعر، بل نادى صاحب كتاب «الوساطة بين المتنبي وخصومه» القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، بأن سوء المعتقد لا ينبغي أن يتدخل في حكمنا الفني على شاعر، ولو كان سوء المعتقد عاملاً مؤثراً في النقد الأدبي لوجب أن نسقط من قائمة الشعراء الكبار في الشعر العربي، أبو نواس وأمثاله.

لكن هؤلاء النقاد - في تمجيدهم للجديد - كانوا دائماً ينطلقون من منطلق يقوم على الاعتزاز بالتراث، ومحاوله تعميقه وتأصيله، وتطويرة أيضاً، وهذا ما ندعو إليه

تصوّر عربي إسلامي في هذه المجالات، ونأمل أن يمتد ذلك إلى مجالات العلم الأخرى، ونحن المشتغلين بالدراسات الأدبية، نأمل أن يمتد ذلك إلى مجالي: الأدب العربي والنقد العربي.. نأمل أن ينطلق الأدب العربي المعاصر من منطلق الأصالة المتكئة على المعاصرة، وأن يقدم للعالم الشرق العربي الذي بهر «لامرتين» و«جوته» وغيرهما في تجارب إنسانية نبيلة.

كما نأمل أن يتحرر النقد العربي من حصار بعض المصطلحات النقدية التي لا تمثل واقع الأدب العربي، ولا تنسجم مع خصائصه الفنية، بل هي - وبخاصة في مجال الشعر - أشبه بمصطلحات مفروضة على النص الشعري.

وحيث إنّ لنا ذلك سيأتي اليوم الذي يُبدع فيه النقاد العرب، نظرية نقدية عربية، تحرر الأدب العربي من قيود الشعارات والمصطلحات التي لا تتواءم مع واقع النص الأدبي، بل.. وتُعطي أحكاماً مضلّة، وتسوق إلى نتائج متعسفة ظالمة.

وينبغي لنا أن نحذر أشدّ الحذر من بعض الدراسات النقدية المتعسفة، تلك الدراسات التي تفسّر حركة «الشعر الحر» - مثلاً - بأنها قطعة مع التراث، بل.. وتعتبر ثورة وتمرداً على التراث العربي.

الآن، فنحن ندعو إلى انطلاق النقد المعاصر من منطلقين: الأصالة والمعاصرة.

فالقارئ العربي أشدّ ما يكون حاجة الآن - في مجال الدراسات الإنسانية - إلى تأصيل الفكر العربي، وإيجاد تصوّر عربي للقضايا الفلسفية والأزمات الحضارية التي يطرحها الفكر الأوروبي المعاصر، ذلك لأن الصراع المذهبي العالمي في عصرنا الحاضر، قد أصبح واقعاً مريراً يفرض وجوده على القارئ العربي، وأصبحت المذاهب الفلسفية والاقتصادية، والسياسية التي تتصارع في أوروبا، هي نفسها التي تمرق الساحة العربية، وتحاصر الفكر العربي، وتسدّ عليه مسالك الطرق ومعالها، فلا يكاد يتبين وقع أقدمه، ولا أين تسري به الخطى، ولا كيف يلتبس معالم الطريق..!

وقد آن لنا أن نخرج من مرحلة انعدام الوزن، وفقدان الوجود الخاص، في متاهة التصور الأوروبي، إلى مرحلة البحث عن الذات، والبحث عن رؤيتنا الخاصة، وعيوننا نحن.. لا «عيون الآخرين».

شيء من هذا حاوله بعض العلماء العرب أخيراً في مجالات علم النفس والتربية، بإيجاد

الأدب.. بين الدين والفلسفة

●● الأدب فني
نظركم.. هل هو دائماً
روحي المذاهب؟ أم ينبع
من فلسفة ذاتية؟ أم هو

* نأمل أن يتحرر النقد العربي من حصار بعض مصطلحات النقد . * أن لنا أن نخرج من حالة فقدان الوجود الخاص إلى مرحلة البحث عن الذات .

نقطة تتطلب تفسيراً معاكساً ؟

● كلمة « الأدب » كلمة شاملة لفنون عديدة ، كلٌ منها له طابعه الخاص ومقوماته الخاصة ، فالقصة — مثلاً — غير المسرح ، وغير المقال ، وكلٌ من هذه الفنون يختلف عن فن الشعر ، ومنذ قديم الزمن تراوحت المصادر الفلسفية للأدب بين المثال والواقع ، فأقلاطون يرى في « محاوراة إيون » أن الشعر وحي من الآلهة ، لا فضل للشعراء فيه ، بينما « أرسطو » يقيم نظرية الشعر على محاكاة الواقع ، ويمجد المحاكاة ، ويرى أنها خلق جديد للواقع ، وأن فيها تطهيراً للنفس الإنسانية ، وتهذيباً لها ، وإذا كان « الكلاسيكيون » يقيمون فلسفتهم الأدبية على عقلانية أرسطو ، ونظريته في المحاكاة ، « فالرومانسيون » يشيرون على هذه العقلانية ، ويجعلون « العاطفية » المتدفقة منطلقاً لأدبهم . ويبقى بعد ذلك أن نقول — فيما يتصل بالشعر — إن بعض النقاد يرى رسالة الشعر ، متعاقفة ومتآزرة مع رسالة الدين ، وأهمية الشعر في تحقيق جوهر الإنسان ، منسجمة مع أهمية الدين ، ذلك لأن الأدب شعور وإيمان ، وكذلك الدين شعور وإيمان ، يقول (دونلي) :
« إن الشعور في الدين يكون عبادة ، وفي



* أبو نواس *

الفن يكون تجسداً للمثل ، والأدب والدين يهدفان إلى مثل عليا ، ويبحثان عن الحقيقة القصوى ، والأدب والدين متعانقان ، لا يختلفان في الجوهر ، لكنهما يختلفان في طريقة أداء رسالتهما .

ورؤية الإنسان الخاصة للوجود ، لا تتناقض مع التيارات الروحية أو الدينية ، وبخاصة فيما يتصل بالعقيدة الإسلامية ، فكلُّ مسلم ، مُطالبٌ باستخدام العقل ، وأن يقدم تأملهُ الخاص للكون والطبيعة ، ومُطالبٌ أيضاً بأن يتأمل نفسه ، والآيات القرآنية الكريمة الداعية بشدة إلى ذلك المنهج التأملي ، تميز القرآن الكريم بميزة خاصة ، هي : أنه كتاب العقل والمنهج ، كتاب يجعل التفكير — كما يقول « العقاد » — فريضة على الفرد المسلم ، وفي ظل الفكر الإسلامي ازدهرت عالمية الشاعر

الباكستاني محمد إقبال — في العالم الحديث — .

رحلة الكاتب .. والتجربة

●● يعتبر الكاتب بدايته مرحلة الملاحظة ، ثم مرحلة القراءة ، ثم مرحلة الخاض والتجربة .. هل عندكم من تحديد لهذه المعالم من خلال تجربتكم الأدبية ؟

● تكاد هذه المراحل تمتزج امتزاجاً تاماً ، فالموهبة الأدبية لا تعترف بهذه المراحل ، وإنما تفرض نفسها في لحظة معينة على الأديب ، ولا تنتظر لحظة النضج التام . إن ذلك الأديب يُحسُّ فجأةً حاجته الملحة إلى نظم الشعر ، ولا ينتظر المزيد من القراءة والنضج ، وقد يتعثر في البداية ، ولكنه يواصل مسيرته ، محاولاً الاستعانة على الإبداع بالقراءة ، والمعاناة اليومية ، ومحاولة التجريب الدائم ، — وبالنسبة لي — فقد اكتشفت موهبة الشعر في نفسي في نهاية المرحلة الابتدائية ، ونظمت شعراً ساذجاً ضاع كُله مني ، وكانت أول قصيدة تنشر لي بمجلة الرسالة القديمة (رسالة الزينات) سنة

د . سعد أحمد دعيبس ..
في سطور

● من مواليد محافظة البحيرة ، مدينة دمهور — مصر عام ١٩٥٢ م .
● تخرج في كلية دار العلوم ، ثم نال دبلوم معهد التربية العالي للمعلمين .

● كان موضوع رسالة الماجستير عن « الغزل في الشعر العربي الحديث » بامتياز .

● وموضوع رسالة الدكتوراه « الغربة في الشعر العربي الحديث » بمرتبة الشرف الأولى .

● أسهم في أمسيات الشعر والنقد الأدبي في « رابطة الأدب الحديث »

و « اتحاد الكتاب » بالقاهرة .
● مؤلفاته المطبوعة :

١ — الغزل في الشعر العربي الحديث .

٢ — تيارات معاصرة في الشعر الجاهلي .

٣ — حوار مع الشعر الحر .

٤ — التيار التزائي في الشعر العربي الحديث .

٥ — أغاني إنسان (ديوان شعر) .

٦ — اعترافات إنسان (ديوان شعر) .

● نشرت أعماله في عدد من المجلات العربية البارزة .

✻ ✻ ✻

نساء

شعر: عارف الشيخ

وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُنْصَفٍ مَنْ يَتَّقِي
فَعَلَامٌ يُسَلِّمُنِي الزَّمَانَ لَأَمْرٍ؟
جَارِ الزَّمَانَ عَلَيَّ دُونَ تَرْفِقِ
إِنَّ الْوَفَاءَ رَهِيْنُ عَصْرِ أَحْمَقِ
قَدْ شَيَّتْ بِالْهَوْلِ أَعْلَى مُفْرِقِي
وَعَرَبَهَا فِرْقٌ فَأَنْتَى نَلْتَقِي؟
مُتَفَرِّقِينَ الْيَوْمَ شَرُّ تَفَرِّقِ
عَصَفْتُ بِمَاضِينَا الْمَجِيدِ الْأَعْتَقِ
جُزْنَا الْقَفَارَ عَلَى ظُهُورِ الْأَيْتَقِ
لَوْلَايَ عِلْمُ الْغَرْبِ لَمْ يَتَأَلَّقِ؟
وَالْغَرْبُ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاهِلِ يَسْتَقِي
فَعَلَامٌ يُدْعَى غَيْرُنَا بِالْأَسْبَقِ؟
وَعِدَا بَعْلَمِ نَحْنُ غَرْبٌ يَرْتَقِي
لَا يَسْتَهِينُ بِهَدْيِهَا إِلَّا شَقِي
إِلَّا الْيَسِيرُ فِي نَطَاقِ ضَيْقِ؟
أَوْ مَا بَهَرْتُ الْعَالَمِينَ بِمَنْطَقِي؟
وَلَوْ أَنَّهُ فِي الْمَهْدِ غَيْرُ مُفْتَقِ
أَنْصَفْتُ كُلَّ مُغْرَبٍ وَمُشْرِقِ
فَعَلَامٌ أَذْهَبَتْ الْحَيَاةُ بِرَوْنَقِي؟
وَنُسِبْتُ زُورًا لِلْجُمُودِ الْمُطْلَقِ
فَأَتَوْا بِقَانُونٍ جَدِيدٍ أَخْرَقِ
آيَاتَهُ وَ«سَاوَسَ» الْمُتَحَذِلِقِ
زَيْفُ الْكَهَانَةِ أَوْ لِسَانُ الْمُفْلِقِ
بِالْهَدْمِ وَاعْثُوهُ هَلْ مِنْ مُشْفِقِ؟
أَفْغَانٌ صَبْرًا فِي ظِلَالِ بِنَادِقِ
إِنْ جُرَدْتَ فَوْقَ الْفَيْالِقِ تَفَرِّقِ
تِلْكَكُمْ أَمَانٍ بَعْدَ لَمْ تَتَحَقَّقِ

لِمَنْ الْقَرِيضُ أَزْفَهُ أَوْ أَنْتَقِي؟
لَأَنِّي أَمْرٌ لَا أَسْتَرِيحُ لِمَارِقِ
حَلَّتْ عَلَيَّ نَوَائِبُ مَنْ لِي وَقَدْ؟
وَلَى الْوَفَاءِ فَلَمْ نَفْزْ بِعَهْدِهِ
إِنَّ الْحَيَاةَ وَقَدْ جَرَعْتُ هَوَانَهَا
رَبَاهُ إِنَّ الْقَوْمَ فِي شَرْقِ الْبِلَا
قَامَتْ عَلَى بَثِّ الْخِلَافِ مَذَاهِبُ
مَنْ لِي وَقَدْ دَارَتْ عَلَيَّ عَوَاصِفُ؟
رُمْنَا الدُّرَى خُضْنَا الْبَحَارَ بِهَمَّةِ
هَلْ يَعْلَمُ الْغَرْبُ الْعَظِيمُ بَأَنَّهُ
فَأَنَا الَّذِي فَجَّرْتُ كُلَّ صَنَائِعِ
وَأَنَا الَّذِي أَبْقَضْتُ كُلَّ مَوَاهِبِ
عَجِبًا بَنِي الْإِسْلَامِ أَخْفَقَ نَجْمُكُمْ
لَأَنِّي أَنَا الْإِسْلَامُ تِلْكَ شَرِيعَتِي
مَا بِالْكَمِّ لَا تَذْكُرُونَ فَضَائِلِي
أَوْ مَا مَلَأْتُ حَيَاتَكُمْ بَعْدَ التِّي
وَالْمَسْكُ يَعْبَقُ طَيْبُهُ وَأَرْبُجُهُ
عَالَجْتُ كُلَّ عَوِيصَةٍ بِسَمَاحَتِي
وَوَهَبْتُ أَبْنَاءَ الْحَيَاةِ سَعَادَةً
زَعَمُوا بِأَنِّي نَعْمَةٌ رَجَعِيَّةٌ
قَالُوا نَجْدَدُ فَلَنَقْنَنَ شِرْعَةً
شَتَانُ بَيْنَ «مُنْزَلٍ» قَدْ أَحْكَمْتُ
ذَاكُمُ هُوَ الْقُرْآنُ لَيْسَ يَنَالُهُ
الْقُدْسُ أَوْشَكَ أَنْ يُطَاوِلَهُ الْعَدَى
وَنَسِي فِي «الْأَفْغَانِ» طَالَ وَقُوفُهُمْ
أَنْتُمْ سُيُوفُ اللَّهِ فِي دُنْيَا الزُّورِ
هَلْ فِي «بَنِي» بِوَسَائِلِ أَمْثَالِكُمْ

١٩٥٠م ، وأنا طالب بكلية دار العلوم ،
وهي قصيدة تصور الاغتراب الروحي في
المجتمع ، بعنوان « في القاع .. يا رب » .

الكاتب .. والثورة

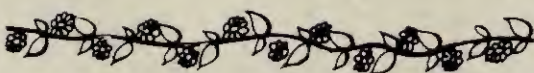
● هل توافقون على

أن الكاتب ثائر؟ وكيف

تبرر ثورته إن وجدت؟

● الكاتب والشاعر والفنان بصفة عامة
يعاني من التوهم والإشراق ، ما يقرب من
الوجد الصوفي ، إنه يعاني في لحظة الإبداع
من التوتر النفسي ، والفيض العاطفي ، ما يجعل
واقع المجتمع الراكد المحدود بتقاليد معينة ، وقيم
محدودة ، عاجزاً عن إشباع إشراقاته الروحية ،
والفن ينطلق من الجزئي إلى الكلي ، ومن الحيز
المحدود ، إلى لا نهائية الكون ... !
ولكن .. أي ثورية يؤمن بها الشاعر أو
الكاتب ؟ .

في رأيي أن ثورية الشاعر المسلم أعمق هذه
الثوريات ، لأن رسالته لا تتوقف عند
طموحات الثوار الآخرين .. إنه بليغ يريد
تغيير العالم كله .. إلى عالم مخضوضر بمبادئ
الحرية والإخاء والمساواة .. ! وأن الأرض لله
يُورثها من يشاء من عباده الصالحين ...
وخلافة الله في الأرض .
وهذه أعظم ثورية تقضية في العالمين :
الجديد والقديم .



الإنسان بطبيعته فيه غريزة الانتماء والولاء ، والإسلام يركز على هذه الناحية وينميها ويؤصلها في قلب المرء .. ومصدر التشريع في الإسلام كتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم يؤكدان على هذه الناحية ويزكيانها . ومن هنا يلمس الإنسان اهتمام الإسلام بمخاطبة العقل ، والدعوة للتبصر والسؤال عما يحمله الإنسان . وإذا غاب هذا الوازع ، وانحى الرشد للمرء من تيه الضلالة وهو المصدر التشريعي السامي تاه الإنسان ، وضاع معتقده ، فأصبح كالغريق الذي تتقاذفه الأمواج يبحث عن قشة يتعلق بها ، وقشرة صغيرة يراها فيحسبها جسماً ، وعندما تمسك بها يدها تهوي به في القعر فتسبب له الغرق ومن ثم الهلاك .

عن عزائب المعتقدات

بقلم: د. محمد بن سعد الشويمير

تعمل ما تشاء ، تيمناً وتبركاً حتى لو هلكوا جوعاً .

وعن سر عبادة البقرة وتعلقهم بها ، قال : إننا نعتقد بوجود مشكلات كثيرة تأتي الإنسان بعد الموت ، وإن أماننا أنهار لا نستطيع عبورها ، فإذا وقفنا لتجاوز للجهة الثانية ، جاءت البقرة فتعلقنا بذنبها فتخرجنا من هذه المشكلات المعترضة ، ونجاوز معها بأمان ، ولذا نسجد لها ونعجبها ، لأنها تسبح بنا إلى عالم آخر .

وحكى لنا السائق شيئاً أغرب عن معتقداتهم ، وأغرب من عبادة البقرة ، فقال : نحن نسجد مرة في السنة للكلاب ، وخاصة كلاب الحراسة ، ونعمل لها أطواقاً من الزهور ونعلقها في أعناقها . ولا نتعرض للكلاب بأذى .

وسر هذا الاعتقاد أن هذا الكلب هو الذي يدخلهم الجنة بعد الموت ، كما يقول السائق ، لأنه يجرسها فيعرفهم بما عملوا له في الدنيا فيجازيهم بهذا العمل بعد الموت .. لأن الجنة كما يزعمون فيها أشجار ومأكولات ، وعلى أبوابها كلاب تحرسها ، فهي لا شك ستعرفهم بعد الموت لأنهم قدموا لها هذه العبادة . فلا تنجح عليهم عند الدخول ، ولا تمنع دخول إلا من لم يعيدها .

وهذا سر عبادتها سنوياً . ولذا فلنهم يحترمون الكلب ويقدمون له المأكولات ، وهذا

دائماً ويعرف بلاده كلها شبراً شبراً ، ويجيد اللغة الإنجليزية ، فرصة للدخول معه في الحديث بعد أن زادت صحبة السفر عن عشرة أيام ، نتجول خلالها في أطراف البلاد سياحة واستطلاعاً . وقد بدأنا بسؤاله عن البقرة وقانون الجزاء لمن يقتلها أو يأكل لحمها ، فقال : إن قانون الدولة يحرم ذلك ، والجزاء هو السجن مدى الحياة لمن يعمل ذلك ، والبقرة تركت حتى تموت ولا يؤكل لحمها .

أما لو دهسها سائق في الطريق العام ، فإن الجزاء عليه سجن لمدة عام ، وغرامة قدرها ثلاثة آلاف روبية نيبالية تعطى لصاحبها وللدولة ، هذا في أول مرة ثم يضاعف الجزاء إذا تكرر العمل .

عبادة البقرة والكلاب

فسألناه عن سر عبادتهم للبقرة ، فقال :

أولاً - إن المرأة الوديعه الهادئة الخلوقة عندنا تسمى بقرة لأنها اتصفت بصفاتها لأن البقرة طبيعتها الهدوء بعكس الثور والجاموسة ، فالبقرة لا تؤذي وكثيرة الخير ، وتدر اللبن ، وتنتج بالتوالد . ولذا تحرص النساء على الاتصاف بالوداعة وخلعة الأزواج لتتصف بهذه الصفة المحببة .

والناس لا يمنعون البقرة من أكل حوائجهم وبضائعهم ، بل يفرحون بذلك ، ويتركونها

وهذا ما يحصل بالنسبة لمعتقدات كثير من شعوب الأرض ، ففي إفريقيا نسمع العجائب في عبادات الوثنيين ، وفي روسيا نلمس أن الشيوعيين بعدما فرضوا مذهبهم ، واعتبروا الدين أفيوناً للشعوب ، واعتبروا المادة هي كل شيء ، رجعوا رغماً عنهم إلى المعتقدات التي تاهوا عنها ، واحترت عقولهم فيما يتمنون إليه .

وأثناء زيارتي إلى نيبال لفت نظري في الطرق الصحراوية ، وفي القرى كثرة : القران ، والأبقار ، والكلاب .

ومحب الفضول طلبت من المترجم وهو مسلم من تلك الديار تفسيراً لذلك ، فقال : لا أعلم لذلك شيئاً إلا بعض المعتقدات حول البقرة ، ذلك أننا معاشر المسلمين ننزل في بعض القرى عن الاختلاط بالهندوس ولا نعرف عن عاداتهم ومعتقداتهم إلا الشيء اليسير .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر فلن الجهل المتفشى عند كثير من الهندوس يجعلهم لا يعرفون هم أنفسهم كثيراً من أسرار المعتقدات التي وقعوا فيها ، أو سار فيها بعضهم ، لأن من كثرة المعتقدات عندهم أصبح بعضهم لا يعرف عن معتقد البعض الآخر شيئاً . ولذا وصفت الهند بأنها ذات الـ ٤٠٠ ديانة .

وكانت فرصة الرحلة الطويلة التي صاحبنا فيها سائق هندوسي متعلم وهو يصاحب السياح

من أسباب تناسلها وكثرتها في كل مكان حتى في العاصمة «كاتمندو» .

وهذا أيضاً دفعنا للسؤال عن أسباب كثرة الغريان ، وهل أسباب ذلك كثرة الجيف ، أم هناك سر آخر ؟

فقال : إن الغراب له مكانة في نفوسنا ونحترمه ، ونعبد ، فهو الذي يأتي لنا بالخبر الطيب ، ونقدم له القرابين .

ولعل تعلقهم بالغريان له علاقة بتعلق الجاهليين العرب قبل ظهور الإسلام ، بل وتعلقهم بكل شيء حتى الشجر والحجر .

دفعنا هذا الكلام للاستزادة ، خاصة وأن الطريق الطويل في حاجة إلى تزجيته وتخفيف بُعده بما تشوق إليه النفوس ، ذلك أن كل أمر مستغرب تتطلع إليه النفوس ، وتريد المعرفة لجوانبه للفائدة من جانب ، ولحمد الله وشكره على نعمة الإسلام التي لا يعدلها نعمة .

فلولا هداية الله لنا معاشر المسلمين لهذا الدين العظيم ، لتهنا في الحياة الدنيا ، كما تاهوا ، قال تعالى : ﴿ ولو شاء ربك لهدى الناس جميعاً ﴾ . ومن نعمته سبحانه التي لا يعدلها نعمة الهداية لمعرفة حقيقة الإسلام ، والإعانة على العمل وفق شرعه الذي شرع سبحانه ، ووفق سنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم .

يتضح الأمر جلياً للمسلمين إذا رأوا أو سمعوا أمثال هذه المعتقدات التي هي أقرب للخيال منها للواقع ، وللتندر أكثر مما هي واقعة حقيقية .. نسأل الله الثبات على دينه ، والعصمة من مضلات الفتن .

لقد زادنا السائق توضيحاً عن بعض المعتقدات التي ساروا عليها في هذه البلاد ، وذلك أن بعض النسوة تحجم عن الزواج ، وتقرر الواحدة منهن التنسك والعبادة ، فتعتزل الحياة وتدخل المعبد ، ويكون لها فيه مكان خاص ، وتلبس الخشن من الثياب ، فيقصدها الناس يعبدونها ، ويهيم بها كبار القوم حتى أعلى طبقة في المجتمع يزورها ويسجد لها . وترتفع في نظرهم عن طبقة البشر إلى طبقة الألوهية حيث

والشيخ ، كما قال مدير العلاقات بذلك المعبد ، لا يعبدون إلا الله ولا يعبدون الأصنام ، ولا توجد التماثيل في معابدهم ، ولكن كيفية هذه العبادة غير معروفة . ولم نعرف لهم نوعاً من العبادة ولا أوقاتاً معينة للعبادة غير ما رأيناه في ذلك المعبد وسماع التراتيل على أنغام الموسيقى الصاخبة .

ومن شعائر الشيخ الدينية ، وهي أقرب إلى العادات منها إلى العبادات ، أنهم يتمسكون بخمسة أشياء تميز الشيخ عن غيرهم ، وهي :

الشيخ .. وعباداتهم

دفعنا هذه الفضوليات للاستزادة ومعرفة شيء عن الشيخ وعباداتهم وهل يوجد في نيبال منهم أحد ، خاصة وأنه قد أتيح لنا زيارة معبد من أكبر معابدهم في نيودلهي بالهند ، ورأينا فيه ضخامة في البناء ، وتنظيماً ونظافة في فرشته ورداته ، وتماشكاً فيهم من حيث التبرعات والاستضافة لكل وافد لمدة ثلاثة أيام بالجان سكناً وأكلًا ، وترغيباً في التعريف بالدين لكل وافد إليهم دون أن يأخذوا منه أي مقابل نظير حفظ الأحذية التي لا يسمح الدخول فيها ، أو الشرح مع الدليل ، أو الأكل والسكن لمن يرغب ولو كان من غير ملتزم .

فعبد الشيخ واسمه «قروود وارا» ومعنى ذلك مدخل الأستاذ الكبير . أما الكتاب الذي يقدسونه فاسمه «قروورند» أي الكتاب الديني للأستاذ الكبير .

وقد رأيناهم يقدسون هذا الكتاب الذي وضع له بناية بابها من زجاج ومضاءة ، مفتوحة صفحاته ، وحوله فرقة موسيقية تضرب وأناس يرتلون منه الأناشيد ، فهذه هي العبادة . وكل من دخل يسجد أمام الكتاب . ويقدم له التحية ، وكانوا من قبل يعلقون هذا الكتاب في بيوتهم ، إلا أنهم في الآونة الأخيرة وبعد مقتل أنديرا غاندي ، ومشكلات الشيخ الطائفية مع الهندوس أعلنوا فيما بينهم منع تعليق هذا الكتاب في البيوت ، بحجة أنه من التماثيل ، لأنه في نظرهم يشبه عبادة الأصنام .

١ - عدم أخذ شيء من شعورهم في أي موضع من الجسد سواء للذكور أو للإناث ، بل يبقون كل شيء على حالته وطبيعته التي أخرجهم الله عليها .

٢ - لبس سوار من الفضة أو مطلي بالفضة باليد ، وبعد اختراع النيكل والاستيل صاروا يكتفون بذلك لأنه أرخص ، وهي غالباً اليد اليمنى .

٣ - وضع المشط في الشعر وتحت العمامة ومثبتاً في شعر المرأة ، وبعضهم يكتفي بحمله معه .

٤ - لا بد من حمل سيف أو خنجر صغير .

٥ - التقيد بالعمامة الكبيرة ذات الشكل الخاص ، وترتبط بقابض لشعر اللحية من العارض إلى العارض لثنيه بشكل خاص بحيث يبدو كأنه مقصوص .

ولا شك أن لكل عادة من هذه العادات رمزاً معيناً في معتقداتهم ، فهم من شدة محافظتهم وتماشكهم لا يفصحون عن هذه العادات وأصلها في المعتقد .

والشيخ في الهند طبقة ثرية جداً ، وعندهم جمعيات تعاونية ، ولا يسمعون للفقر منهم بأن يتسول ، بل يؤمنون له العمل ويعاونونه .

وقد بدأوا في التقرب للمسلمين بعد الاصطدامات بينهم وبين الحكومة الهندية ، وقتل أنديرا غاندي ، حيث غضب الهندوس

عليهم وقتلوا منهم مجموعة كبيرة تقدر بأكثر من عشرة آلاف نفس في مرة واحدة .

وقد وجدنا قصيدة من أناسيدهم التي يرتلوها بالمعبد ، وفيها بيت من الشعر خلاصته أننا لا نعبد إلا الله .

ولكن فكرة التقارب مع المسلمين في الآونة الأخيرة قد تكون للاعتبار السياسي فقط ، حيث يرى بعض المسلمين في الهند أن من المعتقدات في إبقاء الشعور عند السيخ هو عهد أخذوه على أنفسهم بقتل المسلمين وإخراجهم من الهند حيث سبق أن سجل التاريخ مذابح بينهم ، وأن كل شخص لا يخلق شعره حتى يقتل مائة من المسلمين .

عقيدة الهندوس

وعن عقيدة الهندوس في نيبال في الكلب ، فإننا في إحدى الغابات بعد ما أعدنا غذاءنا والناس يتفرون علينا ، ولا ندري هل ذلك فضولاً أم تعجباً ، قد أعطيناهم ما تبقى ، فرفضوا أكله وطلبوا أن نعطيهم كلباً قريباً منا ، فقلدناه له فأكله .

وكنا نظن ذلك تعقفاً منهم ، أو خوفاً من أن يصيبهم ضرر من هذا الطعام وهو « الكبسة » الذي لم يتعودوا عليه .

ولكن عرفنا فيما بعد سراً آخر ، وقد يكون السبب في عزوفهم ، ذلك لأن من معتقدات الهندوس أن المسلمين خاصة وغير الهندوس عامة نجسين وأنه يحرم استعمال كل شيء لمسوه ، كما فهمنا من بعض الإخوة في الهند ونيبال . وقد كانت العادة قبل ثلاثين عاماً أن المسلم إذا لمس بضاعة التاجر أو مأكولات لدى البائع ، فإن عليه أن يشتري هذا كله لأنه لا يمكن أن يستعمله هندوسي بعد ذلك . والويل له إذا لم يدفع ثمن ذلك كله .

وفي حالة طلب المسلم ماء ليشرب فإن الهندوسي يشير إليه عن موضع الإناء فإذا شرب المسلم يؤمر برمي الإناء ولا يستعمله الهندوسي بعده أبداً .

ومنذ ثلاثين عاماً فقط صدر أمر في نيبال « قانون » من الملك بمنع ذلك ، ومعاقبة من يثير هذه العادة من جديد بالسجن . ولكن لا زال لذلك جذوراً في القرى والمناطق الريفية يجركها بعض الكهنة خفية ، ليجودوا ثغرة بين الهندوس والمسلمين .

أما عن المعتقدات الدينية ، فذلك شيء غريب ، وعندهم من المعتقدات والعبادات ، ما لا يحظر على بال إنسان عاقل ، وكل شيء فيه قوة كالأنهار والأشجار ، وبعض الحيوانات والكائنات فهو يعبد ، ويذكرنا ملسناه من كثرة المعتقدات بما نقرؤه عن الوثنيات الجاهلية التي جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي من عند ربه ليظهر المعتقدات ، وليزيل ما نقرؤه في النفوس من تعلق بغير الله ، ولعل ما نقرؤه عن الديانات في الهند تزيد عن (٤٠٠) معتقد ، جاءت من هذا الجانب . وإن مالمسته في الهند ونيبال أثناء تجوالي بتلك البلاد ، لبرهان صادق على صحة ذلك القول .

وكنت قد قرأت من قبل كتابين للدكتور الأعظمي ، وللأستاذ محمد المجذوب ، عن عجائب المعتقدات في تلك الديار ، فتابعت ذلك من باب المتعة مع مساورة الشك في صحة ذلك ، لأن في الأمر أشياء قد يتصورها المرء من ضرب الخيال . ولكن بمشاهدة ذلك واقعاً ملموساً تتغير معه الصورة ، ويستيقظ الضمير الحي ليحمد الله على نعمة الإسلام ، تلك النعمة التي لا يدانيها نعمة ، قال تعالى ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَل لَّا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنْ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . (سورة الحجرات ، آية ١٧) .

ولقد عرفت عن بعض غرائب المعتقدات لدى البوذيين والهندوس والسيخ ، مما يقف دونه العقل حائراً ، وسوف أحاول الكتابة عما رأيت وشاهدت من تلك الأحوال ، ونحمد الله تعالى على الهداية للإسلام ، ومعرفة الحقيقة التي أنارها الإسلام بشريعته ، وأوضححتها المصادر التي لا لبس فيها ولا تشكيك ، لأنها من عند

الله العزيز الحكيم ، وأبانا رسول الله الكريم صلى الله عليه وسلم ، حيث أوصى أمته بقوله صلى الله عليه وسلم في آخر حياته : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي أبداً ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي » ، نسال الله السلامة من الفتنة ، والاستقامة على الحق مادامنا على هذه الحياة ، حتى نلتقي الله بعقيدة سليمة حسبما يرضيه سبحانه عنا . فإن الإنسان لا يدرك عن النعمة الكبيرة التي حبانا بها الله في العقيدة ، وفي وجود ولاه أمر يدفعونا لذلك دفعاً لإقامتهم شرع الله ، وتنفيذ حكمه الذي هو أرفأ بالمجتمعات من كل متقول ومدعي .

لا يدرك هذه النعمة إلا بعد مغالطته لأجناس لهم معتقدات ونزعات يأبأها العقل السليم ، وتفر منها الطباع الصحيحة المتبصرة ، كما أخبر الله سبحانه ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ (سورة الحج ، آية ٤٦) .

ومن تلك المعتقدات التي لفتت نظري عندما كنت في نيبال ، حيث معقل البوذية ، ومكان مولد بوذا ونشأته ، وأكبر معابد البوذيين ، فقد بت ليلة في فندق صغير بإحدى المناطق القريبة من الحدود الهندية ، واسترعى اهتمامي صوت دقات أجراس من الساعة ٣ ١/٢ الثالثة والنصف صباحاً وحتى طلوع الشمس ، ويدافع الفضول استرغبت عن السر ، فقبل إن بجوار الفندق معبداً من معابد البوذيين ، وإن أبرز مظهر من مظاهر العبادة هو ضرب الجرس ، فكل من أراد الذهاب لعمله في هذا الوقت المبكر مَرَّ بهذا الجرس الكبير في مقدمة المعبد وضرب به ثلاث مرات ، وذهب لشأنه ، فالعبادة تتمثل فقط في هذا المنحى ، وقد وقفت في الصباح عند هذا المكان أرى غمازج من هذه الطقوس ولا شيء غيرها .

ولذا كثرت الجرائم والفواحش في مجتمعات هذه معتقدات أهلها مع أنهم من أطوع الأمم استجابة للأنظمة إذا فرضت ، والسلطة إذا قوت . . والله الهادي إلى سواء السبيل .

●●● الشرفاء في بعض

آماد بعيدة من عمر الشعر العربي القديم ، أو أنه نشأ نتيجة أخطاء الرواية الشفوية أو أخطاء شاعر معين وهذا ليس بعيد ، ولكن أن نجعل كل الشعر الذي جاء على وزن الطويل شعراً فرضته التبعية والتقليد ، وأن نجعل كل أشعار الوزن البسيط حدثت خروجاً على القاعدة ، أو أن نستدل على أن الشذوذ هو الصحيح وأن الاضطراب هو الاستقامة ، فهذا أمر غير صحيح إطلاقاً ، ويجب ألا يتسرع الباحث ما لم يكن متمكناً الحساسة الموسيقية وتكون له درية ودراية بفن الموسيقى ، في أن يطلق الأحكام ويعمم الآراء .

لقد قيل إن الشعر في الأوزان التالية شعر مضطرب كقول سلمي ابن ربيعة :

إن شواء ونشوة وخيب البازل الأمون
والبيض يرقلن كالدمى في الریط والمذهب المصون
من لذة العيش والفنى للدهر والدهر ذو فنون

ولكن دراسة الإيقاع تدلنا على أن هذا الوزن صحيح تام الصحة ، والخطأ هو قصورنا نحن عن تفهم مبادئ الإيقاع السليمة واعتمادنا الناقص على قضية التفاعل فهذا الشعر يمكن أن يقرأ مسموماً حسب الإيقاع التالي :

إن

ن شواء ونشو - و خيب البازل الأمون وال
بيض يرقلن كالدمى - في الر يط والمذهب المصون من
لذة العيش والفنى - لل دهر والدهر ذو فنون وال

ومع ذلك فهو ينتمي إلى الخفيف ، فإذا كان الخفيف :
فعلاتن مفاعلن فعلاتن

فهذا : فعلاتن مفاعلن فع أي ينقص المقطعين الممدودين (لاتن) . ونجد أن (الشرطة) تساوي في الإيقاع (النون) في الشطر الآخر وهو ما يسمى في الموسيقى بالعنصر الساكت . ولكن المتحرك وهو (العين) قد مد كما هو الحال في (الر) و (للد) وهذا بالطبع تحريف لمبدأ الإيقاع الأصلي . كما لاحظنا أيضاً ذلك المد في نهاية الشطر الثاني من كل بيت كما يبدو التحريف في زيادة (إن) الأولى .

ولذلك تنتفي عن هذا الوزن فكرة الخلط والاضطراب ويثبت لدينا أنه جار حسب إيقاعي موسيقي لا غبار عليه ومن ذلك قول الشاعر :
إن بالشعب الذي دون سلع لقتيلاً دمه ما يطل

كثيراً ما تثار مسألة اضطراب بعض أوزان الشعر المنسوب إلى الجاهلية - ويرى البعض في ذلك بدايات لاستعمال الإيقاع المفرد بدلاً من الإيقاع التام أي حركة وسكون أو حركة فحركة فسكون . وربما ذهب البعض إلى أن الإيقاع الذي نعرفه بـ (إيقاع التفعيلة) لم يكن مستخدماً في العصور الجاهلية ، وإنما كان النبر هو الأساس . وحتى تستقيم الحجة فهم يرون أن الغناء كان هو «مقود الشعر» بمعنى أن «الشعر غناء بالقوة» ، ولذلك فإنه لا فرق بين الشعر العربي الكمي الخاضع لمقطعية اللغة العربية وشعر الشعوب الأخرى الكيفي المعتمد على لغات نبرية مما قال عنه ابن رشيق : «العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة ، والعجم تمطط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن الدخن ، فتضع موزوناً على غير موزون» ، وتكون النتيجة أن هذه الأشعار المنسوبة إلى الجاهلية لم تكن تتميز بالإيقاع الذي كان وليد التفاعل الخليلية بل كان أقرب إلى الكلام المنغم .

إن أكبر حجة هؤلاء هي أن الأشعار التي جاءت مضطربة الأوزان كانت هي الدليل على عدم تمييز القوم بين النغمات المختلفة وأنهم حين يريدون تسوية ذلك كانوا : «يجربون بنغمات يستعملونها مواضع من الشعر يستوي بها الوزن» . وهكذا يصبح الشاذ هو المقياس أما العام فإنه مغلوط . وهذه نتيجة غير منطقية إطلاقاً ، إذ كان المفروض أن ننطلق من الكل إلى الجزء أو أن نأخذ جزءاً مماثلاً للكل ثم نقيس عليه ، أما أن نلجأ إلى الشذوذ ونعممه بحيث يصبح هو القاعدة فإن هذا غير مستقيم ولا بد أنه سيواجه الفشل . إنه بالإمكان أن ندلل على أن الشذوذ كان في

أوزان الشعر القديم

كأن فاهما عقار قرقف

وليلة بتها مسهرة

فعمرك الله هل تدري إذا

ولكن هذه البداية تختفي في جميع الأبيات ما عدا شطراً واحداً هو قوله :

ولم يعني على ذلك حميم

لقد قلبت هذا الشعر على إيقاع (البسيط) فوجدته لا يستقيم ، ولجأت إلى إيقاع (الخفيف) لأنه بدئاً بمقطع طويل فوجدت أنه لا يستقيم أيضاً ، ويكاد يقترب من إيقاع المنسرح ولكنه لم يستقيم أيضاً ، فإذا يكون إذن ؟ إنه لا شك إيقاع محرف وقد تعرض نتيجة لقدمه إلى تشويه كثير وفساد . وربما جاز أن نفترض أنه مقلوب الخفيف ، أي إذا كان الخفيف : فعلاتن مفاعيلن فععلن ، فهذا : مفاعيلن فعلاتن فععلن

أما المد في القافية (وقديم) فهو نتيجة التذييل إذ الأصل (فععلن) فذيل المقطع الثقيل الممدود بحرف ساكن مثل قول الشاعر :

بأبي أحور غنى موهنا بغناء قصر الليل الطويل
فعلاتن فعلاتن فععلن فعلاتن فعلاتن فععلن

وهكذا تكون القصيدة من إيقاع قديم جداً اندثر ولم يستعمله شاعر غير المرقش ، خاصة إذا علمنا أن المرقش كان شاعراً أكبر سناً من المهلهل الذي قيل عنه إنه أول من قصد القصد القصيد ، أي أطاها . ولا بد أن نضع في الاعتبار ذلك التحريف الشديد في (مستفععلن) (مُتفععلن) .

أما قصيدة عبيد بن الأبرص التي قيل عنها إنها من مخلع البسيط فالحكم فيها ليس للعروضيين ولكن الحكم فيها للموسيقين حيث يقول محمد العياش في كتابه القيم « نظرية إيقاع الشعر العربي » الذي اعتمدت عليه كثيراً في التحليل الإيقاعي هنا : « كثر فيها التحريف رغم أن قائلها من أكابر الشعراء » . كما قال : « ولا يستبعد أن يصدر الخطأ عن الشاعر ولو كان من الفحول » . بل ربما عاد ذلك إلى تحريف الرواة .

وهذا الوزن من المديد وهو يجري حسب الإيقاع التالي وليس فيه ما يدعو إلى القول إنه شعر مضطرب :

فعلاتن فاعلن فعلاتن

إن ملاحظة الثقل في هذا الوزن التي يقول بها العروضيون وما يستشعره القراء متأث من التقسيم العروضي السابق والتقييد بإيقاع التفعيلة من دون التقيد بإيقاع الشعر نفسه ولكي يمكن ذلك فلا بد من قراءة الشطر بكامله مع تعاقب العناصر الحقيقية والعناصر الممدودة الثقيلة فيه ويمكن رسمها بهذا الشكل :

إن بالشعب الذي دون سلع

— ن — ن — ن — ن — ن — ن — ن — ن —

لقد تعذر استخدام الرموز الموسيقية ، فكان لا بد من استخدام هذه الطريقة بدلا من التفاعيل السابقة .

بقي شعرا ن يتمسك بهما أولئك الباحثون ويدللون على أنها دليل على الوضع الثبتي للشعر العربي . فالأول قول المرقش الأكبر :

لابنة عجلان إذ نحن معاً لم يتعفين والعهد قديم
لابنة عجلان إذ نحن معاً وأي حال على العهد تدم
أضحت قفاراً وقد كان بها في سالف الدهر أرياب الهجوم
بادوا وأصبحت من بعدهم أحسبني خالداً ولا أريم
يا ابنة عجلان ما أصبرني على خطوط كنحت بالقدم

لقد قال العروضيون عن هذا الوزن إنه من مجزوء البسيط :

مستفععلن فاعلن مستفععلن

ولكن حركة البسيط في التفعيلة الأولى أساساً هي (مفاعيلن) وتحرفت إلى (مستفععلن) والتفعيلة الأخرى (فععلن — أو — فاعلن) ، وهكذا الثانية (مستفععلن) والأصل فيها (مفاعيلن) . وعند النظر في أبيات هذه القصيدة نجد أن مفاعيلن كثيراً ما تتحول إلى (متفععلن) وهذا خرم وتشويه للإيقاع بالمره . صحيح أننا نجد مثل ذلك في الشعر ولكن ليس صحيحاً كل ما كان في الشعر ، فقد تعرض الإيقاع في الشعر العربي إلى شيء ليس بالقليل من التحريف . والدليل على أن إيقاع هذا الشعر قد تعرض للتحريف أن غالبية أبياته تبدأ بمقطع ممدود وهذا يتعارض مع مبدأ الإيقاع العربي الذي يبدأ بالخفيف فالصواب هنا أن يبدأ بمقطع قصير خفيف مثل قوله :



بدايات

المحراث

يعود استخدام المحراث إلى العصر الحجري الحديث . في تلك الأوقات الممثلة في القدم كان المحراث أداة بسيطة ، أهم أجزائه نصل (أو دُجَر) ذو طرف حاد .

محراث الرومان القدماء أدخل إضافات ثلاث إلى المحراث .. إحداها تمثل محراثاً كمحراث العصر الحجري ، وكان اسمه شُعَال التربة Aratum . وكانت تلك الأنواع الثلاثة تستخدم في حرث أراضي منطقة البحر المتوسط التي تكاد تتشابه - في مختلف بقاعها - بكونها تربة خفيفة ، يسهل التعامل معها بالمحراث البسيط .

أيضاً يعود إلى الرومان اكتشاف نصل المحراث ، الذي يتميز بقدرته على إحداث حفائر رأسية تسهل عملية تحريك المحراث في التربة .

أما النورمانديون ، فقد أضافوا إلى المحراث عجلة تقوم بدفع التربة إلى أحد الجانبين دون ما حاجة إلى أداء ذلك باليد .

حتى حلول القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد ، لم تحدث إضافات جوهرية على صناعة المحراث .

الفلمنج والهولنديون أدخلوا أول تغيير جوهري تمثل في

ابتكار نصل ذي شكل مثلث بدلا من النصل الرباعي القديم .

محراث روثرام Rokhenham جلب من إنجلترا إلى هولندا عام ١٧٣٠ م . كانت مقابضه خشبية لا تزال . أما النصل والطرف المدبب فكلاهما كان من الحديد . ويعتبر هذا تطويراً هاماً في صناعة المحراث ، لأن المزارع كان يستخدم حصانين لجره وحرث التربة الصلبة ، محققاً به إنتاجاً يفوق جهد رجلين وستة أحصنة في مساحة مشابهة .

بالنسبة للتطور الذي دخل على المحراث في القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد ، فهو ينحصر في الدُجَر Mould-board (قطعة الحديد التي تقوم بتقليب التربة) . أصبح الدُجَر يقلب التربة في اتجاه واحد فقط . وكان هذا يعني عودة المحراث من جديد إلى خط البداية ومن ثم تم عملية التقليب على الجانب الآخر للصف المراد حرثه ، أو أن يقوم بشق خط جديد في رحلة العودة .

أيضاً .. وفي القرن السابع عشر الميلادي ، ونتيجة للشورة الصناعية ، تمكن جيمس سمول - وهو مزارع من بيرويكشاير - من صناعة أول محراث ذي دُجَر من الحديد



★ الروماني ★



★ محراث بدائي ★



★ من القرن ١٦ الميلادي ★



★ من القرن التاسع عشر ★



★ من العصور الوسطى ★

الزهر ، ساعد كثيراً على تحسين نوعية العمل .

في عام ١٧٨٥ م ، قام روبرت واتروم بتركيب توليفة من حديد الزهر وأتبعها - في عام ١٨٠٣ م - بتركيبة أخرى . وكان إدخال الحديد في صناعة المحراث إيذاناً ببداية عصر جديد في تلك الصناعة ، كما كان يعني العكوف على توفير قطع الغيار لذلك الجزء المعدني ، وهو ما يسمى ببزوغ عصر الإنتاج الكمي Mass Production لهذه الصناعة .

وفي ثلاثينات القرن التاسع عشر الميلادي ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية ، أنتج جون دير - ولأول مرة - محراثاً من الصلب كان له أثر كبير في استزراع منطقة البراري هناك .

هذا ، ومع النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي ، كانت محاولات إنتاج المحراث العامل بالبخار Steam Plough تجري على قدم وساق . . وهو آلة تعمل بالبخار وتسحب من ورائها محراثاً أو أكثر . وبهذا الاكتشاف أصبح بالإمكان حرث مساحة تتراوح ما بين الأربعين والخمسين هكتاراً في اليوم الواحد .

وفي عام ١٩٣٦ م ، أنتج هاري فيرجسون ، الجرار الزراعي Farm Tractor فكانت بدايات عصر المكنة الزراعية هذا الذي نعيشه الآن .

المكتبة السعودية

● الكتاب: هذه حياتي .
● المؤلف: حسن محمد
كتبي .

● الناشر: دار
الشروق، جدة، ط (٢)
١٤٠٣ هـ .

السيرة فن (ذاتي) يحتاج
فيه الكاتب من ذاته ،
وحياته ، ماضيه وحاضره ،
يكتبه بنفسه لغيره من
الناس .

وفن (غيري) يكتبه الغير
عن علم من الأعلام . هذا
تحديد موجز غاية الإيجاز .
وفي الأدب العربي من
السيرة الذاتية نماذج شهيرة
لسنا بصدد الحديث عنها ،
وإن كان هذا لا يعفينا من
ذكر نموذج شهير من أدب
السيرة الذاتية في السعودية
وهو (أيامي) لأحمد
السباعي .

أما كاتبنا حسن محمد
كتبي ، فهو يقدم إضافة
جديدة في فن السيرة الذاتية
في الأدب السعودي المعاصر ،
وقد صُدّرت بمقدمة كتبها
محمد أبو بكر حيد

(ص ٩) ، كما صُدّرت
بمقدمة لعلّي أحمد باكثير
كتبها سنة ١٩٥٦ م ، ومراسلة
بين المؤلف وعبد الله بلخير
حول فكرة التعريف بالأدباء
السعوديين .

على أن المؤلف حريص
على أن يبين الهدف من
كتابة قصة حياته ، يقول في
التهديد :

« إلى كل طالب في مدرسة
الحياة أقدم قصة إنسان
يصف لهم الطريق الذي مرّ
فيه ، ويصف لهم ما صادفه
من حيرة واطمئنان ، وتردد
وإيمان » .

ومن هذه السيرة الذاتية
تقف على المراحل المهمة من
حياة كاتبها ، فقد ولد في
شعبان سنة ١٣٢٩ هـ ، بمدينة
الطائف ، ودرس في مدرسة
الفلاح ، وحفظ
القرآن الكريم ، ودرس
علومه وما دار حوله ، وسافر
إلى يومياي ، ثم عاد إلى وطنه
لتكون نقطة البداية ، بداية
الحياة ، وبداية الشعور
بالمسؤولية - كما يعبر -
وبداية البحث عن موطئ
قدم بين الصفوف ، حيث
عمل رئيساً لتحرير جريدة
(صوت الحجاز) ، ثم عمل
أستاذاً بالمعهد العلمي

السعودي ، ويشير إلى أن من
بين تلاميذه : أحمد
عبد الغفور عطار ، وحسين
عرب ، وحمد الجاسر ، يقول :
« ولست أنسب لنفسي
فضل تميزهم ، وإنما ذلك
يرجع لاستعدادهم ودرسهم
المتواصل ، وذكاؤهم ، ولكن
لعلّي قد أورت قبساً في
طريقهم الطويل » .

ثم عمل مديراً لمدرسة
الطائف ، ثم في وزارة
المالية ، ثم ذهب إلى مصر ،
ثم مضى مع الحياة في دروبها .
والمؤلف ذو موهبة
قصصية ، تتجلى في السرد
العام لأحداث حياته ، ويتجلى
ذلك في الفصل الموسوم (في
غيابة السجن) ، حيث يقص
فيه بطريقة قصصية
مشوقة ، يفتحه بقوله :
« رواية دامية ، محزنة ،
قاسية » .

من الذي ألّفها ؟ وما
هي فصولها ؟ لست أدري .
ومن هم أبطالها ؟ لست
أدري » .

ثم يمضي مع فصول حياته
يقص علينا طرفاً من
« أشخاص في حياتي » ،
(ص ١١٣) ، بعضها في
« المنزل » ، حيث والدته ،
وكل من شقيقته ، ووالده ،

وجده ، وخاله السيد علي
كتبي وشقيقه سامي ،
وزوجته . وبعضها في
« المدرسة » ، حيث أساتذته ،
يبين عن ذلك عناوين
موجزة موحية ، تركز خلاصة
ما يريد .

حتى يصل بنا إلى خاتمة
حديثه عن سيرته ، يقول :
« في هذه الحياة صفحات
تمّت وكتبت ، وصفحات
تمّت ولم تكتب أو كتبت ولم
تُسوّف ، وصفحات لم تتم ،
ولم تكتب ، فالأخيرة علمها
عند ربي ، لأنها لم تزل وراء
حجب الغيب ، والأولى لم يحل
دون إملائها أي حائل ، لأنها
فترة دراسة ونشأة بريئة » .

● الكتاب: وجوه كثيرة
أولها مريم (مجموعة
قصص) .

● المؤلف: جابر الله
الحميد .

● الناشر: نادي القصة
السعودي ، الرياض .
الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ -
١٩٨٥ م .

هذه مجموعة طيبة من



★ حسن محمد كتيبي ★

القصص القصيرة، تتضمن عشر قصص كتبت بعناية وبأسلوب يخالف به أسلوب القصة التقليدي. وتقنية على عمليات التجديد التي يصدر عنها أدباء المملكة - ولو من الناحية الشكلية - نجد قصتين تعتمد كل منهما المقاطع الطويلة، أو فلنقل الأقسام مخالفة غيرها مما ميزته المقاطع القصيرة:

★ الأولى «أغنيات لفائزة في الصحو والنام»، (ص ص ٢٧ - ٤١) من ثلاثة مقاطع يغلب عليها الطابع الانفعالي الذي قد يتصاعد في بعض المواضع إلى أن يصيح شاعرياً «أنا يا فائزة لم أعد أتذكر وجهك.. البارحة أعطيتك شكلاً، وأحببتك فيه، تذكرت الساعدين الحاليين من الغوايش.. الشعر العربي الأسود، وتلك الطفولة التي تتقافز بين خطوط وجهك»، (ص ص ٣٧).

★ وأما الثانية، فالقصة التي تحمل عنوان المجموعة «وجوه كثيرة.. أولها مريم» (ص ص ٦٣ - ٧٤)، عبارة عن أربعة مشاهد، آخرها قصير (أقل من نصف

صفحة)، ولكنه جوهر القصة، أو فلنقل المفتاح الذي يمكن أن يفتح لنا ما وراء المشاهد الثلاثة التي سبقتها.

على أن الجديد هنا ليس في هذه البنية ظاهرياً فحسب، وإنما كذلك في عملية السرد القافز الذي يتفق ودراما المواقف، ثم يتسق مع ذلك القلق الذي صار يحتاج عالمنا بعد أن كنا نظن أننا بعيدون عن فوضى النوازع واضطراب الأهواء خارج حدودنا.

أي إن الإضافة الشكلية عند جاز الله الحميد، مرتبطة بمأساة حياتنا عندما نكون غرباء، وتصور أننا نعيش مع الآخرين.

ولكن ذلك مناط فلسفة جاز الله الحميد، وهو يحاول في كل مقطع من مقاطع قصصه - مثلاً أغنية صغيرة لعصافير النافذة الثالثة، (ص ص ٥١) وما بعدها - أن يفضي بها ببساطة ويتلقائية يتزاحم فيها كل شيء وكل نامة وكل خلجة «وأنا ياسيدي بينهم مضيق»، وينخر الذاكرة دود الأيام، ولات فائدة في

موسيقى تشايكوفسكي وأصوات الكلاب!.

وإذا كان مريضاً - وهو مريض فعلاً - ومن ثم هو يرفض كل ما تمتد إليه عيناه.. لأنها البداية، وعن طريقها يحس كارثة الوجوه المكدسة في العيادة التي ينتظر فيها دوره كي يفحصه صديقه الطبيب.

«الطبيب صديقي.. أقسم على ذلك يا سيدي، ولكني لست منهكاً إلى درجة كي أنتظر وقتاً آخر»، (ص ص ٢٨).

لأنه يريد أن يظل مريضاً.. وهذا قدره، وتلك أيضاً فلسفته!.

وفي الحاليين، يستطيع أن يشكل لمقاطعته - وهي أشبه باللوحات - أطراً تتسع لمواقفه، التي تبدو دون تأمل، أصغر من أن يهجم بها أحد.

وإلى هذا الحد، أو عند هذا المنعطف، يمكن أن نقول إن شخصية المؤلف - ويسقط هو منها على بطل قصصه الكثير - معنية في المقام الأول بأن تفيد من كل الدراسات التي تنهض بتقويم واقعنا.. لا على طريقة قصاصي المرحلة التي بسط

سلطانهم عليها أمثال محمد علوان، وعبد الله السلمي، وحسين علي حسين تلميذ يوسف إدريس - اعترف أو لم يعترف - ولكن بمقدار ما يبعده عن أسلوب إبراهيم الناصر كرأس اتجاه عام في القصة السعودية.

لست أدري هل يصح أن يوصف الوصف الذي يضعه بين علوان والناصر؟.

إنه غير مفرط في الذهاب إلى تلامذة ألان روب جرييه من العرب.. فهم كثر والله الحمد، إلا أن أغلبهم غرباً بأعماله، وبعضهم أحالها إلى الألفاظ غير آسف.. أذكر هنا - كعلامة بارزة - رقية الشبيب!.

كذلك لم يقعد عند الحكاية - أو الحدودية بلغة الأجداد وهي تقابل الخرافة في درامة أرسطو - ولم يتمسك بالحبكة القائمة على السرد المرتبط بحركة الساعة وتوالي الأيام.

وإنما مزج بين كل أولئك، واصطنع اللغة المصرية المكثفة، والرشيقة مع ذلك، والموحية كالشعر تماماً.

هو إذن يتخلى عن التقليد، ولم يضع في



★ عبد الرحمن صالح العشاوي ★

★ جار الله الحميد ★

في شعره السابق ، وفي هذا الشعر - قد وطن نفسه على حوار الآخرين والأشياء .. فأصبحت تلك المحاورات عناوين دواوينه أو قصائده ، ومن ثم أصبحت معلماً من معالم شخصيته الشعرية ، ومن خلالها يفيض فكراً وعاطفة .

وإن الشاعر - كما عرفناه دائماً - لا تفارقه تعاليم ومناهج الإسلام ، وقيم وأحداث التاريخ .. فيظل في دعاء مع الله ، ومناجاة مع أمته وأجداده ، ومع التاريخ وقصصه القديمة .

ففي (إلهي) يترجم شخصية العبد المسلم الضعيف بذنوبه أمام الله ، القوي باتباع نهجه المستقيم ومنهجه العادل . وفي (حوار فوق شرع الزمن) تتبدى قوة الشاعر وهو يمتطي متن سفينة الزمن ، التي تمر عباب الأيام ، وخضم التاريخ ، لترسوبه في أحضان أجداد أمته .. وبين أحضان أمته الإسلامية ينعم بدفئتها وحديثها ، ويتعرف منها على مواطن داء الحاضر ودوائه . وفي (الصحوة الكبرى) فخر ذاتي ، يستحيل إلى فخر اجتماعي .. وما مصدر فخر واعتزاز الشاعر إلا دينه وعقيدته .. وبها نحس بزهو العشاوي وتفاؤله وأمله في الغد المشرق .. وتجلى هذه السمة في قصيدته (تاريخ عشق) :

أنا - لو تعلمين - تاريخ عشق
نبتت في مشاعري أجمادي
وإذا هزت الخطوب ضميري
فيقيني في النائبات جوادي
امتطي ذلك الجواد إلى دنيا
ك في همة وفي استعداد

عن أهم خصيصة في أعمال
جار الله الحميد .

لم نتحدث عن السياق
الفني المحكم مع أنه تفوقه في
المجموعة .. ومعنى هذا
السياق رفض الحميد الزوائد
التي ينخدع بها القصاص ،
فيكثر منها لتبدو قصته في
آخر الأمر مصابة بالسرطان
والعياذ بالله .

● الكتاب : حوار فوق شرع الزمن .
(شعر) .

● المؤلف : عبد الرحمن صالح
العشاوي .

● الناشر : مكتبة الأديب الرياض .
ط (١) ١٤٠٣ / ١٩٨٣ م .

يقدم الشاعر عبد الرحمن العشاوي
في هذا الكتاب خمس عشرة قصيدة
خليجية . نصيب البحر المتقارب منها ست
قصائد . وكلها تحوي تاريخ نظمها ، ما
بين سنة ١٣٩٧هـ ، وسنة ١٤٠١هـ ، ما عدا
واحدة - حديث القمر - كان قد نشرها
بديوانه الأول (إلى أمتي) ، وكانت بتاريخ
١٣٩٦/٦/١٢هـ ، ولكنها لم تنشر كاملة ،
وذلك لأن بعض القصاصات كانت قد
فقدت كما نوه الشاعر بذلك .
ويبدو أن الشاعر العشاوي - كما رأينا

التجديد .. ونجح من هذا
المنطلق في أن يقدم «الموقف
القصصي» تجسيدا لمؤذج
الإنسان .

ولقد يعن له أحياناً أن
يتناول موضوعاً مستهلكاً ..
الصعيدي «موافي» الذي
يخلف وراء زوجه جيلة
ويعمل خارج وطنه ليجمع
لها النقود ، هنالك يتهم
بالسرقة .. وبدلاً من أن
يعود إلى امرأته الجميلة يساق
إلى السجن ! .

وتنتهي القصة ...
أما ما بين بدايتها ونهايتها
فشاعر الفنان الذي ينبض
قلبه بمأساة الجميع .. وقد
سيقت تلك المشاعر في
القلب القديم الجديد ،
وبالشاعرية التي تنجح تماماً
في إبراز صورة المطحون
المغلوب على أمره :

«كان موافي واقفاً بالباب
يحمل الشنطة والبساط ،
ويعد نقوده .. ثم ذهب مع
الرجل الذي أطل من
النافذة إلى الخضر ... وفي
الصعيد خبطت امرأة جيلة
على صدرها قائلة : تحت أي
سقف تنعمس لقمك الآن
يا حبيبي ؟» ، ص (١٩) .
ويعد ، فنحن لم نتحدث

مسلم، هل عرفت وصفاً جيلاً
مثل وصفي على مدى الآماد؟
مسلم، هل وعيت معنى التزامي
بجنيفيتي، ومعنى اعتقادي؟
مسلم، رمزه السلام، ولكن
هو للخائنين سيف حصاد

وفي (من وحي الأخدود) توظيف
واضح للتاريخ القديم وبعثه، وتوظيف
آخر للتاريخ الإسلامي وفجره الأول..
وذلك عبر لغات قصصية، تلخص بعض
الدروس والمواعظ. وتبدو كذلك هذه
الملاحم القصصية في شعر العشماوي،
وبخاصة في قصيدته (مطلع قرن، وصحوة
أمة)، التي يعايش فيها الرسول (صلى الله
عليه وسلم) وصحابته في بدء البعثة
وعقبها. وتستغرقه تلك الأيام، ويجسدها
(صحوة كبرى) في هذه الأيام، كامل
وتفاؤل بالنصر:

بني أمتي إنا لنرقب صحوة
نزيح بها ظلماً، ونبني لنا قدرا

وقد بدت لنا في هذا الديوان - رغم
أصالة العشماوي وشاعريته الفذة - بعض
الهفات الفنية والنحوية، كبعض المطالع
(ص ٤٨)، و الأبيات النثرية (ص ٣٦)،
وتعثر بعض الألفاظ التي تشكل نشاراً في
حروفها وجرسها، وعدم حذف ياء الاسم
المنقوص في حالي الرفع والجر في قصيدته
الدالية (تاريخ عشق). ففي قصيدته،
(أنشودة السهد)، خاتمه الشاعرية،
وحجبت عنه تدفقه الوجداني، وانسيابه
الرومانسي.. لا سيما أن الشاعر في الليل

ومع القمر، وكان لحديث الليل أن يأخذ
مساراً ينسجم مع الهدوء والرقّة والصفاء
والسكون والظلام.. وتلبس ألفاظه ثوباً
شفافاً، وتكسب حروفها جرساً موسيقياً
خفيفاً.. ولكنها بدت متعثرة الجرس،
وصعبة النطق، إذ كثرت فيها (الشاءات،
والظاءات)، حتى نشبت كالشوكة في
الحلق.

وربما كان مرد ذلك إلى الحالة النفسية
التي كان عليها الشاعر في «القبليين
- مدينة كوتاباتو» مكان نظم القصيدة..
وما كان يعانيه من قلق وسهد وأرق وسمت
شاعريته بتلك الصورة المتكلفة الناشئة.
أو حب الشاعر إلى نظم الشعر في سائر
الأوقات، بدون تريث، وتحين لساعات
الغناض، والولادة الشعرية.

● الكتاب: تداعيات
العبت في الفكر والأدب.

● المؤلف: محمد
عبد الله العوين.

● الناشر: المؤلف
نفسه، الطبعة الأولى
١٤٠٦ هـ.

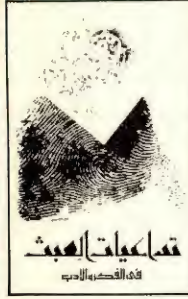
الكتاب أنيق وفيه كثير
من الرشاقة والطلاقة، وقد
صدره لصاحبه كاتب واسع

الثقافة، ومتدفق البيان
طلق اللسان.

وأما محتويات الكتاب
فنحو خمسين موضوعاً وزعت
في شبه فصول هي على
التعاقب: مواقف (٢١ -
١٥٢) بين الكلمة والإبداع
(١٥٣ - ٢١٦) بوح الداخل
(٢١٧ - ٢٤٨) نقد (٢٤٩ -
٣٢٦) العبت (٣٢٧ -
٣٦١).

وكتاب كهذا لا شك
يغري بالقراءة، ويبعث على
المتعة. وتتفاوت الإفادة فيه
بين التوفيق في العرض
والتحليل والتقويم في
جانب، والميل والهوس
والبعد عن الجادة العلمية في
جانب آخر.

وأنا شخصياً أخالف محمد
عبد الله العوين، ومقدم
الكتاب في أمور، إلا أنني لا
أزعم أي المصيب أو - على
الأقل - أختار الأفضل أو
الشائع. فليس في الأدب أو
الفن بعامه حد فاصل بين
الخطأ والصواب، أو تحوم
معينة لما هو مقبول، وبخاصة
بعد أن وصلنا الآن في العلم
- وليس في الفن وحده - إلى
أنه لا شيء حقيقياً أمامنا إلا
بمقدار ما نسعى إليه من
فهم، وأن قوانين العلم



★ محمد عبد الله العوين ★

نفسها - كقانون النسيبة مثلاً - لم يعد له ما ألصق به من يقينية مؤكدة .

والعوين إذا قرر أن للدكتور محمد رجب البيومي ، ديواناً يتفتق إنسانية وحناناً في زوجه الراحلة - طيب الله ثراها - يشوش على محصلة معارفه الشعرية ، أو يشككنا في قيمتها بما في ذلك الديوان من نثرات بالغة التسطح . وإن أخذ بعمل له سماه للأسف الشديد قصة قصيرة لينقدها نقده للمقصور الكلاسيكي (هكذا!!) ظلم بين للدكتور البيومي مثلها هو ظلم له .

وهذا الظلم المشترك بين المتلقي والمعطي يتجلى في وقفة العوين مع كتاب الدكتور شوقي ضيف «معي» ، (ص ٢٦٩) ، وتساءل : أهو - أي الدكتور ضيف - كاتب قصة أم بحثة دارس؟ ، ولا نظن أن أستاذنا الدكتور شوقي ضيف حاول أن يكون في «معي» قاصاً بالمعنى الذي يقريه من إبراهيم الناصر مثلاً أو سهيل إدريس .

وكتابته صفحات من حياته في «معي» مصطنعاً أي

أسلوب لا يفرض على الناقد أن يبحث له - بالضرورة - عن إطار قصصي . لأن للسيرة أكثر من أسلوب وأكثر من طريقة ، وأكثر من أداء ، ولا بأس مع ذلك إذا مزج صاحب السيرة بين عدة مناهج .. لأن القاعدة هي أن يقول ما عنده بالطريقة المؤثرة التي يراها مناسبة ! . ورأي العوين في أحمد شوقي وحافظ إبراهيم (ص ص ٥٤ - ٥٩) ، بما لا بد أن يراجع فيه نفسه على أساس طبيعة الشعر وتميز لغته .

وأما رأيه في الالتزام - وقد جدد أبو عبد الرحمن الظاهري في شجبه - فن السداج المستهلك غير المسدد . ويكل تواضع اطالب بإلصاقه بالسياسة فيما قرره الوجوديون شجياً لمواضعات المادية الجدلية وخروجاً عليهم في ثورة حضارية هائلة فصلت بين الالتزام والإلزام . ونحن إذا توسعنا في مفهوم الالتزام فاقترحمنا به مجالات المسئوليتين الاجتماعية والفنية ، اختلط الحابل بالنابل ، وصرنا في حاجة إلى مُنَظَّر واع يعيدنا إلى الجادة التي ضيعناها بفوضى

استخدام الاصطلاحات العصرية .

ولما نبعث وبين أيدينا الإطار الذي اصطنعه الكاتب لموضوعات «تداعيات العيب» ؟ .

أهو من نوع المقالات الأدبية ؟ .

وهل ما كتب في صحافة المملكة منذ عام ١٣٤٣ هـ ، بدءاً بأم القرى ، وما دمجته أقلام محمد حسن عواد ومحمد حسين زيدان وحمد الجاسر من المقالات الأدبية حقيقة ؟ .

الإجابة في الحالتين بالسلب ، شاء العوين وغيره أم لم يشاءوا .. لأن المقالة الأدبية - حتى لو لم تعرض للادب - هي بإيجاز إبداع لغوي شاعري من أجل طرح فكرة غير ملزمة .. كالقصيدة الغنائية تماماً ، إلا أنها تفتقد الوزن ، أو فنلقل : هي همسة رقيقة في أذن القارئ لا يجبره الكاتب بها على التسليم بشيء ما .

إفضاء عفوي لمعلومة عن موقف معيش ، أو ربما عن قضية تعليمية أو وطنية أو اقتصادية .. من غير حواش ، ولا اعتداد وثائق ولا إحصاءات مسجلة ! .

وأما ما كتبه السادة المذكورون - ولا يزال بعضهم يكتبه - فهو المقال الصحفي ، والمقال الموضوعي (العلمي) الذي يطمح إلى إقناع القراء ثم إلى تثقيفهم . وسادة المقال الأدبي عندنا قلة ، وربما نستطيع بقدر من المجاوزة أن نذكر منهم - في المملكة - الكاتب عبد الله الجفري ! .

وليعذرنا العوين عن هذا الاستطراد ...

ومع ذلك فنحن نراه قضية أساسية في طرح الكتاب ، وهو لا يلغي قط الجهد الهائل الذي بذله الكاتب ليجعل «عيبه» مفيداً .. حتى وهو بين أيدي المتطفلين على حرمة الكلمة وعصابات الأدب وصبيان الصحافة ، وأما حديثه عن الرواية (ص ١١٩ - ١٣٩) ، والنقد الأكاديمي (ص ١٥٩ - ١٦٢) ، وتداعيات علي فودة ، وحدود قصيدة الرثاء (ص ٢٨٥ - ٢٩٥) فجميل ويعيد عن الهوى وقبود الصداقة ، بل هو في نظري يتم على تفكير واضح واستعداد أصيل للتأثير في الآخرين ، ويسهولة يضع



★ سمو الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز ★

وكان الحلم في أحسن سرابا

شعر: بحاء الدين محمود عبد الحميد

(القصيدة مهداة إلى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود بوصفه أول رائد قضاء عربي مسلم باشتراكه ضمن طاقم رحلة المكوك الفضائي الأمريكي ديسكفري في يوم ١٨ يونيو (حزيران) ١٩٨٥ م).

وصرّت بأمة العُزْب الشهابا
وخير العُزْب للعلم انتسابا
فلا نصّباً شكوت ولا عتابا
فأصبح صوت أمتنا مُجّابا
فتخذ العلم بالدنيا ركابا
وكان الحلم في أفس سرابا
(ولكن تؤخذ الدنيا غلابا)^(١)
نبارك خير أمتنا شبابا
وتزهر بعد ما كانت يبابا
ونرجع بعد ما كنا غيابا
بنور العلم قد تمحو الضبابا
من التشتيت أغرينا الذبابا
ومفرقها من الأحزان شابا
كفانا في تفرقنا عقابا
وبعد اليوم ليت لنا مآبا

ركبت المجد واجتزت السحابا
أ(سلطان)، أفخر العرب طُرا
رقيت لأبعد الغايات فينا
طرقت العلم والإيمان بابا
شباب يتغي نيل الأمان
أسى بالحلم ينبوعاً لصاد
(وما نيل المطالب بالتمني)
فتبهي أمة القرآن إنّا
فبور الأرض في الإسلام تزهو
لندرك ركب علم قد ضللتنا
وأيام على الإسلام تأتي
بني الإسلام فاتحدوا فإنّا
فهذي قدسنا في الأسر تبكي
وكوني أمة القرآن صفّا
وفي التاريخ أنباء وذكرى



(١) من قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي «سلوا قلبي».

أيدينا على مواضع السوس
الذي ينخر في عظامنا .
فعن الجيد من شعراء
التفعية عن نزار «تشبه
القصيدة - عندهم -
القصيدة كما يشبه الشاعر
الشاعر» يعلق هو: هؤلاء
الشعراء المتشابهون هم من
نوّد أن نلقبهم ببطاقاتهم
الشعرية وكلما هم المومياء
والحانم النشاز على قارعة
الطريق ! (ص ٢٨) .

ويعرب عن قلقه إزاء
تغميض القاصين - بعد
الشعراء - وعن أمله أن
يتمسك المتأدبون بحقيقة أن
يظل للأدب مصطلحه داخلاً
في دائرة الثقافة (ص ٨٠) ،
ويرى ألا يحاسب الفنان
بمنظار أهل الفقه ، وإنما
ينقد بمقاييس الفن ، ويكون
النظر إلى التزام الشاعر
بالأخلاق والقيم جزءاً من
النقد وليس كل النقد
(ص ١٠٦) .

ويقول غير ذلك مما هو
ضروري أن يظل ذخيرة
لسلاطين ولقراءه ، ثم لمن
يطمع في أن يقول الكلمة
الصادقة والمؤثرة بين شدة
العصر وأساته .



المصطفى الحديث الحبيب



بقلم: محمود شاكر

يجتمع مكة الضيق إلى مجال دولي باصطلاحنا الحديث أو ينتهي من بقاء الدعوة في نطاق محدود داخل حدود مكة إلى نطاق أرحب ومجال أوسع ، أو يتخلص مما فرضه عليه المجتمع الجاهلي في مكة في حصر الدعوة وعدم انطلاقها وانتشارها بين الناس . وإذا كان ذلك يقتضي الانطلاق إلى مجال الجزيرة العربية أو بين القبائل العربية المتنقلة في أرجائها وعلى أطراف الشام والعراق غير أن هذا يتيسر من ناحية ثانية وهي أثناء قدوم وفود القبائل إلى مكة في المواسم وأثناء التجارة فلا بد أن يسمعوها بنبا الدعوة وخبر الإسلام وبعثة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقصة عتو قريش وتعتبها وعذاب أبنائها الذين أسلموا ، وطغيانها على عبيدها والمستضعفين منها الذين تبعوا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، فإن الدعوة لم تكن لتتخصص في بقعة من الأرض ، أو في مساحة من العالم ، وإنما تنتقل إلى المكان الذي يتوفر فيه العمل والمناسخ الملائم ، وتنطلق منه ، ولعل الهجرة الأولى كانت إلى أرض الحبشة ، التي لا يسكنها العرب حتى لا يَحْجُل لبعض الناس أن الدعوة يجب أن تنطلق من الأرض التي انطلقت منها أول مرة ، وهي أرض العرب ، وإنما حيثما تنهيا الظروف وتساعد العوامل يجب أن ينطلق المسلمون^(١) . وحتى لا يظن أحد من الناس أن الدعوة الإسلامية خاصة بالعرب دون سائر البشر .

ويجب أن تتجسّد جهود المسلمين في منطقة واحدة للدفاع منها فإذا ما تهيأت الأسباب انطلقت نحو هدفها تطبّق منهجها ، فالرسول ، صلى الله عليه وسلم ، لم يسمح للمسلمين أن ينتشروا في أرض الله الواسعة ويتفرقوا كيف يشاءون ، يحاول كل منهم أن يجد المأوى يتخلص فيه من أذى قريش واضطهادها وإنما سمح لهم - أو أشار عليهم - أن يهاجروا إلى أرض واحدة يعيشون فيها حياة واحدة مجتمعين ، فيها من معاني الإسلام مما تلقوه من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في مكة يُساعد كل أخاه على حياة الغربة والتمسك بمبادئ الإسلام والعمل به^(٢) .

وربما أراد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، هز المجتمع الجاهلي

لقد اهتم المسلمون كثيراً بكتابة سيرة نبيهم الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، وعملوا على دراستها ، ووضعوا المصنّفات العديدة فيها والبحوث ، لأنها الأسوة الحسنة لهم ، وفيها المنهج العملي لحياتهم ، ومع هذا فإن كثيراً من أحداثها لم تحلّل بعد التحليل الكافي ، ولم تؤخذ منها العبر والمواعظ على كثرتها ، ولعل منها موضوع هجرة صحابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى الحبشة ، فإنه رغم ما فيها من دروس ، لم تنلها العناية من البحث حسب ما اطلعت عليه ، أو حسب ما وقع تحت يدي ، وربما أفتح الباب هنا ببعض ملاحظات تكون فاتحة خير في بحوث تتناول هذا الموضوع وتعمق فيه .

فلما رأى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما يُصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ثم من عمّه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه . فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى أرض الحبشة ، مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام^(٣) .

من أهداف الهجرة إلى الحبشة

ربما أراد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يخرج بالدعوة من

لاله ، فكيف بالذين يخرج أبناؤهم أو آباؤهم أو إخوانهم !! وربما كان هذا سبباً في إسلام عمر رضي الله عنه ، والله أعلم .

لم يخرج إلى الحبشة إلا من كان من الأحرار لأن العبد لا يآبه به أحد حسب الأعراف الجاهلية التي كانت قائمة يومذاك ، وحتى لا يُقال : إنهم أبقوا من سادتهم وفروا ، ولم يكن على أحد منهم دين كي لا يُقال : لم يقدروا على تسديد ديونهم ففروا بها أو أخذوا أموال غيرهم وانطلقوا بها ، كما لم يكن أحد منهم عليه دم ، قتل وهرب ، وهذا ما حدث فعلاً عندما أرسلت قريش وراءهم عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي وعمرو ابن العاص بن وائل السلمي . وفي لفظ أن جعفرأ قال للنجاشي : سلهم أعبيد نحن أم أحرار ؟ فإن كنأ عبداً أبقنا من أربابنا فاردنا إليهم ، فقال عمرو : بل أحرار ، فقال جعفر : سلهم هل أهرقنا دمأ بغير حق فيقتص منا ؟ هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه ؟ فقال عمرو : لا ، فقال النجاشي لعمر وعمرأ : هل لكما عليهم دين ؟ قالا : لا ، قال : انطلقا ، فوالله لا أسلمهم إليكما أبداً^(٦) .

تحقيق مرامي الهجرة

لقد نجحت الهجرة إلى الحبشة في مهمتها الإعلامية إذ نقلت أنباء ما يجري في مكة إلى خارج مكة ، بل إلى خارج نطاق الجزيرة العربية ، وأهم ذلك قريشاً أيها هم حتى أرسلت وفدأ منها إلى الحبشة ليرأ هؤلاء المهاجرين إلى ديارهم كي يكتموا نبأهم في داخل بلدهم بالذات ، وتعمل قريش من جهتها على خنقه ، وحمل الوفد الهدايا إلى النجاشي صاحب الحبشة ، ونجح المسلمون مرة أخرى في جعل الصراع القائم في مكة ينتقل إلى خارجها بل إلى خارج نطاق القبائل العربية فدار في الحبشة في قصر الحكم بالذات ونجح المسلمون ثالثة في الصراع إذ كسبوا موقف النجاشي إلى جانبهم وردوا الوفد خائبأ مهانأ يجرأ ذبول الفشل يعود بهدياه وقد رأت إليه ، وربما كان من الصعب جدأ على النفس رد الهدايا بعد قبولها وخاصة إن كانت من كبير إلى كبير .

ونجحت الهجرة إلى الحبشة في نقل أفكارها ونشر إسلامها إلى خارج حدود ديار أتباعها بل إلى الحكأم والكبار وأعداد من رعاياهم ، وربما نلاحظ في الحوار والجدال الذي دار بين المسلمين ووفد قريش أمام النجاشي ويطارقه . عن أم سلمة^(٧) ، بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم^(٨) ، قالت : لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا

المكثي هزة عنيفة من نوع خاص علأ يرجع عن غيأ أو يثوب إلى رشده إذا وجد أبناءه وفلذات أكبادهم يتركونه لخالفتهم في العقيدة . وصحيح أن الجاهليين كانوا يعدبون من أسلم من أبائهم وأقاربهم ويحبسونهم ، ولكن العذاب والسجن شيء والمغادرة من غير رجعة شيء آخر . قد يضرب الرجل ولده ويقسو عليه ولكنه لا يحتمل أبداً أن يرى غيره يضرب ابنه ، وقد يسجن المرء فلذة كبده ويغيب عن وجهه مدة برأيه ، غير أنه لا يطيق أن يفارقه فراقأ دائماً ، فربأ تأخذ العاطفة هؤلاء الجاهليين عندما يرون أبناءهم يهيمون بالهجرة فيتركون ما اعتادوا عليه من عذاب الذين أسلموا ، وقد تصل العاطفة إلى أكثر من هذا فتحمل بعضهم إلى الإسلام ، ويكون الأبناء قد أنقذوا آباءهم من النار .

وربأ كانت هذه التجربة درسأ للمؤمنين يشعرون فيها أن الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما ، فقد وافقوا على ترك الآباء وترك الأمهات والأهل جميعأ في سبيل تنفيذ ما أشار إليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وغادروا الديار ، ومواطن الأحبأ ، ومراتع الصبا في سبيل الله . وعافوا النعم وبهجة الدنيا ، وما اعتادوا عليه من بذخ وإنفاق وفضلوا الخشونة وحياة التقشف في سبيل عقيدتهم ، وشعروا أنهم فئة واحدة من دون الناس تجمعهم العقيدة ، ويختلفون عن بقية مجتمعاتهم ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم ما داموا على عقيدة أخرى .

لم يطلب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من المهاجرين أن يخرجوا سرأ حتى يشعر الآباء بما هم قادمين عليه علأهم يرجعون حساباتهم السابقة ، وتتحرك عواطف الأبوة عندهم وهو من أهداف هذه التجربة .

عن ليلى بنت عبد الله بنت أبي حثمة زوج عامر بن ربيعة حليف آل الخطاب ، قالت : والله إنأ لنترحل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا ، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف عليي وهو على شيركه - قالت : وكنأ نلقى منه البلاء أذئ لنا وشدة علينا - قالت : فقال : إنه للاتلاق يا أم عبد الله . قالت : فقلت : نعم والله ، لنخرجن في أرض الله ، آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله مخرجأ . قالت : فقال : صحبكم الله ، ورأيت له رقة لم أكن أراها ، ثم انصرف ، وقد أحزنه - فإ أرى - خروجنا ، قالت : فجاء عامر بحاجته تلك ، فقلت له : يا أبا عبد الله ، لو رأيت عمر آنفأ ورقته وحزنه علينا ، قال : أطمعت في إسلامه ؟ قالت : قلت : نعم ؛ قال : فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حار الخطاب ؛ قالت : يأسأ منه ، لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الإسلام^(٩) . فلو أمرهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بكتان الخبر لما كان الخروج بهذا الوضوح الذي رأيناه ، ولما اعترفت به ليلى صراحة ، فما كان لمؤمن أن يخالف أوامر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يطلب منهم السرية في التجهز والخروج بالخفاء ثم ينطقون به صراحة ، ويعلنونه بوضوح . ثم كان التأثير لخروج هؤلاء المسلمين حتى من أشد الناس عليهم أمثال عمر بن الخطاب ، وهو بعدئذ ليس على درجة من القرابة منهم تجعله كذلك ، وكل ما هنالك أنهم كانوا حلفاء

بها خير جارٍ النجاشي ، أمّا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً اتهموا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدّين ، وأن يُهدوا إلى النجاشي هدايا مما يستطوف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم^(٩) ، فجمعوا له أدماً كثيراً ، ولم يتركوا من بطارقه بطريقاً إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، وأمرؤهما بأمرهم ، وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم ، ثم قدما إلى النجاشي هداياه ، ثم سلاه أن يُسلمهم إليكما قبل أن يكلّمهم ، قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشي ، ونحن عنده بخير دارٍ ، عند خير جارٍ ، فلم يبق من بطارقه بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يُكلما النجاشي ، وقالوا لكل بطريق منهم : إنه قد ضوى^(١٠) إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مُبتدع ، لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردّهم إليهم ، فإذا كلّمنا الملك فيهم ، فاشيروا عليه بأن يُسلمهم إلينا ولا يُكلّمهم ، فإن قومهم أعلى بهم عيناً^(١١) ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فقالوا لهما : نعم . ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منها ، ثم كتّياه فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائهم لتردّهم إليهم ، فهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . قالت : ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي . قالت : فقالت بطارقه حوله : صدقاً أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عيناً ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم . قالت : فغضب النجاشي ، ثم قال : لاها الله ، إذن لا أسلمهم إليهما ، ولا يُكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادني ، واختاروني على من سواي ، حتى أدعوهم فأسألمهم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهنّ منها ، وأحسنّت جوارهم ما جاوروني .

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جتّمه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ، صلى الله عليه وسلم ، كائناً في ذلك ما هو كائن . فلما جاءوا وقد دعا النجاشي أسألفته ، فنشروا مصاحفهم حوله ، سألمهم فقال لهم : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا دين أحد من هذه الملل ؟ قالت : فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب ، رضوان الله عليه ، فقال له : أيها الملك ، كنأ قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ؛ فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا

نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنؤخّده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . قالت : فعّد عليه أمور الإسلام . فصّدّقناه آمناً به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرّم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومونا ، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنّا نستحل من الحبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورجعنا في جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك .

قالت : فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ، فقال له النجاشي : فاقراءه عليّ ؛ قالت : فقرأ عليه صدرأ من «كهيعص» . قالت : فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أسألفته حتى اخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ؛ ثم قال لهم النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، فلا والله لا أسلمهم إليكما ، ولا يُكادون .

قالت : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لأتّيه غداً عنهم بما استأصل به خضراءهم . قالت : فقال له عبد الله بن أبي ربيعة ، وكان أتق الرجلين فينا : لا تفعل ، فإن لهم أرحاماً ، وإن كانوا قد خالفونا ؛ قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عيّد . قالت : ثم غدا عليه من الغد . فقال له : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم فسلّمهم عما يقولون فيه . قالت : فأرسل ليسألمهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط .

فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا ، كائناً في ذلك ما هو كائن . قالت : فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟ قالت : فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول . قالت : فضرب النجاشي يده إلى الأرض ، فأخذ منها عوداً ، ثم قال : والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود . قالت : فتناخرت بطارقه حوله حين قال ما قال ؛ فقال : وإن تحرّمت والله ، اذهبوا فأنتم شبيوم^(١٢)

بأرضي ، من سبّكم غرم ، ثم قال : من سبّكم غرم ، ثم قال : من سبّكم غرم . ما أحب أن لي ديراً من ذهب ، وأني أذيت رجلاً منكم . ردّوا عليها هداياها فلا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ ملكي ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه .

قالت : فخرجنا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به ، وأقننا عنده بخير دار مع خير جار^(١٣) .

وهكذا انتقلت أفكار المسلمين إلى المجتمع الحبشي إذ سمع البطارقة والحضور ما تمّ وتساءل الناس عما جرى هؤلاء الذين دعاهم الملك ؟ وما هي مهمة وفد مكة ؟ ونقل البطارقة ومن حضر المناقشة للشعب عما حدث ، فتأثّر بعضهم فغدوا يكرمون المسلمين ، وأعجبوا بما سمعوا ، وأصبحوا يلتقون بصحابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ويسألونهم عن رسولهم ، وعن عقيدتهم وعن آرائهم وأفكارهم ، فتأثروا بها ، وأسلم بعضهم ، وأيد النجاشي بما تصرف وأصبح من أنصاره وأعوانه . وفي الوقت نفسه فقد تعصّب بعضهم الآخر لعقيدته ، وأنكر على الملك سلوكه ، وكره المسلمين ، وناصبهم العداء ، وكاد لهم ، ورثب المعارضة ضدّ النجاشي وقام عليه يكيد له . وتتابع أم سلمة ، رضي الله عنها ، حديثها ، قالت : فوالله إنا لعلّ ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة يُنازعه في ملكه . قالت : فوالله ما علمتنا حزناً حزناً قطّ كان أشدّ علينا من حزن حزنه عند ذلك تخوّفاً أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي ، فيأتي رجل لا يعرف من حقّنا ما كان النجاشي يعرف منه . قالت : وسار إليه النجاشي ، وبينهما عرض النيل . قالت : فقال أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، من رجل يخرج حتى يحضر وقية القوم ثم يأتينا بالخبر ؟ قالت : فقال الزبير بن العوام : أنا ، قالوا : فأتت . وكان من أحدث القوم سئاً . قالت : فنفعوا له قرية فجعلها في صدره ، ثم سبّح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملّقت القوم ، ثم انطلق حتى حضروهم . قالت : فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوّه ، والتمكين له في بلاده . قالت : فوالله إنّنا لعلّ ذلك مُتوقّعون لما هو كائن ، إذ طلع الزبير وهو يسعى ، فلمع^(١٤) بشوبه وهو يقول : ألا أبشروا ، فقد ظفر النجاشي ، وأهلك الله عدوّه ، ومكّن له في بلاده . قالت : فوالله ما علمتنا فرحاً فرحة قطّ مثلها . قالت : ورجع النجاشي ، وقد أهلك عدوّه ، ومكّن له في بلاده . قالت : واستوسق عليه أمر الحبشة ، فكثّر عنده في خير منزل ، حتى قلّمنا على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة^(١٥) .

عودة بعض المهاجرين

ما كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليُشير على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة ثم يتركهم بلا تعهد في تلك البلاد النائية عن موطنهم البعيدة عنه ، المنقطعة عن مكان نزول الوحي والتوجيه ، وإنما كان دائم السؤال عنهم ، وعن أخبارهم ، وصلة بعضهم مع بعض ، وعبادتهم ، وسلوكهم ، يرسل إليهم التوجيه والتعليق ، ويتلق منهم الأخبار عنهم . وربما رأى أن يستقدم عدداً إلى مكة ليعلم ما حل بهم ، ويلاخوانهم ، وما وجدوه من صعوبات ، وخاصة بعد محاولة الانقلاب الفاشلة على النجاشي ، وفي الوقت نفسه يتلقون ما جاء به الوحي ، وما آل إليه وضع

المسلمين في مكة ، إضافة إلى دراسة واقعية من خلال تعاملهم مع المجتمع الجاهلي في مكة ، وهل أثّرت غربتهم على علاقتهم مع ذويهم من آباء وأبناء وأمهات وإخوة وقراة ؟ وهل ضعفوا أمام تلك الغربة ، أم زادهم ذلك تمسكاً بعقيدتهم ، وثباتاً على مبدئهم ؟ وظنوا بهذا الاستقدام أن الأمر قد سوّي بين رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وبين قومه من قريش .

لقد كان خروج المهاجرين إلى الحبشة في أول هجرة لهم في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة وعادوا إلى مكة في شهر شوال ، أي لم يمكث هناك من رجع أكثر من أربعة أشهر .

رجع ثلاثة وثلاثون مسلماً من أرض الحبشة إلى مكة فلما وصلوا إليها علموا أن ما ظنّوه من إسلام قريش كان وهماً ، ولم يستطع أحد منهم دخول بلده إلا بجوار أو مستخفياً ، إذ كان قد اشتدّ أذى قريش على من أسلم وزاد على ما عرفوه ، وأن قريشاً قد قاطعت بني هاشم وبني المطلب وألجأهم إلى شعب أبي طالب . لقد دخل عثمان بن مظعون ، رضي الله عنه ، بجوار من الوليد بن المغيرة . لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من البلاء ، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة ، قال : إن غدوّي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني ، لنقص كبير في نفسي . فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له : يا أبا عبيد شمس ، وقت فمتك ، قد رددت إليك جوارك ، فقال له : ليم يا ابن أخي ؟ لعله آذاك أحد من قومي ، قال : لا ، ولكني أرضى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره . قال : فانطلق إلى المسجد فاردد عليّ جوارتي علانية كما أجرتك علانية . فانطلقا فخرجوا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يرّد عليّ جوارتي ، قال : صدق ، قد وجدته وفيّاً كريم الجوار ، ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره ؛ ثم انصرف عثمان ، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلس من قريش يُشدهم ، فجلس معهم عثمان ، فقال لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل .

قال عثمان : صدقت . قال لبيد :

وكل نعيم لا محالة زائل .

قال عثمان : كذبت ، نعم الجنة لا يزول ، قال لبيد : يا معشر قريش ، والله ما كان يؤذّي جليستكم ، فمتي حدث هذا فيكم ؟ فقال

أذى قريش عليه ، ورجماً رأى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن تكون الحبشة داراً يأوي إليها من خشي الفتنة ، ويتحول إليها من أخرج من دياره ، ويرتحل إليها المسلمون إذا اضطروا إلى ذلك . وعاش المسلمون عند النجاشي حياة أمن وعبادة دون كيد لهم .

وهاجر المسلمون من مكة إلى المدينة وانتقل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأقام دولة الإسلام هناك ، وبدأت تنتقل جماعة إثر جماعة من الحبشة إلى المدينة وخاصة بعد غزوة بدر ، إذ شعروا أن دولة الإسلام قد رسخت أقدامها ، وشعر المسلمون في المدينة أنهم بحاجة إلى بعض إخوانهم ليزيد عددهم ، لأنهم سيواجهون قريشاً الأكثر عدداً ، وليس قريش فقط ، وإنما القبائل الأخرى التي أصبحت تترصد بالمدينة الدوائر ، ولكن بقي عدد من المسلمين في الحبشة مع جعفر بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، ورجماً خاف رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من نازلة تحل بالمدينة ، سواء أكانت من قبل قريش أم من قبل الأعراب أم غيرهم ، لذا استبقى عدداً من المسلمين في الحبشة ينشرون إسلامهم ، ويتصلون بأهلها ، وتكون بذلك قاعدة انطلاق وقاعدة احتياط إذا ما داهم المدينة خطر .

ويبدو أن قريشاً لم تنس المهاجرين إلى الحبشة ، فعندما هُزمت في بدر أرادت أن تثار منهم ، وظنّت أن موقف النجاشي ربما تغير فأرسلت وفداً إليه يضم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة غير أن هذين الرجلين قد اختلفا في الطريق ومكر أحدهما بالآخر ، فأوذي عمارة ابن الوليد من قبل النجاشي فهام على وجهه في الجبال ، ورجع عمرو بن العاص وحده ، وفشل الوفد في مهمته فشلاً واضحاً ، وانتهى كيد قريش لمسلمي الحبشة مؤقتاً — على ما يبدو .

الخلاف بين النجاشي والأحباش

ويبدو — والله أعلم — أن أثر المسلمين في الحبشة كان واضحاً ، وهذا ما أثار حفيظة النصارى المتعصبين لعقيدتهم من غير عقل ، والحاقدين على غيرهم من دون فكر ، فجمعوا جمعهم وأتوا صفاً واحداً ، وقالوا للنجاشي : إنك فارقت ديننا ، وخرجوا عليه . فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، فهياً لهم سفناً ، وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فإن هُزمت فامضوا حتى تلمحوا بحيث شئتم ، وإن ظفرت فائتوا ، ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن ، وخرج إلى الحبشة ، وصقوا له ، فقال : يا معشر الحبشة ، أليس أحق الناس بكم ؟ قالوا :

بلى ؛ قال : فكيف رأيتم سيرتي فيكم ؟ قالوا : خير سيرة ؛ قال : فما بالكُم ؟ قالوا : فارقت ديننا ، وزعمت أن عيسى عبد ؛ قال : فما تقولون أنتم في عيسى ؟ قالوا : نقول ابن الله ؛ فقال النجاشي : ووضع يده على

رجل من القوم : إن هذا سفيه من سفهاء معه ، قد فارقوا ديننا فلا نجدُ في نفسك من قوله ؛ فردّ عليه عثمان حتى شرى^(١٧) أمرهما ، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فحضرها^(١٨) ، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان ، فقال : أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنيّة ، لقد كنت في ذمة منيعة ، فقال عثمان : بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله ، وإني لفي جوار من هو أعزّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس ، فقال له الوليد : هلم يا ابن أخي ، إن شئت فعُد إلى جوارك ؛ فقال : لا^(١٩) .

ودخل أبو سلمة بجوار خاله أبي طالب .

الهجرة الثانية إلى الحبشة

وكان ممن رجع من الحبشة من المسلمين إلى مكة قد أقام بها حتى هاجر إلى المدينة فحضر المشاهد مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من حُبس حتى فاتته المشاهد الأولى ، ومنهم من مات بمكة ، ومنهم قد عاد إلى الحبشة وهم الذين لم يستطيعوا دخول مكة لا جواراً ولا خفية إذ اتفقوا ورجعوا بعد أن رأوا ما تقوم به قريش من أذى من أسلم ، ومقاطعة بني هاشم وبني المطلب وحصرهم في شعب أبي طالب . فكانت الهجرة الثانية إلى الحبشة ، حيث بقوا هناك ، وذلك بعد استشارة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

رأى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قوة ثبات المهاجرين إلى الحبشة على إيمانهم من الذين تمكّنوا من دخول مكة سواء أكان دخولهم في جوار أحد مثل عثمان بن مظعون وأبي سلمة أم خفية مثل مصعب بن عمير الذي كان فتي مكة شاباً وجمالاً وسيبياً ، وكان أبواه يُحبّانه ، وكانت أمّه مليئة كثيرة المال تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقه ، وكان أعطر أهل مكة ، يلبس الحضرمي من النعال ، فكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يذكره ويقول : ما رأيت بمكة أحداً أحسن لمة ولا أرق حلّة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير ، فبلغه أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يدعوه إلى الإسلام في دار الأرقم بن أبي الأرقم فدخل عليه فأسلم وصدق به وخرج وكم إسلامه خوفاً من أمّه وقومه ، فكان يختلف إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سرّاً فيصّر به عثمان بن طلحة يُصلّي فآخبر أمّه فأخذوه فحبسوه فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا ، فرجع متغير الحال قد حرج^(٢٠) ، فكفّت أمّه عنه من العذل^(٢١) ، بعد أن رأت ثباته على ما هو عليه وعدم إمكانية ترك إسلامه ، ومحبتة الشديدة لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

لما رأى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ثبات هؤلاء على إيمانهم ، وقوتهم في ذلك ، واستشاره من لم يستطع الدخول إلى مكة في العودة إلى الحبشة ، وافق على ذلك ، فعادوا ولحق بهم من اشتدت عليه الحال وزاد

صدره على قبائه : هو يشهد أن عيسى بن مريم ، لم يزد على هذا شيئاً ، وإنما يعني ما كتب ، فرضوا وانصرفوا عنه ^(٢١) . ليس من المعقول أن يكون النجاشي وحده في الميدان وقد صفوا له ، وإنما يجب أن يكون معه جمع وإن كانوا دون أعدائه بكثير ، ومن غير المعقول أيضاً أن يمكث عدد من صحابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مدة تزيد على أربعة عشر عاماً دون أن يتركوا أثراً أو أن يكون لهم صحب ، ولكن - مع الأسف - لم يُبحث هذا الموضوع ، ولم تتحدث عنه كتب السير والتاريخ .

كتاب النبي إلى النجاشي

وعندما أرسل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الكتب إلى الملوك والأمراء بعث عمرو بن أمية الضمري ، رضي الله عنه ، إلى النجاشي ، وبعث معه كتاباً فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة ، سلم أنت ^(٢٢) . فإني أحمده إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن . وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول ^(٢٣) الطيبة الحسنة . فحملت بعبسى ، حملته من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده . . وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالة على طاعته ، وأن تتبني وتوقن بالذي جاءني فإني رسول الله ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى » . فلما وصل إليه الكتاب وضعه على عينيه ، ونزل عن سريه فجلس على الأرض ، ثم أسلم ، ودعا بحق من علاج ، وجعل فيه كتاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم .

وبعث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فكان أول رسول ، وكتب إليه كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام ، وفي الآخر يأمره أن يزوجه صلى الله عليه وسلم أم حبيبة ، فأخذ الكتابين وقبّلها ووضعها على رأسه وعينيه ، ونزل عن سريه تواضعاً ، ثم أسلم وشهد شهادة الحق .

وكتب النجاشي إليه صلى الله عليه وسلم : أي جواب الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم . إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من النجاشي أصحمة ، السلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته الذي لا إله إلا هو الذي هداني للإسلام . أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام ، فورب السماء والأرض إن عيسى عليه الصلاة والسلام لا يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعث به إلينا . وقد قرّينا ابن عمك وأصحابه ، يعني جعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين رضي الله

عنهم ، فأشهد أنك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، صادقاً مصداقاً ، وقد بايعت ابن عمك . أي جعفر بن أبي طالب ، وأسلمت على يده الله رب العالمين . وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم : « اتركوا الحبشة ما تركوكم » .

وذكر أن عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه ، قال للنجاشي ، أي عند إعطائه الكتاب : يا أصحمة إن عليّ القول عليك الاستماع ، إنك كائن في الرقة علينا منا وكانا في الثقة بك منك ؛ لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا لنلاه ، ولم نحفظك على شرط إلا أمانه ، وقد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم ، والإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يُرد ، وقاض لا يبور ، في ذلك موقع الخير وإصابة الفضل ، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي صلى الله عليه وسلم كاليهود في عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، وقد فرّق النبي ، صلى الله عليه وسلم ، رسله إلى الناس ، فرجاء لما لم يرجهم له ، وأمنك على ما خافهم عليه خير سالف وأجر ينتظر . فقال النجاشي : أشهد بالله إنه للنبي الذي ينتظره أهل الكتاب ، وأن بشارة موسى عليه الصلاة والسلام براكب الحمار كبشارة عيسى عليه الصلاة والسلام براكب الجمل ، وأن العيان ليس بأشقى من الخبر ، زاد بعضهم : ولكن أعواني من الحبشة قليل ، فانظرني حتى أكثر الأعوان واليّن القلوب ^(٢٤) .

إسلام عمرو بن العاص عند النجاشي

قال عمرو بن العاص : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش ، كانوا يرون رأيي ، وسمعوني مني ، فقلت لهم : والله إني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً مُتكرراً ، وإني قد رأيت أمراً ما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن تلحق بالنجاشي فتكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتيهم منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأي ؛ قلت : فاجعوا لنا ما نهدي له ، وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم . فجمعنا له آدمًا كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضمري ، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه ،

أما النجاشي فقد توفي في السنة التاسعة من الهجرة ،
ونعاه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يوم توفي ، وصلى عليه
بالمدينة عند عودته من غزوة تبوك^(٢٧) .

ومع موت النجاشي ماتت المعلومات عن الحبشة ، وما ترك من أثر
بعد أن أسلم ، وما خلفه صحابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعد
أن قضوا هناك ما يزيد على أربعة عشر عاماً متفاعلين مع المجتمع . وربما
يتساءل المرء هل ذاب من تأثير الإسلام في المجتمع الحبشي مع الزمن بعد
أن جاء حُكَّام غير مسلمين اضطهدوا أنصار الإسلام فاضطر المسلمون
إلى الاختفاء وكم إسلامهم حتى زال كل أثر لهم مع الأيام أم بقي الأثر
وقصرنا نحن في البحث عنه والتعرف عليه ؟ نرجو من الله أن يبيِّن من
يبحث هذا الموضوع .

الهوامش

- (١) سيرة ابن هشام ، ج ١/ ٣٤٤ .
- (٢) التاريخ الإسلامي - محمود شاكر - ، ج ٩٩/ ٢ .
- (٣) المرجع السابق .
- (٤) سيرة ابن هشام ، ج ١/ ٣٦٧ .
- (٥) عند علي بن برهان الدين الحلبي صاحب السيرة الحلبية ، المتوفى ٨١٠٤٤ .
- (٦) السيرة الحلبية ، ج ٣٢/ ٢ .
- (٧) أم سلمة تدعى هند .
- (٨) كانت قد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال
ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهو ابن عمه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، برة ، وابن
عمه زوجته هند . توفي بعد غزوة أحد ، وخلفه على زوجته رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
فأصبحت من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعاً .
- (٩) الأدم : الجلود .
- (١٠) لجأ وأق ليلاً .
- (١١) أعلى بهم عيناً . أبصر بهم وأدري .
- (١٢) شيوخ : آخون .
- (١٣) سيرة ابن هشام ، ج ١/ ٣٥٨ - ٣٦٢ .
- (١٤) لمع : حرك .
- (١٥) سيرة ابن هشام ، ج ١/ ٣٦٢ .
- (١٦) شري : زاد وعظم .
- (١٧) خضرها : جعلها خضراء من أثر الضرب .
- (١٨) سيرة ابن هشام ، ج ١٠/ ٢ .
- (١٩) حرج : خشن وغلظ .
- (٢٠) طبقات ابن سعد ، ج ١١٦/ ٣ .
- (٢١) سيرة ابن هشام ، ج ١/ ٣٦٥ .
- (٢٢) أنت سالم .
- (٢٣) البتول : العفيفة التي لا رغبة لها في الرجال ، ولا في الدنيا وزينتها .
- (٢٤) السيرة الحلبية ، ج ٢٩٣/ ٣ - ٢٩٤ .
- (٢٥) استقام المنسم : تبين الطريق ووضح .
- (٢٦) سيرة ابن هشام ، ج ٣/ ٢٨٩ - ٢٩٠ .
- (٢٧) عن ابن حزم أن النجاشي الذي أرسل إليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عمرو
ابن أمية الضمري ، والذي بعث بالمهاجرين إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لم يسلم ، وهو
غير النجاشي الذي أسلم وصلى عليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وفي صحيح مسلم ما
يوافق ذلك .

فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين
قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه فوجدت له كما كنت أصنع ،
فقال : مرحباً بصديقي ، أهديت إلي من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم
أيها الملك ، قد أهديت إليك أدماً كثيراً ؛ قال : ثم قرَّبه إليه ، فأعجابه
واشتهاه ؛ ثم قلت له : أيها الملك ، إني قد رأيت رجلاً قد خرج من
عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطينه لأقتله ، فإنه قد أصاب من
أشرافنا وخيارنا ؛ قال : فغضب ، ثم مَدَّ يده فضرب بها أنفه ، ضربة
ظننت أنه قد كسره ، فلو انتشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه ، ثم
قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك نكره هذا ما سألتك ؛ قال :
أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي
موسى لقتله ! .. قال : قلت : أيها الملك ، أكذاك هو ؟ قال : وبحك
يا عمرو ، أتعني واتبعه ، فإنه والله لعل الحق ، وليظهرن على من
خالقه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ؛ قال : قلت : أفتبايعني له
على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ، ثم
خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمت أصحابي
إسلامي .

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لأسلم ،
فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مُقبل من مكة ،
فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام المنسم^(٢٥) ، وإن
الرجل لنبي ، أذهب والله فأسلم ، فحتى متى ! .. قال : قلت : والله
ما جئت إلا لأسلم . قال : فقدمنا المدينة على رسول الله ، صلى الله
عليه وسلم ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وباع ، ثم دنوت ، فقلت : يا
رسول الله ، إني أبايعك على أن يُغفر لي ما تقدم من ذنبي ، ولا أذكر ما
تأخر ، قال : فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « فإن الإسلام يجب
ما كان قبله ، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها » ؛ قال : فبايعته ، ثم
انصرف^(٢٦) .

كان أمر المسلمين قد قوي بعد صلح الحديبية ، ووقفت دولتهم
على أرجلها ، وثبتت أقدامها ، وأصبحت قاعدة انطلاق للدعوة ، ولا
ضرورة لقاعدة بديلة ، وعلى المسلمين في الحبشة أو في أية بقعة أخرى أن
يأتوا إلى المدينة ليتلقوا من النبع الأصلي تعاليم دينهم ، ويُهيئوا أنفسهم
للهبة الكاملة للعمل على نشر الإسلام بعدئذ ، لذا فقد أمر رسول الله ،
صلى الله عليه وسلم ، عمرو بن أمية الضمري أن يطلب من النجاشي
إرسال من عنده من المسلمين ، وقد فعل ، فجهَّز لهم النجاشي سفينتين
وحملهم بهما إلى ساحل الحجاز مقابل المدينة فقدم بهم جعفر على رسول
الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو بخير بعد الحديبية في مطلع السنة
السابعة للهجرة ، وكان عددهم ستة عشر رجلاً ، وامرأتين ، وخمسة
أولاد . وقد توفي عدد من المهاجرين في الحبشة ، كما أن عدداً آخر كان
قد انتقل إلى المدينة قبل بدر وشهدها مع رسول الله ، صلى الله عليه
وسلم ، وعدداً آخر انتقل بعد بدر .

أيام وأحلام

شعر: د. محمد عبد المنعم خفاجي

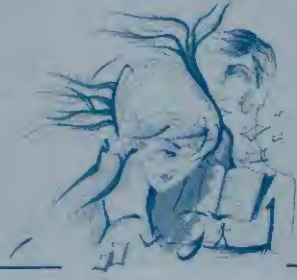
مضت السنين ومَرَّت الأيام
عشرون ، لا بل أربعون تتابع
وسمعتُ صوتاً ما أعزَّ صداه في
وكأنَّ كلَّ جوارحي النَّشْوَى تحدُّ
أو أنتَ يا أملَ الحياة ، ومن به
وأنا الذي ذرع السنين على المني
شفتهُ تهزُّجُ بالحياة وقلبه
أنا الذي طوت السنين شبابه
بين الجوانح سحر صوت هامس
وطوى الكلام وعطره في خافقي
وذكرتُ أيامي التي سلفت ، وأحد

مَرَّتْ كأن طيوفها أحلام
أنا والهوى وصدى الرؤى أوهام
أذني ، وعاد وعادت الأيام
ثني بما صنعتُ بنا الأعوام
طربت بسحر حديثه الأنغام ؟
وبروحه الهيمانية الإلهام ؟
فيه من اللهب الرهيب ضرام
عصفت به وبجلمه الآلام
وعلى الشفاو من الحديث سلام
عبق ، كما تطوي الندى الأكمام
لامي التي عصفت بها الأيام



خبأت طيفك في حنايا أضلعي
حدتني فحسبتُ أنني حالم
أوشكتُ من فرحي أكذبُ مسمعي
ما كنتُ أحسبُ قبلَ يجمعنا الضحى
وسعدتُ حين سمعتُ همسك والضحى
وتضوأتُ سحراً فقلتُ مناجياً
يا نجمتي في الأفق ، أنتَ على الشَّجا
ولأنتَ ضوءُ الشمس في ظلماتي

وكتمتُ ذكرى الأمس في همساتي
في غفوة مسحورة بسبات
وملأتُ بالأمل السني حياتي
أن المني مني على خطوات
متبسّم فرحان من بسماتي
شمس الضحى أو كوكبُ الظلمات
وعلى النوى ، أنتَ المني وحياتي
ولأنتَ فجر النور في ليلاتي



حَارَ الْبَيَانُ وَضَاعَ مِنِّْي وَالتَّوَى
يَا نَجْمَتِي لَا تَبْعِدِي إِنْ فَرَّقَتْ
وتلعثمتُ من نشوة كلماتي
أحلامنا أيدي الزمان العاتي



عصفَ الظلام بكل أحلامي، وما
يا أيها البدر الذي وشَّى الدجى
أسماء يا أخت الكواكب والسنى
لكأنما جمع الزمان فكنت أن
ما كان أسعدني زمان أطيّر من
أبقى على أمني وحلو رجائي
بالسحر، بالأضواء، بالأنداء
أو ترجع الأيام يا أسمى
ت ضيائه في الليلة الظلماء
روض إلى روض وكوثر ماء



ونشيدِي العذب الجميل من التي
كانت مناي وطيف أفراحي
وكتمتُ في صدري أناشيد الهوى
يا يوم ودّعتُ المنى ونصصتُ في الـ
ونظرتُ، والدمعُ الهتون يلفني
ووقفتُ في الأعراف أبكي جنّي
أجنيّت من دنيّاك إلا علقماً
تقتات من روحي ومن زهر الصبى
وأعيشُ وسط ضبابها وجهامها
سأظل أمسح بالدموع معازفي
كانت على ليل الشجون ضيائي
وكلّ سعادتي في وحدتي ودعائي
أمني أمام مواكبي وورائي
تبه المهووم والظلام ركابي
بسحابة الهامي، إلى الأحباب
ودّعتها وأنا على الأبواب
وسقيت من دنيّاك غير الصّاب؟
ورحيقه الفواح عطر شبابي
وتضيق في أسبابها أسبابي
شوقاً إلى الأحباب والآتراب

المستقبل.. في الأدب الروائي العالمي

بقلم: د. شبيل رافع

المستقبل : ذلك المجهول

كان المستقبل المجهول دائماً مشيراً للمخاوف منذ أن بدأ الإنسان حياته على هذه الأرض . ولم تكن كذلك نظرة الإنسان إلى ماضيه ، لأن الماضي وقعت أحداثه وتكشفت ، فلا غرابة أن كان الماضي موضع أمن وطمأنينة ، ومن هنا أيضاً كان حنين الإنسان إليه كلما اجتاحت مخاوف المستقبل . فهو يرى في ذكريات الماضي والأحاسيس التي يثيرها ملجأ من نذر الشر التي قد يجلبها المستقبل معه . وهذا يفسر لنا كثرة الداعين إلى العودة إلى الماضي ، بدل المغامرة في عالم مجهول العواقب . ولكم اشتدت رغبة الإنسان في كشف الغطاء عن مستقبله ، ولم يكن بين يديه علم يركن إليه ، فلجأ إلى حاسب النجوم ، وقارئ الكف ، وضارب الرمل ، وفاتح الودع وغير هؤلاء من الدجالين والمشعوذين . من هنا كان الدور الريادي الذي قام به الأدب الإنساني في محاولته استلهام ملامح المستقبل من خلال القدرة على التخيل والاستنباط ، مستخدماً منهجاً منطقياً وعلمياً إلى حد كبير ، بدليل أن بعض الأدباء - من أمثال الفرنسي جول فيرن والإنجليزي هـ . ج . ويلمز - قد بلغ من دقة الحساب حداً يلفت النظر في عملية وصول الإنسان إلى القمر ، وحدد لذلك تاريخاً كاد أن يكون هو التاريخ الذي حدث فيه هذا الوصول . وكان منهم من توقع انهيار الاقتصاد البريطاني وتحلل الإمبراطورية البريطانية ، وحدد لهذا كله تواريخ توشك أن تطابق ما حدث بالفعل .

الأدب الكلاسيكي

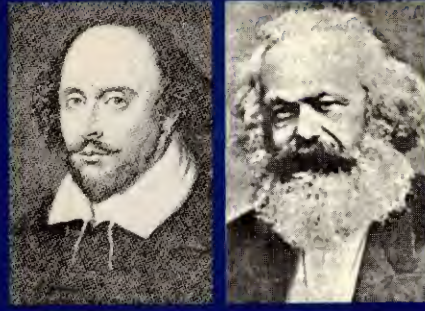
وفي الأدب الكلاسيكي القديم قامت العرافات بدور حيوي في عملية التطلع إلى المستقبل وخاصة بالنسبة للأبطال الملحميين والتراجيدين . وعند أديب كبير مثل شكسبير كانت العرافات في تطلعها إلى المستقبل تجسد الطموح الحقيقي الذي ينهش البطل من داخله ، ويدفعه دفعاً إلى مصيره المحتوم . فلم تكن العرافات في مسرحية « ماكبث » مثلاً سوى تجسيداً لما يعتل داخل ماكبث وما ينوي تنفيذه بالفعل . ومن هنا كان التطلع إلى المستقبل مجرد حيلة درامية يلبس بها الكاتب شخصية بطله . أما في معظم الملاحم والمآسي المشهورة فكان العرافون يلعبون دوراً خطيراً في نوعية القرار الذي يمكن أن يتخذه البطل ، ويؤثر - ليس على مستقبله هو فحسب - بل على مصير أمته كلها .

ومن أشهر الروايات الرائدة في مجال معالجة

« قام الأدب الإنساني بدور ريادي في محاولته استلهام ملامح المستقبل من خلال القدرة على التخيل والاستنباط ، مستخدماً منهجاً عاماً ومنطقياً إلى حد كبير . »

المستقبل رواية « النظر إلى الخلف من عام ٢٠٠٠ إلى عام ١٨٨٧ م » للروائي الأمريكي إدوارد بيلامي الذي قدم فيها خطة أو برنامجاً محدداً من أجل تحسين الواقع عن طريق استشراف آفاق المستقبل . فقد كتبها عام ١٨٨٨ م ، وكانت عينه على عام ٢٠٠٠ ، وفيها يحكي قصة شاب من بوسطن استيقظ ذات صباح فوجد نفسه في يوتوبيا مستقبلية أو عالم مثالي لا يمت إلى عالم الواقع بصلة . والرواية كلها سرد لهذا العالم الوردي الجميل ، وتسير أحداثها من عام ٢٠٠٠ إلى عام ١٨٨٧ م ، أي في اتجاه مضاد لتيار الزمن وتبحث في وقتها نجاحاً باهراً وما زالت تقرأ حتى الآن ونحن نقرب من عام ٢٠٠٠ . وقد حاول عشرات من الروائيين تقليد بيلامي في إبداع يوتوبيا في رواياتهم ، ولكن رواية بيلامي ظلت الرائدة في مجالها لدرجة أنها كانت السبب في تأسيس الحزب القومي الأمريكي الذي تبنى مبادئ بيلامي التي ترفض قيام المجتمع الجديد بأسلوب كارل ماركس . وقد قال الناقد هيوود براون في مقدمته لطبعة « النظر إلى الخلف » التي صدرت عام ١٩١٧ م ، إن بيلامي نادى بضرورة قيام المجتمع التعاوني ولكن على الطريقة الأمريكية البحتة التي لا يمكن أن تتجاهل الكيان الفردي للإنسان .

كان الصديق الفني رائداً لبيلامي سواء في كتاباته أو تصرفاته . فقد كان يعتبر المستقبل أمانة بين يدي الأديب الذي يجب أن يجعل من أدبه مرآة لهذا المستقبل . فعلى الرغم من أن دور النشر حاولت إغراقه بالأموال حتى يتغاضى عن مبادئه فإنه ظل حريصاً عليها ، وخاض حملات صحفية عنيفة على مدى عشر سنوات



شكسبير

ماركس

من أجل نشر أفكاره . وفي عام ١٨٩٧ م ، كتب دراسته النظرية عن مفهوم « المساواة » عنده وألحقها بروايته وتضمنت نقداً اقتصادياً جريئاً للنظام الاجتماعي القائم على حساب الأرباح بصرف النظر عن الاعتبارات الإنسانية . وقد أثرت آراء **بيلامى** على كثير من المفكرين الذين أتوا من بعده ، ووضعها في الاعتبار معظم المشرعين الاقتصاديين . أدى هذا بدوره إلى أن كثيراً من توقعات **بيلامى** قد تحققت ، مما يؤكد دور الأديب في تشكيل ملامح المستقبل .

ومن الواضح أن المضمون المستقبلي عند **بيلامى** قد طغى تماماً على الشكل الفني في رواياته ، فلم يلتفت إليه النقاد . لكن هذا لا يعني أنها كانت خالية من الجوانب الجمالية . فقد نجح **بيلامى** في إيجاد جو مميز لروايته استطاع به أن يخنوي وجدان القارئ وعقله .

وعلى الرغم من أن الخيال البحث كان المادة الخام التي امتق منها مضمونه ، فإن الرواية كانت زاخرة بالإسقاطات على الحياة المعاصرة مما جعلها مزيجاً من المثالية والواقعية في الوقت نفسه ، مما منحها خصوصية فكرية وفنية حافظت على حيويتها حتى الآن . من هنا كانت المكانة التي يتمتع بها إدوارد **بيلامى** سواء في مجال الرواية أو في ميدان الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

مشروع مستقبلي

وحدث في العشرينات من هذا القرن ، أن اضطلع ناشر إنجليزي بمشروع طموح ونافع ،

وهو أن طلب من مائة عالم وباحث وأديب ، أن يتعاونوا على إخراج عدة كتب – كل في فرع تخصصه – تصور ما سوف تكون عليه حياة الناس بصفة عامة ، وفي إنجلترا بصفة خاصة ، بعد خمسين عاماً من ذلك التاريخ . وكان يعتقد أن تقديم هذه الصورة المستقبلية تتيح لكل من يهمه أمر أن يتدبره قبل وقوعه ، وكان المفروض أن يدخل هؤلاء المؤلفون في حسابهم ما عساه أن ينشأ خلال تلك الفترة من عوامل تؤثر في تشكيل الصورة المراد تصويرها . وبعد مرور خمسين عاماً على صدور هذه المجموعة المثيرة من الكتب ، كتب كاتب منهم في عام ١٩٧٤ م ، تحليلاً لما احتوت عليه تلك المؤلفات المستقبلية ، واكتشف من مقارنة صدق البحوث النظرية بالواقع الفعلي ، قدراً مثيراً من التطابق لم يكن أحد من هؤلاء العلماء والأدباء أنفسهم أن يتوقعه .

ويبدو أن الروائي الإنجليزي **أولدس**

« وسوارد كان الأديب متفائلاً أو متشائماً في تصور مستقبل البشرية ، فإن ما يرنا هنا صدق الفنى وعصره على تقدم مرآة للناس حتى يروا مصيرهم المحتمل على حقيقته . »

هكسلي حين رسم صورة المستقبل فيما بعد ١٩٨٠ م ، في روايته « عالم جريء طريف » ، كان قد استوحى تلك المؤلفات ، وتأثر بوجهة نظرها التي رأى منها مصير الإنسان ، في ظروف الحياة الجديدة المتوقعة ، كيف ينتظر له أن يكون . والغريب أن الأحداث التي تنبأ **هكسلي** بوقوعها عندما كتب روايته في عام ١٩٣٢ م ، وقعت بالفعل في عام ١٩٧٤ م ، عندما تم تكوين جنين آدمي خارج رحم الأم . ففي هذه الرواية يصور لنا **هكسلي** عالماً يسوده ما يسميه المفكرون « التناسل العلمي » ، وأحياناً يسمونه « الهندسة الوراثية » ، وهي الإنتاج طبقاً لتصميم مسبق . فنجد الإنسان ينقسم إلى فصائل أ ، ب ، ج ، د ، كل منها تنقسم إلى رتب ، أما الحب فممنوع ، ويسمح بالعلاقة بين الرجل والمرأة بشرط ، فالإنجاب لا يكون إلا طبقاً « للخطة » .

وفي آخر رواية كتبها **هكسلي** بعنوان « الجزيرة » تخيل عالماً مستقبلياً يعيش في إحدى جزر المحيط الهادي ، كما تصور أن الوسائل التكنولوجية نفسها التي جعلت من « العالم الجريء الطريف » جحماً ، يمكنها أن تجعل من « الجزيرة » نعيماً إذا اختلف الهدف الذي من أجله تستخدم هذه الوسائل . فالجزيرة عالم جديد بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى . فيها يعيش الناس في سعادة كاملة ، لا فقر ولا جنون ولا حروب ولا تعسف ولا ظلم . إنهم جميعاً ينعمون برؤية صور خيالية تفوق الحقيقة . لكن النعيم ، ينقلب إلى جحيم ، عندما يأتي

المستقبل في الأدب الروائي العالمي

صحني إليها ويكتشفها ، ويقدمها للعالم . فقد تسبب هذا الصحفي في دمار هذه اللجنة الصغيرة وذلك بانضمامها إلى العالم المرعب الذي نعيش فيه اليوم . وهكذا طمست ملامح هذه الصورة المشرقة التي كان من الممكن أن تحدد معالم مستقبل أفضل للبشرية جمعاء .

هناك أيضاً رواية رائدة أخرى للروائي الإنجليزي جورج أورويل كتبها في عام ١٩٤٩ م ، وصور فيها مستقبلاً مرعباً للبشرية إذا سارت الأمور على ما هي عليه . عنوان الرواية « ١٩٨٤ » ويطلقها يدعى وينستون سميث الذي يعمل في « قسم التسجيلات بوزارة الحقيقة » . وفي طريقه إلى عمله كان يرى في كل ركن على طول الطريق صورة لامعة لوجهه مغناطيسي ، كتب تحتها التعليق التالي : « الأخ الأكبر يراقبك » . وكانت هناك وزارات أخرى هي وزارة السلام (المختصة بالحرب - هكذا كان التفكير المزدوج) ، ووزارة الحب (المختصة بحفظ القانون والنظام) ، ووزارة الوفرة (المختصة بالاقتصاد) . وكان سميث يعمل في أجهزة محو أو تحريف الماضي . وكانت شاشات التلفزيون تسجل كل كلمة وكل حركة لكل مواطن تقريباً .

وكانت هناك « دقيقتان للكره » كل يوم ، حيث تصرخ الجماهير موجهة اللعنات والسباب إلى صور المسجونين المتهمين بمعاداة النظام . وكان الأطفال يدرّبون على الوشاية بأبائهم لأي أعمال أو كلمات غير سليمة ، ثم ينضمون إلى فرق الجواسيس عندما يبلغون السادسة من العمر . وحتى اللغة لم تسلم من التحريف والمحو . فقد كان لسميث رفيق يدعى سيم وهو عالم في فقه اللغة ، يعمل في الطبقة السابعة عشرة لقاموس اللغة الجديدة ، وقد خاف سميث على صديقه لأنه كان ذكياً حكيماً أكثر مما ينبغي . وكانت اللغة الجديدة التي سوف تصبح إجبارية في عام ٢٠٥٠ م ، تهدف إلى محو الكلمات ، وإنقاص مجال الفكر . فقد كانت كلمة « سيئ » في اللغة القديمة تعني « ليس حسناً » في اللغة الجديدة ، وأصبحت « حسن جداً » تساوي « حسن فوق

لأنها تحيا هذه الحياة المزدوجة . وتتابع اللقاءات ، وحافظا الاثنان على القواعد البسيطة للحزب ، حتى يتمكنوا من انتهاك القواعد الصارمة سراً . فالحزب لا يمكن الفكك منه ، كما أنها لم يعرفا عالم ما قبل الحزب . وكانت جوليا تتحدث إلى سميث بكل حبها الجارف للحياة ، على الرغم من أنها تنبأت بأن « بوليس الفكر » سوف يبيخها يوماً ما .

وبالفعل يتم القبض عليهما . ويسجن سميث في وزارة الحب ، في زنزانة عالية ، خالية من النوافذ ، مكتظة بالمسجونين . وكان المجرمون العاديون يتمتعون ببعض الحرية في الحركة ، لكن « السياسيين » مثل سميث كانوا يعاملون كما لو كانوا نفاية . وبعد مراحل التعذيب الرهيب الذي مرّ به سميث بدأ يعترف تدريجياً بجرائم وهمية لم يرتكبها . ثم تم تدريبه تحت التعذيب على مسخ الحقيقة أولاً ، ثم على تصديق أكاذيبه ثانية ، كما تعلم تشويه ذكرياته الخاصة . وعندما بلغ التعذيب درجة لا تحتمل صرخ : « عذبوا جوليا . لا تعذبوني ! لست أعبأ بما تفعلون بها » . وبعد أن أفرج عنه جلس في مقهى حيث ظهرت جوليا ، واعترف كلاهما بأنه خان الآخر . وانطلقت الشعلة المتقدة داخلهما لكنها اتفقا على أن يتقابلا مرة أخرى .

وفجأة دوى صوت النفير معلناً أنباء « النصر » ، أعظم نصر في التاريخ البشري . وشعر سميث بالفرح وهو جالس في حلمه السعيد ، فقد تمكن أخيراً من تحقيق النصر على ذاته عندما أدرك مدى حبه العميق « للأخ الأكبر » . وتنتهي الرواية بهذه اللمسة المأسوية التي تكلل صورة المستقبل المرعب للبشرية . وسواء كان الأديب متفائلاً أو متشائماً في تصويره لمستقبل البشرية ، فإن ما يهمنا هنا صدقه الفني وحرصه على تقديم مرآة للناس حتى يروا مصيرهم المحتمل على حقيقته .



العادة » . وهكذا عندما يحل عام ٢٠٥٠ م ، يكون أدب الماضي قد « ترجم » إلى اللغة الجديدة ، وبذلك يخفي الأدب القديم تماماً لاختلاف الدلالات والألفاظ في وقت واحد . وكان « التبخير » عقاب كل من تسول له نفسه مقاومة هذا الاتجاه الجارف ، أي أن يتحول إلى بخار ويتلاشى تماماً .

وكانت مشكلة سميث أن متاعبه الخاصة كانت تقلقه إلى حد بعيد . لقد تذكر زوجته ، كاثارين المتزمتة الباردة التي اختفت منذ زمن طويل وربما تكون قد نجحت مثل والديه . وذات يوم لمح سميث الفتاة ذات الشعر الفاحم التي تعمل في « قسم القصص الخيالية » وهي تقترب منه ، فزاد خوفه منها . كانت ذراعها ملفوفة بعصابة مدلاة من عنقها . ثم تعثرت الفتاة وسقطت على الأرض ، وبينما كان يساعد على النهوض دفعت بورقة في يده ثم اختفت . لقد أفرح فتح الورقة وقراءتها خوفاً من أن تكون للرسالة علاقة « بشرطة الفكر » ، وأخيراً قرأ الكلمة الوحيدة التي حوتها الرسالة : أحبك . انهار عليه سيل من المشاعر : البهجة ، الخوف من الحب ذاته ومن البوليس ، الفضول الجنسي فيما يختص بالفتاة ، والحمى خوفاً من فقدانها .

وأخيراً استطاع أن يجلس معها بطريقة خفية خشية أن تشك السلطات ، وتبادلا بعض الأسرار ، وأعطته تعليمات مفصلة عن كيفية الوصول إلى شجرة معينة في حقل منعزل حيث تمت اللقاءات . وتوثقت العلاقة بين سميث وجوليا - إذ إنها باحت له باسمها - وأدركت أنه أحد « اللامنتمين » وأنه ضدهم . وكم كان سعيداً بمقتها للحزب ! وكم كانت ذكية

الانجاء السلوكي في علم النفس

بقلم: د. محمد مصطفى زيدان

وضع في التجربة الظروف التي تؤدي إلى النتائج التي أراد الحصول عليها .

ومع كل هذا فإننا لا نستطيع أن نذكر أن «ثورنديك» أسهم إسهاماً فعلياً في أن جعل علم النفس علماً تجريبياً ، وفي استخدامه للحيوان في البحث والتجريب لإلقاء الضوء على الإنسان ، ثم إنه برغم اعتياده على الغيبية إلى درجة ما ، خاصة في بداية حياته العلمية فإن نظريته تعتبر من أولى النظريات التي نحت بالدراسة السيكولوجية نحواً علمياً خلصته من كثير من الاتجاهات الميتافيزيقية ، ودفعت كثيرين على إثره للسير في هذا الاتجاه المثمر .

واطسون

نجد أن واطسون كان من أكثر المتحمسين للاتجاه السلوكي الآلي في مطلع القرن الحالي . وقد هاجم النظريات العقلية ، ونظريات الغرائز بعنف ، لاعتباره أنها تقوم على مفهومات ميتافيزيقية أو غيبية لا تتماشى مع الاتجاه العلمي (أي الاتجاه

● المرحلة الثانية : ترتبط باسم «واطسون» وهي تمثل ثورة قوية على كل التفسيرات الغيبية والغريزية ، وتحاول التحرر التام من كل المفاهيم المشتقة من تلك التفسيرات مثل الشعور والإدراك ، والإرادة والتفكير وغيرها .

● المرحلة الثالثة : هي مرحلة تقبّح المذهب السلوكي ومحاولته معالجة بعض تلك المفهومات التي سبقت الإشارة إليها . وهذه المرحلة ترتبط باسم «هل» بصفة خاصة .

ثورنديك

نجد أنه نظّر إلى سلوك الكائن الحي نظرة تذبذب بين الاتجاه النفسي العقلي ، والاتجاه الآلي ، واعتبر الكائن الحي آلة تخضع لمثيرات فردية منعزلة ، من البيئة الخارجية ، تتلاعب بالكائن الحي وتضعه تحت رحمتها ، ولا يستطيع إزاءها إلا أن يستجيب باستجابات آلية تتحول باستمرار إلى عادات تساعده على التكيف للحياة بصفة عامة .

ومن الناحية المنهجية ، نقول إن ثورنديك وضع الكائن الحي في موقف لا يسمح له إلا باستجابات عشوائية ، وجعل إمكانية ظهور عنصر الإدراك مستحيلاً .. واستنتج أن السلوك هو نتيجة تكوين عادات آلية ، أي أنه

أثرت الظروف والعوامل الاجتماعية والثقافية المختلفة في نشأة وتطوير المذهب السلوكي الذي يتميز باتجاهين أساسيين هما :

- (١) الاتجاه الميكانيكي العلمي .
- (٢) الاتجاه لجعل الحيوان مجالا للدراسة والتجريب ، وذلك لفهم سلوك الإنسان .

ونتوقع بطبيعة الحال أن يمر المذهب السلوكي في مراحل مختلفة من حيث مدى شموليته عن الاتجاهات العقلية في التفسير ، ومدى اعتياده على التفسير الآلي أو الميكانيكي . ونستطيع أن نتنبع في هذه الحركة مراحل ثلاث واضحة المعالم :

● المرحلة الأولى : تتميز بالتذبذب بين الاتجاهات العقلية والغريزية القديمة ، والاتجاهات المادية . وتوضح هذه المرحلة بشكل خاص في نظرية «ثورنديك» وهو ، وإن لم يكن سلوكياً بالمعنى الدقيق لهذا اللفظ ، فقد كان مع ذلك من أوائل من نادوا بهذا الاتجاه . ثم إن نظريته تقوم على أساس تحليل السلوك إلى مثيرات واستجابات (م-س) وهو الطابع المميز للمدارس السلوكية ، بالإضافة إلى أنه أكد - وخاصة في المراحل الأخيرة لنظريته - أن تفسيراته كلها تقوم على أساس مادي فيسيولوجي .

السلوكية الإجرائية عند (سكتر)

يمكن القول إن السلوكية الإجرائية عند «سكتر» امتداد حديث لعلم نفس «المشير-الاستجابة» الذي توصل إليه ثورنديك، وواطسون، وهو يفترض - كما افترض ثورنديك وواطسون - أن الإنسان حيادي وسلبى، وأن السلوك يرمته يمكن وصفه بألفاظ موضوعية، وهو في دراسته للإنسان والحيوان تجزئي ترابطي، ويعتبر أن علم النفس هو علم السلوك.

يعتقد سكتر أن جميع أنواع السلوك الإنساني تقريباً تحتاج للتعزيز الاشتراطي. والتعزيز الاشتراطي يحسن كفاية (فاعلية) السلوك، ونحن نتعلم من خلال المحافظة على توازننا: المشي، والألعاب الرياضية، وتناول الأدوات، أي أننا نؤدي مجموعة من الحركات أدت إلى التعزيز، ويزداد احتمال تكرارنا لنفس الحركات.

ولكي تدعم أو تعزز شكل معين من أشكال السلوك، ازدادت فرص هذا السلوك للتكرار. وعمل علماء النفس هو التوصل إلى فهم أفضل للظروف التي يعمل في ظلها التعزيز بكفاءة.

يرى سكتر أن متغيرات علم النفس شأنها شأن متغيرات أي علم آخر ينبغي أن توصف بألفاظ فيزيقية. فالمتغير التابع في موقف هو سلوك الفرد، ويتألف المتغير المستقل من الظروف الخارجية التي يعتبر السلوك وظيفة لها، أي أن السلوك ما هو إلا إجراء يعتمد على البيئة بحيث يؤدي إلى النتائج.

والمثير ذو الدلالة في التعلم الإجرائي هو ذلك المثير الذي يلي الاستجابة مباشرة، وأي تغيير أو تعديل في البيئة مثير، والسلوك الإجرائي هو ذلك السلوك الذي يجري على البيئة لتحقيق نتائج معينة.

وللتمييز بين التشرط البافلوفي والتشرط الإجرائي:

★ أولاً: الاستجابات الشرطية الكلاسيكية استجابات منتزعة، والاستجابات المنتزعة ثابتة نسبياً ومنعكسة مثل إفراز اللعاب أو ضيق صدقة العين، أو ثني الأطراف وسحبها نتيجة للصدمة الكهربائية.

أما الاستجابات المتعلمة في الاشتراط الإجرائي فهي استجابات صادرة عن الحيوان أو الإنسان،

ولما اطلع واطسون على اكتشاف «بافلوف» و«بشريف» (وكنا من علماء الفسيولوجي في روسيا) لظاهرة الاقتران الشرطي تمسح لها تمسحاً كبيراً، وجعل الاقتران الشرطي محور نظريته الذي يفسر به تكوين كافة العادات السلوكية. ومن أهم معالم القوة في نظرية واطسون أنها نظرية متفائلة إلى أبعد الحدود (بما يتمشى مع بساطتها)، فقد أعلن واطسون بأنه قادر إذا أتاحت له فرص التحكم في البيئة أن ينشئ أطفالاً كما يوى. هذا بشرط أن يكونوا أصحاء أصلاً. ويتضح من هذا اهتمامه الهائل بأثر الظروف البيئية لخدمة الأهداف الإنسانية. ومن وجهة النظر هذه لم يكن واطسون باحثاً نفسياً فحسب، بل كان إلى جانب ذلك فيلسوفاً ومصلحاً اجتماعياً.

ويوجه إلى نظرية واطسون كثير من أوجه النقد، من أهمها:

(١) إغفاله لعنصر الإدراك، كما هو الحال بالنسبة لثورنديك.

(٢) أنكر أهمية قانون الأثر على الإطلاق، رغم أن التجارب بينت أن الكائن الحي يتعلم نتيجة للشواب بدرجة أكبر على أقل تقدير. (ولا يوجد مبرر يدعو إلى استبعاد هذا القانون).

(٣) حاول أن يعرف على مراكز المثيرات والاستجابات في الجهاز العصبي المركزي بإجراء عدد من هذه البحوث انتهت إلى رفض نظرية واطسون حيث أظهرت هذه البحوث عدم صحة الفرض القائل إن هناك تقابلاً تاماً، أو كاملاً بين المثيرات من جهة، والاستجابات من جهة أخرى، وقد أظهرت تلك البحوث في واقع الأمر أن المخ يعمل كوحدة دينامية، وأن فصل جزء معين من القشرة يؤدي إلى إضعاف قدرة الحيوان على التعلم، ويؤدي إلى إطفاء العادات التي تعلمها فعلاً، ولكن لا يؤدي إلى استحالة تعلمها بعد ذلك من جديد.

الميكانيكي). وقد قامت بينه وبين «مكدوجل» محاوره مشهورة في هذا الموضوع لها قيمتها التاريخية، وقد ظهرت في كتيب بعنوان: (The Battle of Behaviorism أي المذهب السلوكي)، وقد أكد واطسون ضرورة حذف المفاهيم التي تتضمن معاني غيبية مثل الشعور والإدراك والمعرفة والتفكير إلى غير ذلك. وأكد هذا التفسير العلمي للسلوك (يقصد الميكانيكي)، ينبغي أن يقتصر على دراسة الظواهر الخارجية، أي الظواهر الملموسة، أي الظواهر الحركية للسلوك. وفسر التفكير بأنه سلسلة من العادات نقطة البداية فيها مثير خارجي يؤدي إلى استجابة الكائن له، وهذه الاستجابة تكون ذاتها بمثابة مثير داخلي يؤدي إلى استجابة الكائن له، وهذه الاستجابة تكون ذاتها بمثابة مثير داخلي يؤدي إلى استجابة أخرى، وهكذا تستمر عملية التفكير. ومعنى هذا أن التعلم عند واطسون عبارة عن تلوين عادات آلية نتيجة تغيرات فسيولوجية تفسر تفسيراً ميكانيكياً بحثاً. ولحرصه على استبعاد كل المفاهيم الغيبية والميتافيزيقية من نظريته استبعد قانون الأثر (عند ثورنديك) من نظريته لما يتضمنه من معان نفسية (الارتياح وعدمه)، واقتصر في تفسير لتكوين العادة على تبادل المثير، ومعنى هذا أنه إذا اقترن مثير ما بمثير آخر يستدعي استجابة معينة مرات متكررة اكتسب هذا المثير نفس الصفة بشرط التقارب الزمني بين المثيرين. ويرى «أن السلوك مجموعة من العادات، والعادة مجموعة من الأفعال المنعكسة الشرطية».

ومعنى هذا أن نظرية واطسون تقتصر في تفسيرها لتكوين العادة على عاملين هما: الحداثة أو «التقارب الزمني» والتكرار.

وتتكون العادات على هذا النحو، وينمو السلوك بتكوين سلاسل متصلة من العادات، وتصبح تلك العادات أنماطاً سلوكية تساعد الكائن على مواجهة مواقف الحياة، أو على التكيف من البيئة (ويدو هنا تأثيره بنظرية دارون)، ويصبح السلوك الاجتماعي بهذا الشكل عبارة عن سلاسل من العادات الميكانيكية المرتبطة بمثيرات من البيئات الاجتماعية. واللغة وهي من أهم معالم السلوك الاجتماعي تفسر بنفس الأسلوب.

وهي استجابات متغايرة مثل الجري والمشي ، والتقاط الحب والضغط على رافعة ، ولا علاقة لها بالثير غير الشرطي قبل حدوث عملية التعلم ، وهذه الأفعال تؤثر في البيئة وتجري عليها ، ولذلك يطلق عليها سلوك إجرائي .

★ **ثانياً : في الاشتراط البافلوفي** نجد أن المثير الشرطي مثير معين يحدد مثل صوت الجرس يعرضه المحرب أو يحدده على نحو منقطع لفترة قصيرة مرتبطاً أو مصاحباً للمثير غير الشرطي . أما في **الاشتراط الإجرائي** ، فالمثير الشرطي هو الموقف - على سبيل المثال صندوق به رافعة - وهذا الموقف مائل ومستمر خلال فترة التعلم ، والحرية متاحة للحيوان لكي يصدر استجاباته في أي وقت .

★ **ثالثاً : في الاشتراط البافلوفي** يصاحب المثير غير الشرطي المثير الشرطي بغض النظر عما يفعله الحيوان ، أي أن التعزيز لا يتوقف على فعل معين ، أما في **الاشتراط الإجرائي** فإن التعزيز يتوقف على ما يفعله الحيوان لأن ما يفعله أداة للحصول على التعزيز .

★ **رابعاً : بينا نجد التعزيز في الاشتراط البافلوفي** هو مصاحبة المثير الشرطي للمثير الطبيعي ، فإننا نجد أنه في **الاشتراط الإجرائي** مثيراً كالطعام أو الماء الذي يشبع الدافع ، وقد يكون شيئاً يهم به الفرد يلعب به أو يشاهده . وبصفة عامة يمكن القول إن التعزيز في **الاشتراط الإجرائي** هو أي مثير أو موقف يقوي الاستجابة التي تسبقه .

اتجاهات السلوكية الحديثة

كان لاتجاهات واطسن وغيره من السلوكيين القدامى تأثيراتها في النظريات السلوكية الحديثة ، التي عملت داخل الإطار العام لاتجاهات السلوكية الأولى ، وإن لم يكتف بها بل طورتها لتصبح نظريات كاملة لتفسير السلوك ، ولعل أوضح النظريات السلوكية الحديثة وأدقها صياغة هي **نظرية كلارك هيل** ، الذي اعتمد على أفكار واطسن ، ونتائج تجارب ثورنديك وبافلوف في بناء نظريته ، واستخدم لهذه الغاية منهجاً استدلالياً مبنياً على عدد من المسلمات الأولية سار بها خطوة خطوة منذ بدء ظهور المثير حتى حدوث الاستجابة .

واعتمد في نظريته على نفس التعبيرات السلوكية ، فاستخدم تعبير (مثير - استجابة) كوحدة لتفسير السلوك ، وإن اختلف في استخدامه عن السلوكيين الأوائل .

فقد كانت اتجاهات السلوكية الأولى غامضة في تعريفاتها واستعمالاتها لكل من تعبيري المثير والاستجابة . فكان تعبير «مثير» يطلق على حالات كثيرة تمتد من تغيرات الطاقة الفيزيائية التي تقع على مستقبل مفرد ، إلى التأثير الذي يستدعي سلوكاً اجتماعياً معقداً ، بينما يعني تعبير «استجابة» أي شيء من عمل خلية عضوية واحدة إلى اسم مجموعة من نتائج لا نهاية لها لمدى واسع من مناهات حركية وقد تنبه «هل» لهذا ، ولذلك تجده حذراً في استخدامه لهذين التعبيرين ، ونجده دائماً يحدد مدى وطبيعة المشاكل التي يتعرض لها .

وعلاوة على ذلك كانت السلوكية الأولى غير واضحة في بيان العلاقة بين المثير والاستجابة . وهل المقصود أن المثير يؤدي إلى الاستجابة مباشرة ، أم أن هناك عمليات متوسطة بينها .

أما «هل» فقد أوضح العلاقة بين المثير والاستجابة بالتفصيل ، وفرق من هذه الناحية بين ثلاثة أنواع من المتغيرات :

(١) **المتغيرات المستقلة** : وهي الخاصة بالمثير ، وتشتمل على الحوادث أو المواقف الموجودة في البيئة الطبيعية ، التي تؤثر في الكائن الحي ، وتدفعه للاستجابة .

(٢) **المتغيرات المتوسطة** : وهي التي تتضمن العمليات التي تتوسط المثيرات (المتغيرات المستقلة) من جهة ، والاستجابات (المتغيرات التابعة) من جهة أخرى ، وتعمل على ربط هذين الجزئين .

(٣) **المتغيرات التابعة** : وهي الخاصة بالاستجابة الناتجة التي يعملها الكائن الحي في البيئة الخارجية نتيجة تأثير المتغيرات المستقلة (المثيرات) ، وتوضح صفاتها .

وقد أوضحت نظرية «هل» عمل هذه الأنواع من المتغيرات بالتفصيل ، وعملت على غم القوانين التي تربط بينها والتي تربطها بالبيئة الخارجية ، مستنداً إلى نتائج الوقائع التجريبية والاستدلالات

الرياضية . . وبهذا شملت نظريته كافة أجزاء السلوك ، وأعطت تفسيراً لما يحدث من لحظة حدوث المثير إلى استدعاء الاستجابة .

التشريط البافلوفي

اهتمام السلوكية بالفعل المنعكس الشرطي

ظهرت الموضوعية الروسية التي بدأت بكشف الفعل المنعكس الشرطي على يدي **بافلوف** ، وبختراف ، فكان عوناً للسلوكيين ، وأساساً لتجاربيهم وتفسيراتهم بعد ذلك .

فحتى ظهور هذا الكشف كانت وحدة السلوك عندهم هي (المثير - استجابة) . وأبسط صورها هو **الفعل المنعكس** ، وهو حركة بسيطة غير مكتسبة تحدث من الفرد بطريقة طبيعية وليس لإرادته دخل في حدوثها ، مثل ضرب اليد إذا لسعت ، أو دمع العين إذا دخل فيها جسم غريب . . . إلخ .

هذا الفعل المنعكس هو أبسط صورة من صور الاستجابة لمثير . والفعل المتكامل هو مجموعة أفعال منعكسة مرتبطة بعضها ببعض .

هكذا كانت نظرة السلوكيين إلى سلوك الكائنات الحية أول الأمر . فهم يعتبرونه حاصل جمع مجموعة من العادات ، والعادات حاصل جمع أفعال منعكسة ، تماماً كما هو الشأن في بناء المنزل ، أو الآلة التي تتركب من مجموعة من القطع ، والقطع من مجموعة من الأجزاء الأصغر . . . وهكذا .

وهذه النظرة إلى الإنسان أو الكائن الحي بصفة عامة ، تعد نظرة ميكانيكية آلية . وجهة نظر السلوكيين في هذا تشبه وجهة نظر **الارتباطيين** القدامى إلى حد كبير . والفرق بينهم هو أنهم استبدلوا العبارة القديمة «ترابط الأفكار» بترابط المثير والاستجابة . وقد أعطت تجارب علم نفس الحيوان ، وخاصة تجارب ثورنديك ، دليلاً تجريبياً على إمكانية تفسير سلوك الكائنات الحية على أساس (المثير - استجابة) ، وتقوية الرابطة بينها بتكرار المحاولات بالشكل الذي سبق توضيحه ، إلى أن اكتشف الفعل المنعكس الشرطي فساعد على تدعيم هذا الأساس وأعطاه بعداً جديداً .



الظواهر النفسية التي تسهم في تفسير الأفعال المنعكسة الشرطية عند بافلوف

لقد وجد المشتغلون بعلم النفس في تجارب (بافلوف) وغيره من العلماء ، مادة خصبة لتصوراتهم ، وقالوا : إن فهمنا للفعل المنعكس الشرطي ، لا يستقيم دون استعانة ببعض الظواهر النفسية . وعندما سأل (بافلوف) زملاءه النفسيين أي نوع من التصورات يستخدمون في تفسير أفعاله المنعكسة الشرطية اقترحوا (الرغبة desire) و (التوقع expectation) و (الخيبة disap-pointment) .

ولا شك أن في استطاعتنا تتبع تلك الظواهر النفسية الثلاث : الرغبة ، التوقع ، الخيبة في تجارب (بافلوف) السابقة . فقد يكون طبيعياً مثلاً ، أن تلعب الدوافع أو الميول أو الرغبة دوراً هاماً في إحداث التعلم الشرطي . فقد لوحظ أن الكلب الشبعان أقل استجابة للموقف من الكلب الجائع ، فعدم إشباع دافع الجوع من شأنه أن يجعل الحيوان في نشاط مستمر . ولم تكن ظاهرة (التوقع) أقل وضوحاً من (الرغبة) في تجارب (بافلوف) ، حيث لوحظ أن سيلان اللعاب عند الكلب لم يكن قاصراً عند تقديم الطعام له ، بل حدث كذلك عند رؤيته للشخص الذي كان يقدم له الطعام ، وحتى عند سماع وقع أقدامه في حجرة مجاورة . وهذا بلا شك معناه ، أن الكلب أدرك العلاقة بين الطعام والشخص الذي يقدم له الطعام ويعتبر هذا نوعاً من التعلم ، يظهر أثر الإدراك فيه ، إذ ينتقل الموقف من حالة التخصص إلى حالة التعميم .

وأعني بها الخيبة ، فيمكن ملاحظتها فيما أوردناه من حقائق ونحن نستعرض مسألة انعدام أثر الاستجابة الشرطية ، حيث إن المثير الصناعي يصبح قادراً على إحداث الاستجابة المنعكسة ، إذا قوي أو اتبع بالمثير الطبيعي عدة مرات .

أما إذا قدم المثير الشرطي ، دون أن يقويه المثير الطبيعي ، ويشد من أثره ، فإن الاستجابة تتعرض في هذه الحالة للزوال السريع . ولا شك أن هذه الظاهرة تدل بدورها على أن هناك إدراكاً يتخلل عملية التعلم السابقة .

يصبح قادراً على إحداث استجابة مشابهة ، ويسمى مثيراً شرطياً ، ويلاحظ أنه لا بد للتعلم الشرطي من الاقتران الزمني . وعادة يكون المثير الشرطي قبل المثير غير الشرطي ببضع ثوان .

(٢) الانطفاء Extinction : أي استجابة

شرطية ، تذوي وتنتهي إذا لم تعزز من آن لآخر . ففي تجارب بافلوف لوحظ أنه بعد استمرار تقديم المثير الشرطي بمفرده عدة مرات لم يستجب الكلب بإفراز اللعاب .

(٢) التعزيز Reinforcement : لا بد

من تقديم المثير غير الشرطي من آن لآخر لتعزيز العلاقة الشرطية ، وإلا انتهى الأمر بالانطفاء . وقد أخذ كثير من العلماء بمبدأ التعزيز ، ونوا عليه نظرياتهم أو أجزاء منها مثل (هل ، سكرز ومورد) .

الاسترجاع التلقائي Spontaneous

: Recovery

إن الانطفاء لا يعني انتهاء العلاقة الشرطية تماماً إذ يحدث أحياناً إن تعود الاستجابة الشرطية مرة أخرى ، بدون تعزيز ، وهذا ما يسمى بظاهرة الاسترجاع التلقائي .

أثر الدوافع

لقد كان من العوامل الهامة في نجاح تجارب بافلوف ، قوة الدافع الأولى ، وهو دافع الجوع . ولا شك أن صوت الجرس قد جذب انتباه الكلب ، وربما إذا كان صوت الجرس مزعجاً ، ومثيراً للخوف لما حدث ارتباط . ففي إحدى التجارب ، كان يقدم لقط جائع الطعام ، وقبله مباشرة يعطى صدمة كهربائية . فهل ينتظر من هذا القط أن يسيل لعابه ، ويسر لحدوث الصدمة لأنه سيشتيع جوعه بعد ذلك ؟ بالطبع لا ، بل بالعكس كان القط بعد بضع صدمات ، يتجنب الطعام .

ونلتفت الآن إلى الفعل المنعكس الشرطي ، لنرى كيف ساعد اكتشافه على تدعيم وجهة نظر السلوكيين ؟ دائرة في تجاربهم وتفسيراتهم .

فكان مجال أبحاث بافلوف أساساً هو دراسة فسيولوجيا الجهاز الهضمي عند الطلاب ، ونال شهرة واسعة في هذا الميدان . ولكن بالرغم من هذه الشهرة الواسعة في مجال الفسيولوجي ، إلا أن أعظم اكتشافاته وهو الفعل المنعكس الشرطي يتصل أكثر بدراسة السلوك .

فقد لاحظ بافلوف أثناء إجراء تجاربه على الكلاب أن المثير الذي يصاحب تقديم الطعام كروية الوعاء الذي يوضع فيه الطعام أو صوت هذا الوعاء ، أو حتى وقع أقدام حامل الطعام ، تحدث إسالة لللعاب . . فإذا كان الطعام في الفم يعتبر من غير شك مثيراً طبيعياً لمسيل اللعاب بفعل منعكس فمن الصعب أن تكون رؤية وعاء الطعام أو خطوات حامله مثيراً طبيعياً لهذه الاستجابة .

أثارت هذه الظاهرة بافلوف فأجرى عدداً من التجارب ، أثبتت إمكانية ارتباط استجابة ما بمثير غير مثيرها الأصلي إذا تكرر تقديم هذا المثير الجديد مع المثير الأصلي عدداً من المرات .

وفي إحدى هذه التجارب كان يسمع الكلب صوت جرس ، وبعد ثوان قليلة يقدم له الطعام فيسيل لعاب الكلب . وكرر هذا الموقف عدداً من المرات بالنسبة لنفس الكلب ، بحيث كان سماع صوت الجرس يتبعه دائماً تقديم الطعام وتحدث استجابة إسالة اللعاب . بعد ذلك قدم بافلوف مثير صوت الجرس وحده ولم يقدم الطعام ، فوجد أن لعاب الكلب يسيل بالرغم من ذلك . واستنتج بافلوف من ذلك ، أنه إذا شرطت استجابة معينة بمثير يصاحب مثيرها الأصلي ، وتكررت هذه العملية عدة مرات ، ثم أزلنا المثير الأصلي وقدمنا المثير المصاحب وحده ، فإن الاستجابة المعينة تحدث . وأطلق على الاستجابة التي تحدث تحت هذه الظروف اسم «الاستجابة الشرطية» .

أسس التعلم وخصائصه

عند الشرطيين

(١) الاقتران الزمني : إذا قدم مثير ما ، واقترن معه مثير أو مشيرات أخرى تؤدي إلى استجابات فطرية ، فإن المثير الأول (غير الطبيعي)



تأليف: جاك روفاي و جون سورينيا
ترجمته عن الفرنسية: راضية عبد الرحمن عبيد

الأوبئة في تاريخ البشرية

تكيف المجموعات البشرية مع العدوى في العالم عبر السنين له فوائده الكبيرة في حاضرتنا .

ولقد سعى الإنسان - أينما كان - إلى مكافحة المرض بتغيير بيئته وباكتشاف الأدوية الشافية . وقد ذكر المؤلفان أن التطور الكبير الذي تحقق - من تطعيمات وطب وقائي - لا ينبغي له أن ينسبنا أن ما بقي إنجازا كثير لأننا لا نعرف تطورات المناعة . فالطبيب لا زال يتكهن بكثير من هذه الأدوية . ويفضل معرفة رصيدنا الوراثي يمكن تحديد مسبق لنقط ضعف كل شخص وعوامل تعرضه للخطر .

وفي هذا المجال ينبغي لطب المستقبل أن يستعين بالعلوم الإنسانية في تنظيم وسط أقل عدائية ويكون منسجما مع قدراتنا الجسمانية ومتطلباتنا الذهنية . ولقد اختفت آفات الماضي الكبرى مثل الجدري ولكن لا ننسى أن الإنسان يظل هشا للغاية .

اختفاء أمراض الماضي

ولئن كان أول تطعيم ضد الجدري هو انتصار التجريبية ولئن لم يكتشف تفسيره البيولوجي إلا بعد مائة عام فهذا لا ينقص شيئا من قيمة مكتشفه جانير Janner .

ولدينا اليوم تطعيمات ضد عدد كبير من الأمراض المعدية مثل الجدري والتيفوئيد والطاعون والسل والحمى الصفراء والدفتريا والسعال الديكي والكليليرا والحميراء والشلل والكباد (التهاب الكبد) والقائمة لم تقفل بعد

ونعلم أن شعبا ما لا يحتاج إلى أن يطعم بأجمعه لمنع انتشار وباء ما ، فمثلا بالنسبة إلى الجدري نسلّم بأن انتشاره يتوقف إذا كان ٤٠٪ من السكان غير متقبلين للمرض ولا يمكنه أن ينتشر إذا وصلت هذه النسبة إلى ٦٠٪ .

يقع هذا الكتاب في (٢٨٤ صفحة) وهو من تأليف طبيبين جامعيين هما : « جاك روفاي » و « جون بارك سورينيا » حاولا فيه الاعتماد على علم الحيوان والتاريخ في الإجابة عن الأسئلة التالية :

★ لماذا تسبب بعض الجراثيم أمراضا معدية في جسم الإنسان ؟

★ لماذا اختفت - تقريبا - معظم أمراض الماضي المعدية مثل الطاعون والجدري ؟

★ هل بإمكان هذه الأمراض أن تعود ثانية وهل يخشى من ظهور أوبئة جديدة ؟

« و جاك روفاي » أحد مؤلفي الكتاب معروف من خلال مؤلفاته البارزة مثل : « من البيولوجيا إلى الثقافة » (١٩٧٧ م) و « دراسة الحي » (١٩٨١ م) .

والكتاب الذي نعرضه يركّز على أكبر النظريات حول تطور النوع ، والانتقاء الطبيعي ويلج على ظاهرة تعدد الأشكال السوراثية . فكل الأنواع مختلفة وراثيا ، إذ رغم التشابه الكبير بين الأشخاص فإن ذلك لا يعني أن لهم الرصيد الوراثي نفسه فكل مجموعة بشرية تملك ظروفها البيئية وتتغير الأمراض بحسب الظروف التي تنمو فيها .

ولم يعد هناك مجال لاعتبار المرض في مفهومه المجرد ، إذ إن كل فيروس له تاريخه ، والمرض هو قبل كل شيء سلوك متلقٍ الطعام تجاه دخيل ، إضافة إلى تاريخ الأوبئة الكبيرة « كالجدام في العصور الوسطى » و « الطاعون في القرن الرابع عشر الميلادي » و « الزهري في عصر النهضة » و « السل » في العهد الصناعي الأوروبي إلخ . . .

فبعض هذه الأمراض قد أودت بحياة شعوب بأسرها وأحدثت تغييرا ديمغرافيا يضاهي ما تستطيع أن تفعله اليوم كارثة نووية لهذا فإن فهم



والبكتيريا والفيروسات تعيش في توازن وفي تجاوب غير أن هذا التوازن يختل عند أدنى تغير... فمثلاً عند اجتياز الحدود، يغير السائح غذاءه: إن خبز مدينة «كلونيا» ليس له نفس رشقات خبز باريس وهذا من شأنه إحداث اضطرابات هضمية تعرف خطأ بالتسمم وتتوقف بمجرد أن تتخذ رواشن الجهاز الهضمي توازناً جديداً، إن مشكل التعايش ليس نوعياً فحسب بل كمي أيضاً يتعلق بعدد الدُّخلاء، كل واحد منا يحمل في أمعائه عصيات كلونية وجراثيم عنبية فإن كان الماء في مدينة ما (حتى وإن كان معدنياً حاراً) يحوي كثيراً من العصيات الكلونية فإنه يسبب وباء.

وإن كانت المثلجات التي تباع في مدرسة أو على شاطئ تزوي كثيراً من الجراثيم العنبية staphylocoques فإن كل المجموعة تصاب. إن تقبل الدُّخلاء هو رهن مناعة الجسم ومبحث رواشنه مثلها هو تقريباً في مدنتنا الكبيرة حيث يصبح التوازن الاجتماعي مهدداً عندما يتعدى عدد المهاجرين حداً معقولاً.

وفي حالات أخرى، فإن الجرثومة الموجودة في توازن جيد مع الجسم البشري يمكن أن تصبح - دون سبب معروف - باعثة للمرض. إن الحياة في الطبيعة هي حلقات غذائية واسعة حيث تتطفل الأنواع بعضها على بعض.

ومن حسن الحظ أن أقلية فقط من بين العدد الهائل للجراثيم التي تصيب الحيوانات الوحشية أو الأليفة تعدّ خطرة على الإنسان فالطاعون البقري والطاعون الطيري مثلاً لا يهددانا.

وعندما لا يتوفر شرط بينوي للجرثوم فإنه إما يتحول أو يتوقف عن الإيذاء أو يموت، ولعل هذا ممّا يفسّر انقراض بعض الأمراض مثل الجدري الذي أحدث دماراً في تاريخ البشرية وتقدير ضحاياه (مثل الطاعون) بمئات الملايين وانقراضه من على وجه البسيطة هو نتيجة التطعيمات الجماعية وقد سجلت آخر حالة له في الصومال سنة ١٩٧٧ م، وتمنح منظمة الصحة العالمية اليوم جائزة كبيرة لمن يعلن عن الحالة المؤكدة القادمة ومن الأخبار المفرحة أن التطعيم لم يعد ضرورياً خاصة إذا علمنا أنه قد يصاحب أحياناً حوادث خطيرة، والعاملون في المختبرات الثلاثة والعشرين التي تعدّ التطعيم لا ينبغي أن يلحقوا، والفيروس نفسه لا يوجد ولا يزرع - نظرياً على الأقل - إلا في مختبرين معتمدين ولكن اطمئنان المسؤولين على الصحة العامة ليس مطلقاً، وفطنة البيولوجيين تحتدّ وكلهم يمارسون مراقبة وبائية يقظة، وتوجد نوعيات عديدة من الفيروسات القريبة من فيروس الجدري وقد تمّ

وهذه المناسبة فإن الكثافة السكانية اللازمة لا تكفي لانتشار عدوى مباشرة وناجمة ومع هذا فإن كل المشاكل لم تحل بعد إذ ليس لدى كل الأشخاص مناعة بمجرد التلقيح ولكي نحصل على ٦٠٪ من المحصنين ضدّ المرض فلا بد من تطعيم ٨٠٪ أو ٩٠٪ في الأقل.

ومن المعروف أن التطعيمات باهظة الثمن إذ لا بد من تخزينها في ظروف حرارية معينة كما أن حملات التلقيح الجماعي تقرر عادة على عجل أمام تهديد ملتح، وتفتقر عادة البلدان في طريق القو إلى الرجال والمواد والمال، لتنفيذ هذا العمل المنقذ بدون تأخير، ونحن لا نملك الآن تطعيمات ضدّ كل الأمراض، وهذا يعني أنه ليس باستطاعتنا مكافحة البرزويات.

ونبدو قريين من بلوغ الهدف في ميدان الملاريا والبلهارسيا ولكنّ التشخيص غير أكيد دائماً وتشير أعمال التركيب إلى أن تطعيماً ضدّ الحمى البرادانية يمكن أن يصبح صالحاً للاستعمال في أجل قريب وهكذا نقضي على مرض يصيب الكثير من الناس وقد يؤدي أحياناً إلى الموت ومدة المناعة الممنوحة تتغير حسب المادة، وخاصة حسب الأشخاص لأسباب لا نزال نجعلها.

في الخمسينات وبينما كان وباء الشلل يسبب عشرات الآلاف من الموق والموقوفين في الولايات المتحدة وشمال أوروبا فإن تطعيمين ضدّ المرض قد ظهر، ويشرب الأول بفيروس مخفّف أمّا الثاني فيشرب بفيروس ميت يحقن وكان الاثنان ناجعين في البلدان المتقدمة في حين أن هذين التطعيمين لهما - دون سبب معروف - تأثير مختلف اليوم في البلدان النامية حيث استفحلت تلك المشكلة وقد قنا مؤخراً بنفس الملاحظة في بعض المجموعات بالهند الجنوبية حيث يسبب تطعيم «ب س ج bsg» (ضدّ الدرن) ردود فعل مناعية أضعف بكثير ممّا يحدثه في الشعوب المجاورة وبإمكان مواقف من هذا النوع أن تشكك في النجاح الذي يبدو نهائياً.

فالشرط إذن مزدوج والحال أن جسمنا كما هو الحال بالنسبة إلى كلّ الحيوانات يؤوي في الجلد أجهزة التنفّس والهضم والتبول وكذلك الأنواع التي تعيش فيه ضيوفاً مسالمة أو حتى ضرورة مثل البكتيريا التي تحقّق في الجهاز الهضمي التحويلات الكيماوية التي تستحيل بدون هذه البكتيريات، إنها ليست طفيليات حقيقية ولكنها رواشن، كل هذه الأنواع: الإنسان

عزل أصناف عديدة غير خطيرة - من حسن الحظ - على الإنسان ، ولدينا الأدلة المصوليّة .

إن العديد من الأفارقة قد أصيبوا - دون علم - بفيروس جدري القرد الذي لا يحدث أي اضطراب على النوع البشري ، لكننا لا نعرف بالضبط كيف تتحرك هذه الفيروسات في الطبيعة ولا نعرف موقعها البيئي التمييزي كذلك ولا صلة قرابتها ، ولم يعد الإنسان الآن يصاب بهذا المرض ولم يتوصل إلى هذه النتيجة إلا بعد قرنين من الزمن . ومن سوء الحظ أن هذه الميزة لفيروس خاص بالإنسان ولا يعيش إلا عليه هي فريدة . ومن هنا نفهم ضرورة التيقظ ولا بد من توفر شرط ثالث بالنسبة إلى كثير من الأمراض وهي دخول الجرثوم من جسم الإنسان .

وبالاعتماد على ملاحظات تجريبية تمكن الإنسان من اتخاذ الإجراءات الناجمة لمنع العدوى في زمن كانت فيه البكتيريا العضوية غير معروفة ومفاهيم العدوى في موضع جدال ، فعزل المصابين بالطاعون تمنع إصابة المسالمين ، وجزّ المياه الصالحة للشرب تمنع مزج إصابة المياه الغذائية ، والمياه الملوثة كانت وراء انخفاض عدوى الحمى والكوليرا .

كما أنقص هدم الأكواخ في المدن الكبيرة الاختلاط ومن ثم نسبة الإصابة بمرض السل والأمثلة من هذا النوع عديدة : نظافة المنزل وسهولة تنظيف الملابس والمبيدات الجديدة وكلها تكافح بقوة الجيوش الناقلة للعدوى كالبراغيث والبق والقمل والقراد وبالتالي فهي تكافح الطاعون والحمى الصفراء والكوليرا والحمىراجعة .

تحتاج كثير من الميكروبات إلى حشرات ناقلة لتعيش وتنتقل وحين نعجز عن مكافحة جرثوم غير معروف فنحن نتوجه إلى ناقله الذي ليس دوماً معروفاً هو الآخر وحين يكون معروفاً فهو ليس دوماً في متناولنا وفي هذا الميدان بالذات لا يزال الدرب أمامنا طويلاً .

أوبئة جديدة

ولئن اختفت في علمنا الدائب الصيرورة والزوال بعض الأمراض فإن هذا يحدو بنا إلى وضع فرضية ظهور أمراض أخرى غير معروفة لدينا اليوم عند توفر الشروط الثلاثة ، ولو افترضنا أن الإنسان لا يتغير وكذلك نوعية تطعيماته فإن التغيير قد يحدث في الجراثيم وأسباب ودواعي انتقالها وهذه الفرضية تطابق دون شك التغيير الكبير في فيروسات الزكام التي تتحول دوماً ، ونحن لا نعرف كيف تكون البنية الفيروسية للزكام القادم ،

فإن كانت بعض الفيروسات ستظهر فإن أخرى موجودة بالفعل مع جهلنا أو عدم معرفتنا بدقة لأضرارها . ومنذ سنوات اعتبرت الحميراء مرضاً هيئاً وغالباً ما يصيب الصغار ولكن اكتشف منذ بضعة عقود فقط أن الفيروس إذا أصاب امرأة حاملاً في الشهور الثلاثة الأولى فإنه مسؤول عن تشوّه الجنين ، والحال أن الحميراء بإمكانها أن تسبب طفحاً جلدياً خفيفاً لا تتبين الأم له أية علامة ، إننا نجعل عدد الجراثيم التي تدخل جسمنا في كل لحظة فيكون لها آثار نافعة أحياناً وضارة أحياناً أخرى .

كما أننا نجعل النتائج الآجلة لأمراض تبدو هيئة فعظم المصابين باليرقان يشفون تماماً بدون مضاعفات ولكن أصبحنا نعلم أن البعض يصاب بعد بضع سنوات أو عقود بسرطان الكبد ، وهكذا نظمت حملة تطعيم ضد هذا الكبد ذي الفيروس «ب» .

كما أن بعض أنواع السرطان يمكن أن تكون من أصل مُعدٍ مثل فيروس «آبشتين بار Epstein Barr الذي وصف أولاً في إفريقيا الشرقية حيث أدى إلى سرطانات عظمية وبدأ يظهر شيئاً فشيئاً في أوروبا .

ويغلب على الظن أن بعض أنواع السرطان المنتشرة في مناطق الصين مثل سرطان المريء وسرطان الكبد يمكن أن يكون سببها خميرة تعفن الطعام أو قل فيروساً .

إذن فالأمراض التي لا نعتبرها اليوم من أصل مُعدٍ لعلها كذلك ولأننا نجعل حتمية بعض الأمراض المستوطنة فلعلها ستصبح في يوم ما وبائية ، ومن الخطأ أن نظن أننا - بحكم تطور العلم وخاصة الطب - نستطيع التحكم في البيئة المحيطة بنا .

والخلاصة أن الإنسان لا بد له من تجديد تكييفه ومواجهته للوسط الذي يعيش فيه ، فعليه إذن اختراع أسلحة جديدة ضد الأعداء الجدد .





★ عبد الله عبد الرحمن جفري ★

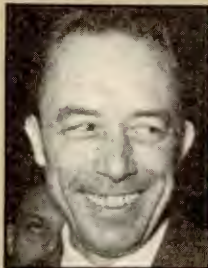
أبواب الحرية والشمس

تأليف: عبد الله عبد الرحمن جفري
عرض: د. سلوي غلي سليم

الآن على العقلية العربية المأزومة !!
● متمردون مستنيرون مهمومون بقضايا
أمتهم ، يعبرون عن موروثات حضارية ، أصولية
وعصرية ، يتعاملون مع مختلف الثقافات من
موقف ثابت ، ومتطور أيضاً في محاولة دؤوبة
لإثراء الحياة من حولهم ، بغير سفسطة
ولا تعالم ، يعينهم في ذلك ثقافتهم المتنوعة ،
ونناءهم الإنساني المتأسك ، وغير المنهز بكل
ما هو حديث وأجنبي !! على الرغم من
استغراقهم في تفهّم وجهات النظر الثقافية
والأدبية والفنية في عالمهم .

عليهم لأنهم لا يعرفون ماذا يقولون ، ولذلك
لا يفهمهم أحد ، ولهذا يرجع الفضل في حالة
اللافهم ، واللاوعي ، واللائقافة ، التي تسيطر

★ مصطفى صادق الرافعي ★ ★ ألبير كامي ★



أبواب للريح والشمس كتاب
خادع .. تشعر وأنت تتصفح أنه مجرد
مقالات تم تجميعها في كتاب .. ولكنك
عندما تقرأه تدرك أنك كنت ساذجاً ..
فأنت أمام كاتب متمرد ، واسع
الاطلاع ، والمتمردون في عالمنا العربي
نوعان :

● متمردون أيديولوجيون يملكون مقدرة
عالية في صياغة المفاهيم والجمال المتعارضة ،
ولا تملك إزاءهم سوى الإحساس بالحرية

ومؤلف « أبواب للريح والشمس » ينتمي إلى فصيل المتمردين المستنيرين في عالمنا العربي ، هم وإن كانوا قلة ، فإنهم يمثلون ضمير أمتهم التي تتحدد قسماًته عبر الزمن القادم .

الكتاب .. صورة قلمية ، وسياحة فكرية عبر ثقافات مختلفة ، متنوعة المواقف والأهداف وأدوات التعبير ، ومع ذلك فإن استخلاص المواقف الأساسية ، والمنطلقات الفكرية هؤلاء جميعاً ، سواء كانوا أوروبيين أو أميركيين ، يتم عن عقلية نقدية واعدة ، تقرأ وتستوعب وتنصهر في داخلها كل المعاني والقسم المتعارضة ، لتقدم لنا في النهاية رأياً يمكن الاعتزاز به ، والتعويل عليه .

لقد قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة فصول : الأول : الحب في عادية الأشياء ، والثاني : الميلاد والرحيل ، والثالث : أصوات الأيام .

ما الذي يحدث الآن ؟

سؤال يطرحه المؤلف فيقول : « إن الذين باستطاعتهم الرد على هذا السؤال هم الذين يخترعون الأسلحة المدمرة ، والذين ملأوا حياتنا التي كانت بسيطة بكميات هائلة من « الأزارير » التي يتحكم فيها إصبع واحد ، وهم هؤلاء الذين يخترعون الجديد للقضاء على الإنسان ، أكثر من اختراعهم للجديد الذين يدعون أنه يوفر الراحة والرفاهية للإنسان » .

ولكن هذه الحياة التي تتحكم فيها التقنية العالية المتصلة بالأزوار أو الأزارير كما يقول ، تفتقد إلى دفء العاطفة والحب ، هذا الحب الذي جعل مصطفى صادق الرافعي لا يكتب حرفاً واحداً لمدة عام ، وعندما أرسلت

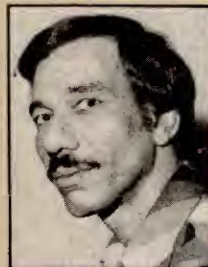
إليه الأدبية مي زيادة رسالة في سطر واحد ، تقول له فيها : « افتقدناك .. فهلا رجعت لتروي ظمأ هذا القرطاس ؟ » ، وعاد الرافعي بسبب كلمات مي القليلة إلى الكتابة ، فكتب مؤلفاً كاملاً اسمه « أوراق الورد » .

أما أريك سيجال الذي كتب روايته الشهيرة عن الحب في زمن افتقد الناس فيه هذا الحب ، فقد كانت مفاجئة للجميع ، وكانت سبباً في شهرة سيجال الذي قتلته الشهرة لأنهم حملوه فجأة ، وطاقوا به العالم وهو في مكانه ، وطاقوا به أذهان الناس وأعينهم وانهارهم ، لأنه قدم شيئاً غير متظر وغريب ، ولا يحدث اليوم بهذا العنف ، لأن الحب لم يعد هو الرابط الوثيق الذي لا ينفصم ، إنه شيء يتعاطاه الشباب ثم يعود إلى الأرصفة ، واللافتات والليل ، والصراخ والمسدس .

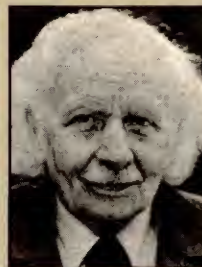
أما البير كامبي ، فإنه زخم هائل من المعاناة ، والقلق ، والخوف والحب و « الاحتماء » ، ولكن فلسفته قامت على مبدأ الإدراك - « هل أنت سعيد حقاً ، أم أنها انتعاشة التعاسة .. لا أعرف ماذا يمكن أن أفتنى أكثر من هذا الحضور المستمر للنفس مع النفس ؟! ما أريده الآن ليس السعادة ، بل الإدراك !! » .

ويتنقل بنا الكتاب بعد ذلك إلى آراء ومواقف وليم فوكنر الأمريكي وهفمان الإيطالي وآرائهما في الحب والحزن .. ثم الشاعر

★ أمل دنقل ★



★ لويس أراجون ★



العربي إبراهيم ناجي الذي يقول :

« أي سر فيك إنني لست أدري

كل ما فيك من الأسرار يغري »

وفي رؤية نقدية واضحة يقدم لنا المؤلف آراء ومواقف كولن ولسون ، وفلسفة اللامتنى :

- « الحقيقة بسيطة ، وهي أن القوة كانت العنف الطاغى للتاريخ » .

- « وليس الحذر إلا وسيلة فاشلة يتحصن خلفها الضعفاء » .

إن بطل رواية « طقوس في الظلام » لكونن ولسون هو نموذج إنسان القرن العشرين الميلادي ، الذي تعذبه نفسه قبل أن يعذبه غيره ، تعذبه وحدته كما تعذبه معرفة الناس .. عانى من بعد المرأة ، وقاسى من لقاءها بعد ما عرفها !!

ثم فراسوا موريك ، وچان كرواك أديب الغضب الأمريكي الذي أشعل مفاهيم الشباب في الولايات المتحدة ، ثم فرانسوا ساجان في « مرجحاً أيها الحزن » ، و « ابتسامة ما » ، ثم الكاتب المسرحي الفرنسي « هنري دي مونترلان » في كتابه « مالاتستا » الذي قال فيه عبارته الشهيرة : « إن عدم الاستقرار وعدم الثبات هما الحياة نفسها » ، وأرسل دعوته التي تلخص في العودة إلى الإنسان ، وقوله : « إنني أفرع من الناس الذين تملكهم الثقة ، لأننا نعاني من مآزق الضعف العاطفي ، لأننا تثقفنا بعباء العصر المضطرب » .

ثم لويس أراجون الذي يقترب في أشعاره المتدفقة بالحب لمحبوته إلزا من العواطف المشبوبة في رواية وأشعار مجنون ليلى ، وهو الذي قارن بين مجموعة شعراء التروبادور في فرنسا أثناء القرون الوسطى



في زمن عربي رديء كملت الأيديولوجيات السياسية فيه أفواه الباسحين عن الخلاص العربي؟

وفي هذا الإطار سفظ أدباء ، وتنكروا لتاريخهم الأدبي ، مثلما فعل توفيق الحكيم في «عودة الروح» ، ورحل آخرون مثل أمل دنقل : لقد بدأ أمل دنقل رحيله منذ أن أصبح كل شيء في الكلمة العربية يفرق ويموت ! كان أمل يُغازل الرحيل ، فيراه انتقلا من دنيا تضيق بالأحرار وبالشرفاء وبالوطن ، لتتسع بالعبيد والمستعمرين وبالأقوياء المتسلطين على مقدرات الأمم .

وقد أشار الكتاب إلى أهم قصائد أمل دنقل «لا تصالح» التي وصفها الجفري بأنها كانت صوت الكلمة العربية النقي والمراهن عن العصفير والمطر والعشب :

«لا تصالح»

إلى أن يعود الوجود لدورته الدائرة
النجوم لميقاتها .. والطيور لأصواتها
والقتيل لطفلته النازلة !

كل شيء تحطم في لحظة عابرة !

— «والذي اغتالني : مرض لص

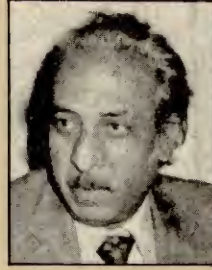
سرق الأرض من بين عيني

والصمت يطلق ضحكته الساخرة !

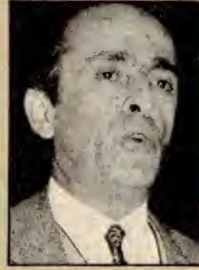
لم يفرض الزمن العربي الرديء الانتحار على أمل دنقل ، كما فعل خليل حاوي الذي أطلق الرصاص على نفسه ، لأن الموت ذاته هو الذي أطلق عليه الرصاص ، فانتحر بالموت في كثافة مشاعر القهر والأسى والغربة !

وقبله أقدم صلاح عبد الصبور على الانتحار بالموت في كثافة مشاعر القهر والغربة والأسى أيضاً .. فهيناً له الموت الذي يُحييه ، لأنه كان يعيش في الحياة التي تقتله !

ومن أمل دنقل ينقلنا المؤلف إلى محمود



★ صلاح عبد الصبور ★



★ خليل حاوي ★

جديدة من أرباب الصليبية بأيدي عملاء لها وتخریب من الضائعين والتخبطين في قلق روجي بالغ الشوة ، ولأن القيم ذاتها ، أصبحت معرضة للمتظاهرين فوق الأرصفة ، ممن يسوقهم الخداع ، وتضخم المعاناة إلى أبعد من صور التغلب عليها ، فلا بد أن تحدث البراكين من داخل النفس ، ويحترق العقل وتتضخم العواطف .

وهناك عوامل أخرى غير مباشرة .. تنميتها الصهيونية والشبوعية والاستعمار وتجار السلاح ، للقضاء على يقين الإنسان واستقراره المؤقت ، فشوهت الكثير من القيم ، واعتدت على الفلسفات وعلى الرؤية الصحيحة .. لأن الإنسان يسقط في ممارسة الاحتياجات اليومية والمصلحية !



ويتساءل المؤلف : كم عدد الكتب الجديدة التي تصدر كل شهر من داخل الدول العربية التي كانت مصدر إشعاع فكري ، وملتقى مدارس أدبية حديثة ، ومنابر للرأي والإبداع ومنتجاً لحرية الرأي .. الإجابة هي : «إن العدد في الليمون» وأصبحت الكتب والمواهب يخضعان للنظام السياسي الذي أحال الأديب والمفكر في تلك الدول إلى عجيبة من صلصال يشكلها حسب أيديولوجيته ، أو على الأقل حسب أهوائه !! فكيف يمكن البحث عن قضية

وبين الشعراء العرب ، وقال : «شدتني إلى أشعارهم ما وجدته من قرابة روحية وشبه في المحتوى» .

ويعد هذه السياحة النقدية للأدباء العالميين الذين نالوا شهرة غير منكورة يصل بنا الأستاذ عبد الله عبد الرحمن جفري إلى موقف يريد أن يجدد نفسه بعد أن استعرض الآخرين متذوقاً وناقداً في البحث عن قضيتهم .

فيقول : «أبحث عن قضية تستقطب أوجاع ، وأوهام ، وانخزال وتعثّر إنسان هذا العصر ، أبحث .. لمن يدل هذا الإنسان المطحون بين رحى الحروب الصغيرة ، والاعتداءات التعسفية ، والمذ التبعي ، هذا الذي يركز على سطحية المجتمع العربي ، ويعمل هداماً في أعماق نفسية الإنسان ، وفي جذور التراث واللغة !

إنه هذا المد الخطير .. الذي يستخدم الانبهار اللفظي ويتسلل عبر تسليكات عاطفية .. تسد إلى ضمير الإنسان وإيمانه وملامح انتائه ! ما هي القضية بالنسبة للإنسان العربي والمسلم ، وبالنسبة للإنسان الحضاري الذي تكثفت الصراعات في داخله ، وبالنسبة للموجه بالكتابة وبالرأي ؟

هل القضية هي الأرض ؟

هل القضية .. هي العقيدة والزيف الفكري ؟

هل القضية .. هي الضعف من داخل الإنسان ؟

هل القضية .. هي التفكك والمحاور السياسية ؟

هل القضية .. هي طعن المبادئ والفضائح الأخلاقية واضطراب الضمائر ؟

إن الأرض تُنتهك وتُسلب ، ولأن الإنسان يتعذب في سجون ومطاردات الاستعماريين والغزاة ، ولأن العقيدة تواجه جولة

درويش الذي يعتبر ضمن جيل قوي وصامد من شعراء الأرض المحتلة ، والذي يشعر قارئه بلمسات الحزن العميق من خلال صرخات القيد ، وتنهيدات عشقه لأرضه ، ونداءاته إلى حبيته المجهولة ، المعذبة !

« لأجل ضفة أمشي

فلتحزن على قدمي من الأشواك

إن خطاي مثل الشمس

لا تقوى بدون دمي !

تعالوا يارفاق القيد والأحزان

كي نمشي ..

لأجل ضفة نمشي .. فلن نقهر

ولن نخسر

سوى النعش !!

ثم قوله :

— « لو أتي

أفارق شوك مسالكنا الصاعدة

لقلت : ادفنوني حالا ..

أنا توأم القمة الماردة !! »

ومن محمود درويش إلى الشاعر العربي

العراقي — بلند الحيدري — الذي يقول عنه

الأستاذ جفري : « إن في شعر بلند الحيدري

مرارة داكنة ، والتجارب العديدة التي عبرت

به .. صاغت منه صانع كلمة ، وفنان ألم ،

وشاعراً لم تستنفده تجاربه ، ومعاناته ،

ومعاشته ، وإنما كل ذلك جعل منه الشاعر

« الذي تحمل به بغداد » .

يقول بلند الحيدري :

— « أريد أن أغور في شوارع مزدحمة ..

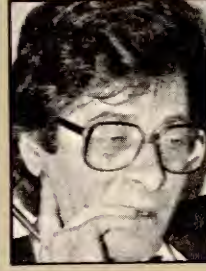
حكاية أو غنوة أو ملحمة ..

أريد أن أسأل من يلم : عن أحلامه ..

أريد أن أسأل من يأم : عن آلامه

أريد أن أوقف دنيا مظلمة .

أهتز مصباحاً هنا .. هناك



★ بلند حيدري ★

★ محمود درويش ★

ملء نوره مني ..

تنير ربوة ، ومنحني .. !

ومن بلند الحيدري إلى الأدبية العربية

السورية « كوليت سهيل خوري » وروايتها

« كيان » التي تعد تصويراً دقيقاً لواقع العالم

العربي ، حيث كتبت فيها قومها .. قضيتهم ،

آلامهم ، انفعالهم المخنوق بذهورهم !

وإذا كانت كوليت قد أصرت على أن تكون

قصتها « أسطورة » فإن الأستاذ جفري يرفض

ذلك ، ويقول : « إننا كمتمين إلى هذا المحيط

الإنساني ، نرفض أن تكون هذه الرواية

أسطورة ، لأننا نسعى ما أمكن إلى تقليص

معايينا ، وتذويب أخطائنا ، واستشراف آفاق

تنتعش بها أمانينا كأمة لها تاريخ مضيء

بلا شك ، وكأمة أحلى ما فينا هي أمانينا ،

وطموحنا ! لتتخلص من كبوة أئمة !! » .

ومن الأدبية السورية كوليت سهيل خوري

يبحر الأستاذ جفري في أشعار نزار قباني التي

تتموج بالحب حيث يقول عنه : « هو ذلك

المنشد الذي ارتفع مواله في غربة العصر ،

وتغريب الإنسان ، فكأنه يبحث عن الحب ،

ولكن الحب لا يضيع منا ، وإن كان ضياعنا هو

بجئاً عن الحب ! » .

وقد قسم المؤلف تجربة نزار قباني الشعرية

إلى ثلاث مراحل : الأولى : دخوله بالشعر إلى

مخدع نوم الأنثى أو مخدع الحب ! والثانية :

دخوله بالشعر إلى مخدع السياسة العربية ،

والثالثة : دخوله بالشعر إلى مخدع الخوف

العربي .

ومن نزار قباني إلى الشاعر أدونيس

الذي أفرط في استخدام الأسطورة والرمز ، هذا

الرمز الذي تبلور في ذات « أدونيس » فأصبح

لغة تخاطب يرتقي بها الشاعر ، ويقفد من الرمز

جوانبه اللينة لينحت شكلاً حلم به وفتنة ،

وصاغت معطياته كل اندعاشات الذهن وتأمل

الروح ، إن أدونيس يغتسل في نهر الكلام ليموت

كل يوم .. يموت لحظة ، يطعم الجوع المستعر

فيه ! ولكنه في كل ذلك كان أيضاً يطعن اللغة

العربية ، كثرات ، وكقيمة من أجل الابتكار

الأبكم !! ومع هذا فإنه يقدم واقع ، واقع

الإنسان العربي اليوم في هذه الصورة :

« جاءني .. مددت له حبي

رغيفاً ، وورقاً ، وسريراً

وفتحت الأبواب للريح والشمس

وشاركته العشاء الأخير ! »

ومن أدونيس إلى الأديب العربي السعودي

أحمد السباعي وكتابه « أيامي » . يقول

المؤلف عن الأديب العربي السعودي أحمد

السباعي :

« من خلال مجموعاته القصصية وأدبه

علامة ، تكتشف أن أحمد السباعي هو مصدر

حريص ومبدع ، التقط عشرات « البوزات »

لفترة أصيلة من تاريخ مجتمعا ، وتكتشف أن

طريقة « أحمد السباعي » في الكتابة تتسم بصدق

النقل ، ورقة الملامح وهو « شعبي » استطاع أن

يجعل قارئه يرى ويلمس أبرز ما كان يعتمد

وتتصف به « جوانية » ابن البلد ، وأي خالة وأم

وفتاة في تلك الفترة .. واستطاع أن يصور

أحلامها ويفضحها ، وهي تلبس « المحرمة



ويبقى « أبواب للريح والشمس » ،
دعوة لفتح النوافذ والأبواب المغلقة في
أكثر من قطر عربي أمام غيره من
أقطار الوطن العربي ، وأمام آداب
وثقافات وفنون العالم ، حتى تصيح
حياتنا اليومية أقل قسوة مما هي عليه
الآن ، عندما تكون الآداب والفنون
أحد يتابع تقدمها .



★ أحمد السباعي ★

«كنت إنساناً أتوق إلى تفسير حيرتي ، وإلى
التقاط عشقي من سامي ، وتحليص حبي من
المي ، وإنقاذ ألمي من التنازلات التي فرضها
منطق التعايش ، والرضوخ لضرورة لا نعرفها ،
ولا نفهمها ، ونحني لها الهامة امتثالاً ، لأنها
وليدة زمن «اللا شيء» وليد الـ «كل شيء»
عادي» . . . وقد كشفت هذه الكلمات -

ويورد الأستاذ جفري رأياً قاله ذات مرة
الشاعر الرقيق الأمير عبد الله الفيصل حينما
سأله عن الشعر في بلادنا (السعودية) ،
فجواب قائلًا :





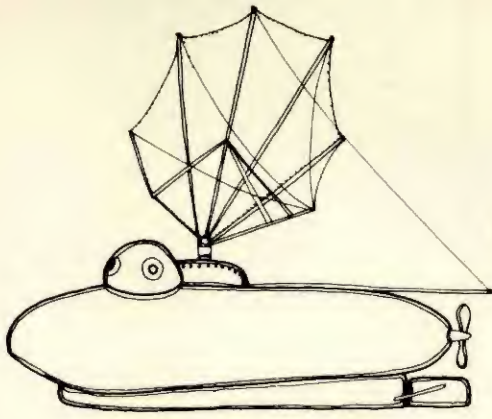
المواقف

بقلم: محمد فكري أنور

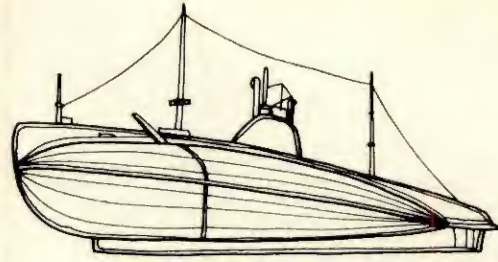
★ أميرال دونستز:
آخر طراز من
القنصات عابرة
المحيطات ★



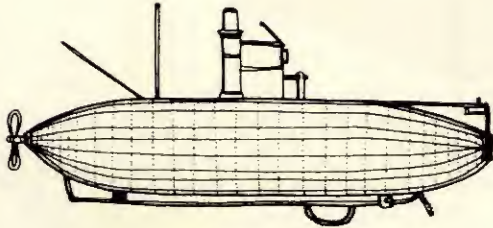
صنع الإنسان السفينة .. ركب النهر والبحر .. عبر المحيط .. مد بصره إلى الأفق البعيد .. عند نقطة اللانهاية يبدو الماء والسماء وكأنهما يلتقيان . ارتد منه البصر .. تطلع إلى أعلى ، إلى الفضاء وتساءل : أليكون الفضاء - بعد الماء - ساحة الإبداع والابتكار الجديد ؟ الركب - بعد الماء - الفضاء ؟ فتش في ذاكرته العلمية .. حك رأسه باحثاً عن أفكار الطاقة الحركية ، والسرعة ، ومقاومة الجاذبية الأرضية ، والدفع الذاتي ، و .. و .. إلى آخر ما يتطلبه ركوب الفضاء من علوم وأفكار وإمكانات ، فوجد أن الحصيصة المتاحة غير كافية للنهوض بمتطلبات الابتكار في هذا المجال . ثم هبط بنظره إلى الماء ، ونفذ بخياله إلى الأعماق متسائلاً : أليكون لي أن أخترق الماء ، إلى الأعماق ، غانصاً في مركبة ؟



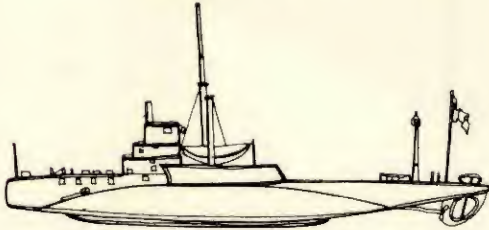
★ ثوتيلوس : بناها روبرت
فلنسون في عام ١٨٠١ م ،
كانت مزودة بشراع إضافي
للإبحار فوق سطح الماء ★



★ بي - أ : صممها جيه هولاند - أبو
الغواصة الحديثة - بناها عام ١٩٠٧ م ،
وزنها ١٤٧ طناً وسرعتها ٨,٥ عقد ★



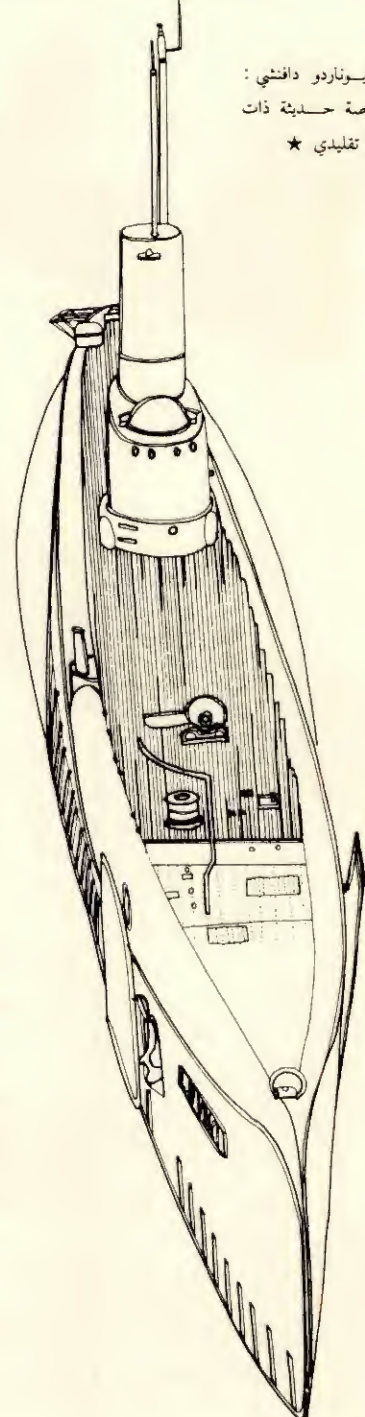
★ أرجونوت : غواصة أميركية طراز
عام ١٨٩٨ م ، كانت مزودة بمحركات
تسير بها على قاع المحيط ★



★ دلفينو : أول غواصة
إيطالية بمحرك «فيات»
طراز عام ١٩٠٣ م ★

ومرة أخرى تفحص زاده العلمي .. أعاد ترتيب أفكاره عن
الغوص ، وكثافة المعادن ، وتفرغ الماء في الماء ، وضغط الماء ، والطفو ،
و .. و .. إلخ ، فاكتشف أن احتياجاته للغوص تحت سطح الماء هي
أقل كلفة وجهداً من احتياجاته للانطلاق في الفضاء الفسيح ، فكانت
محاولاته لصنع مركبة الغوص : الغواصة .

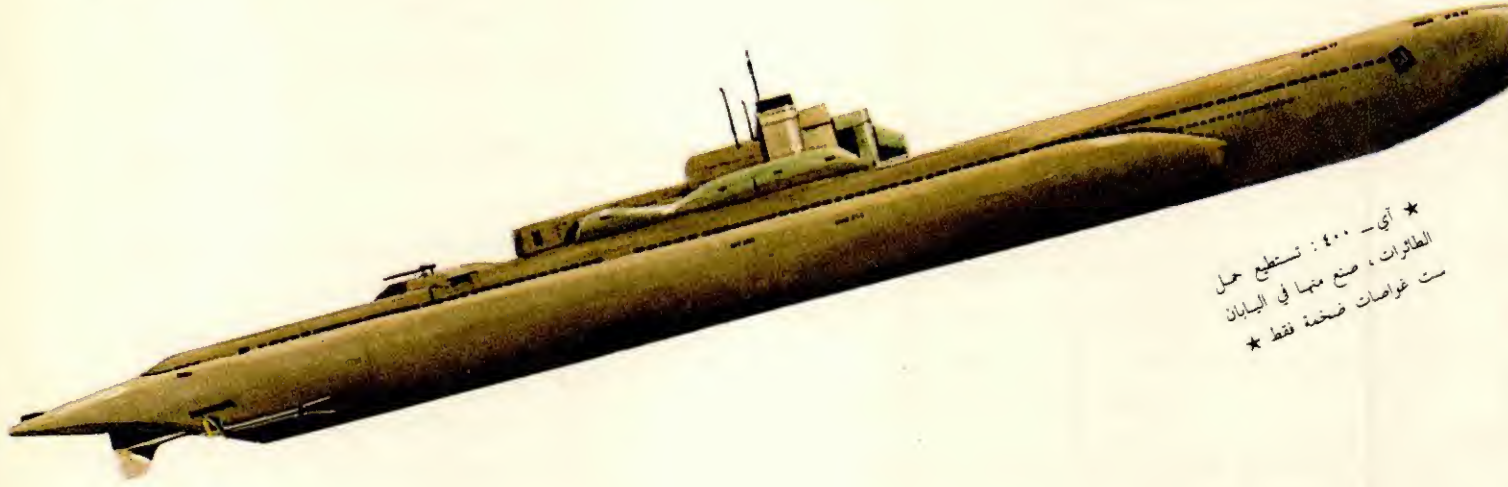
في الإغريق القديمة اكتشف «أرسيميدس» قوانين الأجسام الطافية ،
أو قوانين الطفو . وهي ذات القوانين التي استوعبها الإنسان من قبل أن
يشرع في بناء مركبة الغوص .. أي الغواصة . ذلك أنه لكي يغوص
جسم ما في الماء ، فلا بد أن يكون وزن هذا الجسم أكثر ثقلًا
من وزن الماء الذي يطرده من الإناء كلما غاص في الماء .
وأيضاً ، لكي يطفو هذا الجسم من أعماق الماء إلى سطحه ،
فلا بد أن يصبح وزنه أخف من وزن الماء الذي يحل محله
طوال حركته من العمق إلى السطح .



★ ليوناردو دافنشي :
غواصة حديثة ذات
عرك تقليدي ★



★ ك- د- ٧ : صنعت عام
١٩٣٧م ، تستطيع البقاء تحت
سطح الماء لمدة ٧٥ يوماً ★



★ آي- ٤٠٠ : تستطيع حمل
الطائرات ، صنع منها في اليابان
ست غواصات ضخمة فقط ★

الفواصة .. وكيف تعمل

الفواصة .. ماهي ؟

تعتمد فكرة تشغيل الفواصة - بالتطبيق لقوانين السطو عند أرشميدس - على مبدأ بسيط للغاية .

ذلك أنها تتكون من جسمين ، أو هيكلين ، أحدهما في داخل الآخر . وفي الفراغ الموجود بين هذين الجسمين يوجد عدد من الخزانات . إذا ملئت هذه الخزانات بالماء ، فإن الفواصة تنفذ إلى أعماق البحار أو المحيطات . على أن سرعة الغوص ، ومدى العمق الذي تبلغه الفواصة ، يعتمدان على كمية المياه التي تمتلئ بها خزانات مابين الهيكلين ، وهو أمر يمكن التحكم فيه بسهولة .

أما عندما يتم تفريغ تلك الخزانات من الماء وتعود إلى سابق امتلائها بالهواء ، فإن الفواصة ترتفع إلى سطح الماء من جديد ، ومن ثم تكون حركتها عليه كحركة سفينة عادية تمخر عباب البحر ، أو تنهادي على موجه الساكن الوديع . وبالطبع يجري تفريغ الخزانات من الماء بواسطة

ررد بكاموس أو كسفورد المصور أن « الفواصة هي المركبة الحربية غالباً - التي تستطيع الغوص والإبحار تحت سطح الماء ، والتي تستخدم في نقل وإطلاق قذائف الطوربيد والصواريخ وغيرها . والفواصات تختلف من حيث الحجم الذي يترتب عليه اختلاف الاستعمال . فالغواصات التي يبلغ وزنها عدة آلاف من الأطنان ، يمكن استخدامها كسفن حربية ، وذلك بقدرتها على السفر - على أعماق وإلى مسافات بعيدة - تحت سطح الماء .. الأمر الذي يترتب عليه صعوبة اكتشاف العدو لها .

والغواصة تبنى على هيئة الأسطوانة ، أو « السيجار » ، ويعلوها - من المنتصف تقريباً - « برج المراقبة » الذي يضم « الجسر » ، وهو ذلك الجزء العلوي من الفواصة الذي يستخدم ويظهر عند إبحار الفواصة فوق سطح الماء . أيضاً يضم « الجسر » القمرة التي يتواجد بها طاقم الفواصة .

الهواء المضغوط الذي تعتبر هذه الوظيفة من مهامه الأولى .

الجدير بالذكر أن خزانات مياه الشرب ، والوقود ، والزيت ، توجد فيما بين الهيكلين هي الأخرى ، ولكنها تكون منفصلة عن خزانات المياه التي تستخدم في غوص الغواصة .

ولقد كان الهيكل الداخلي للغواصة ينقسم - فيما مضى - إلى عدد من المساحات التي يخصص جزؤها الأول لسكنى طاقم الغواصة ، والثاني - كما سبقت الإشارة - لخزانات المياه والوقود والزيت ، والثالث تشغله تلك الخزانات التي تحدد وظيفتها في الحفاظ على التوازن الأفقي للغواصة ، وذلك بمساعدة الزعانف والدفات الرأسية والأفقية المثبتة على طرفي الغواصة .

وأما بالنسبة لعملية التهوية داخل الغواصة - واللازمة لتنفس طاقم الغواصة - فإن عدداً من السلندرات يقوم بتحريك جزء من الهواء المضغوط - الذي تمتلئ به بعض الخزانات ويستخدم في طرد مياه الغوص إلى خارج الغواصة - في أنابيب تغطي الفراغات التي يحتمل أن يتحرك بها أو يتواجد أفراد الطاقم .

هذا ، والغواصة التقليدية تستخدم - في تسييرها - نوعين من المحركات :

● أولهما - محرك الديزل : وتستخدمه الغواصة في سيرها فوق سطح الماء ، وهذا النوع من المحركات يحتاج في تشغيله إلى الهواء .
● وثانيهما - المحرك الكهربائي : ويعمل بالبطاريات ، ومن ثم لا يحتاج تشغيله إلى الهواء . بيد أن هذا النوع من المحركات - الذي تستخدمه الغواصة طوال وجودها وتحركها تحت سطح الماء - يستهلك البطاريات بسرعة ، ومن ثم تصبح الغواصة في احتياج دائم لتجديد الشحنات في بطارياتها . وهي عملية لا يمكن إنجازها إلا إذا طفت

الغواصة فوق سطح الماء ، وذلك لأن المولد الكهربائي الذي يقوم بها يعمل بالديزل ، ومن ثم يحتاج هو الآخر إلى توفر الهواء .
وحيث إن هذه العملية تستغرق فترة طويلة من الوقت ، فلإن الغواصة تكون - خلالها - في أفضل أوضاع تعرضها للهجوم السهل من قبل الأعداء .. وتلك سلبية كبرى تحسب على الغواصات التي تستخدم هذا النوع من المحركات .

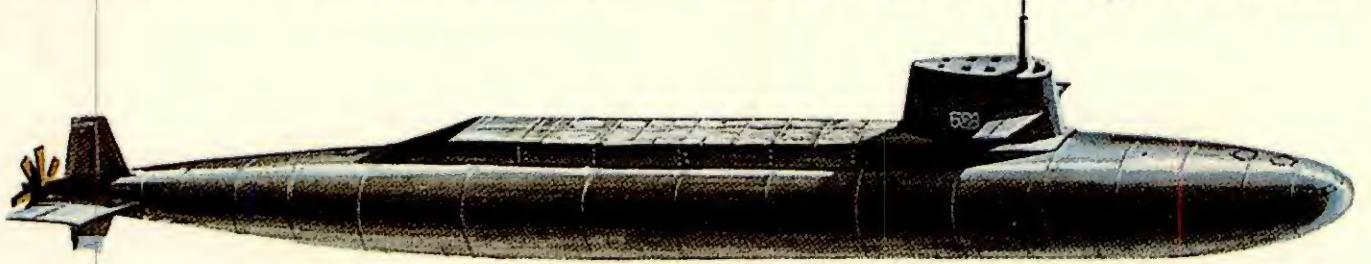
الغواصة في سطور

●● أول غواصة فعلية - حسب بعض المراجع - هي التي صنعها الهولندي «كورنيليس فان دريبيل» في عشرينات القرن السابع عشر الميلادي .

●● ظهرت - في عام ١٧٢٧م - طريقة جيدة للغوص إلى أعماق الماء والعودة إلى سطحه مرة أخرى ، وذلك بربط عدد من الأكياس المصنوعة من جلد الماعز إلى جانبي السفينة . فإذا ماسح لتلك الأكياس بالامتلاء بالماء فإن السفينة تغوص إلى الأعماق . وإذا ما أريد العودة بالسفينة إلى سطح الماء يُطرد الماء من تلك الأكياس بواسطة قضيب حلزوني .

●● أول غواصة - حسب ما تقول به موسوعة نيو كاستون - هي التي بناها الأميركي «ديفيد بشنيل» . وقد استعملت - عام ١٧٧٦م - في الهجوم على بارجة بريطانية كانت ترسو على رصيف ميناء نيويورك ، لكن الهجوم لم يحقق أهدافه .

●● توافق «موسوعة بيرتلز الموجزة في العلوم» على قول «موسوعة كاستون» ، وتضيف بأن أول استخدام للغواصة كان في الثورة



▲ ★ جورج واشنطن : غواصة أميركية
طراز عام ١٩٥٩م ، مزودة بصواريخ
مداهها ١٥٠٠ ميل ★

▼ ★ ترابتون : أكبر غواصة نووية
أميركية .. مزودة برادار ومعدات بعيدة
المدى ، تكلف بنائها ١٠٩ ملايين
دولار ★



الأميركية (من ١٧٧٥ إلى ١٧٨٣م)، وبأنها ظهرت - فيما بعد - في الحرب الأهلية الأمريكية (من ١٨٦١ إلى ١٨٦٥م).

● أنتج الأمريكي «روبرت فلتون» - في عام ١٧٩٧م - غواصة ، وقدمها إلى نابليون بونابرت لكي تشتريها منه فرنسا . وبعد تجربتها في مياه نهر السين ، رفض الفرنسيون شراءها ، فاتجه بها «فلتون» إلى بريطانيا محاولاً بيعها هناك ، لكنه أخفق أيضاً .

● شهد القرن التاسع عشر الميلادي - على امتداده - محاولات فردية لإنتاج الغواصات في كل من فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية .. وكلها محاولات غير مرضية النتائج . وفي هذا يقول بعض المؤرخين إن السبب راجع إلى عدم اختراع السلاح الهجومي الذي تستطيع الغواصة استخدامه .

● مع بداية القرن العشرين الميلادي ظهرت غواصات مجهزة بالطوربيد ، وكانت الغواصة الواحدة تحمل من ٢ إلى ٤ طوربيدات . ولقد كان السبب في عدم زيادة الطوربيدات عن أربعة راجعاً إلى الكفاءة المحدودة للوحدات الكهربائية بتلك الغواصات .

● مع بداية القرن العشرين الميلادي أيضاً ظهر «الزيت الثقيل» الذي يستخدم في تشغيل محركات الديزل . وقد أدى هذا الاكتشاف إلى التخلص من واحدة من نقاط الضعف التي كانت الغواصات - في تلك الفترة - تعاني منها ، ألا وهي كثرة حدوث الانفجارات واندلاع الحريق في الغواصات .

● في عام ١٩٣٩م ، بلغ الحد الأقصى لفترة بقاء الغواصات الكبرى تحت سطح الماء ستاً وثلاثين ساعة .

● حدث - خلال الحرب العالمية الثانية - تطوران هامان ساعدا على زيادة طاقة الغطس عند الغواصة وهما :

١ - انبوية التنفس طراز «شنوركيل» : وهي التي ساعدت على شحن بطاريات محركات الغواصة ، دون الحاجة لرسوها لفترة طويلة فوق سطح الماء لشحن بطارياتها .

٢ - محرك بروكسيد الهيدروجين : الذي استطاع - برغم كونه توريين الاحتراق الداخلي الهام - أن يستخدم الأوكسجين ، وأن يوفره في الهواء الداخلي للغواصة . ولقد كان أول ظهور لهذين الاكتشافين في الغواصة البريطانية «إكسبلورر» في عام ١٩٥٦م .

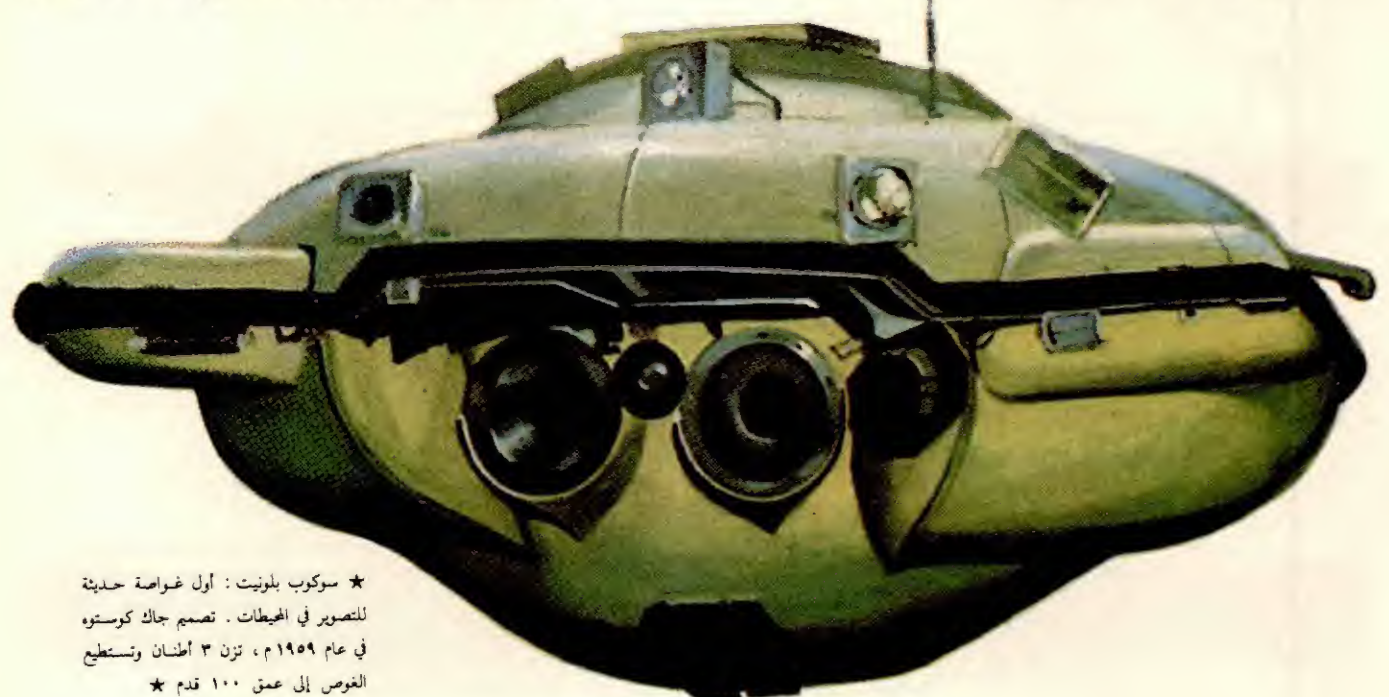
● تعتبر الحريين العالميتين : الأولى والثانية ، بمثابة الفرصة التي أثبتت فيها الغواصة صلاحيتها لتجاوز وضعها كمجرد سفينة تستطيع الغوص تحت سطح الماء . تحقق هذا من خلال جوانب التطوير المتعددة التي أدخلت عليها ، والتي ضمنت لها - في النهاية - القدرة على الغوص تحت سطح الماء لمدة أسابيع أو شهوراً عديدة . إن هذا الإنجاز يعني تمتع الغواصة بالقدرات التالية :

أ - استخراج الأكسجين النقي ، اللازم لتنفس طاقم الغواصة ، من ماء البحر .

ب - تزويد الغواصة بالماء الصالح للشرب عن طريق قدرتها على تحلية ماء البحر .

ج - التخلص من الغازات الضارة والمتخلفة عن عمليات الاحتراق والتنفس التي تم داخل الغواصة .

● «البريسكوب» : هو الجهاز الذي يستطيع به طاقم الغواصة رؤية الأهداف الساكنة أو المتحركة فوق سطح الماء ، أو على سطح الأرض ، وذلك عندما تكون الغواصة تحت سطح الماء . والبريسكوب



★ سوكوب بلونيت : أول غواصة حديثة للتصوير في المحيطات . تصمم جاك كوستو في عام ١٩٥٩م ، وزن ٣ أطنان وتستطيع الغوص إلى عمق ١٠٠ قدم ★

عبارة عن أنبوب تليسكوبي تعتمد الرؤية بواسطته على انعكاس الضوء فوق عدد من المنشورات الزجاجية ، بالإضافة إلى عدم نفاذ الماء منه .

●● في عام ١٩٥٥م ، أنتجت الولايات المتحدة الأميركية الغواصة «توتيلوس» لتكون أول غواصة تعمل بالطاقة الذرية .

●● في مايو (أيار) عام ١٩٦٠م ، أنتجت الولايات المتحدة الأميركية الغواصة الذرية «تريتون» .

●● تستطيع الغواصات الذرية - في الوقت الراهن - أن تحمل صواريخ بعيدة المدى ، وأن تصيب بها أهدافاً على سطح الأرض أو فوق سطح الماء أثناء اختبائها على عمق كبير تحت سطح الماء .

الغواصة والبحر والعلم

يتضح لنا ، مما سبق ، أن الغواصة هي سفينة حرب بالدرجة الأولى . بيد أن البحوث والنظريات الجديدة - في مجالات علوم البحار واستخدام الطاقة النووية في الأغراض السلمية - تؤكد انفتاح أبواب جديدة ومجالات استخدام مرتقبة للغواصة في علوم البحار في المستقبل القريب .

إن بحوث وتكنولوجيا الفضاء قد وثبتت خطوات جسورة على طريق التقدم . . خطوات نقلت يوم وقوف الإنسان على أرض القمر من كونه مجرد ساحة لتأملات الشعراء وشطحات أدباء الخيال العلمي إلى حيث أصبح مساحة محددة المعالم لواقع ملموس رآه العالم كله حقيقة مادية واضحة أمام ناظريه . وإذا كان الإنسان قد رأى هذه الحقيقة رأي العين ، فإن هذا الإنسان ذاته - الطموح دائماً ، الباحث عن الجديد أبداً - راح يهبط بعينيهِ إلى سطح الماء . . بل وإلى أبعد مما تستطيع الغواصات النووية أن تبلغه من أعماق المحيط . أجل ، هو أرض المحيط ،

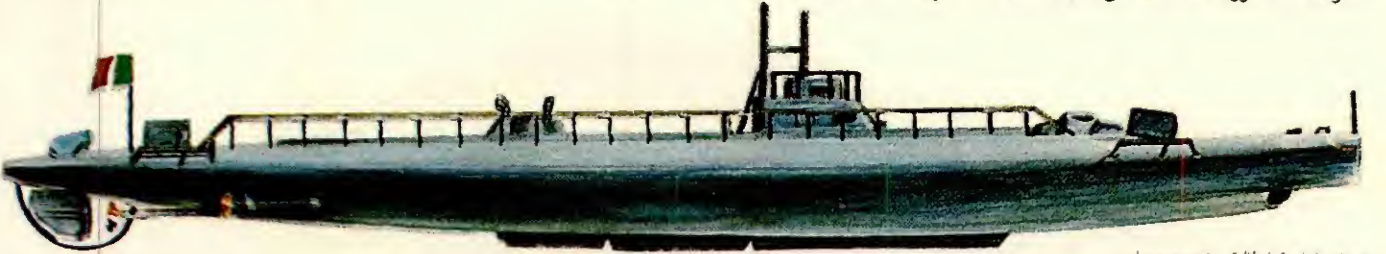
وقاع البحر ، الموطنُ التالي لقدم الإنسان من بعد تحليقه في الفضاء ووقوفه على سطح الأرض .

ذلك أن علماء البيئة والغذاء والسكان ، كلٌ في تخصصه ، يصرون على القول بأن الثروات وإمكانات الحياة المستقبلية كامنة كلها في أعماق البحار . . الأمر الذي يجعل الغواصة هي المرشح الوحيد - تقريباً - للنهوض بالجزء الأكبر من أعباء وتجارب وإنجازات ومشروعات علوم أعماق البحار خلال السنوات القليلة القادمة .

الغواصة .. أو الحرب

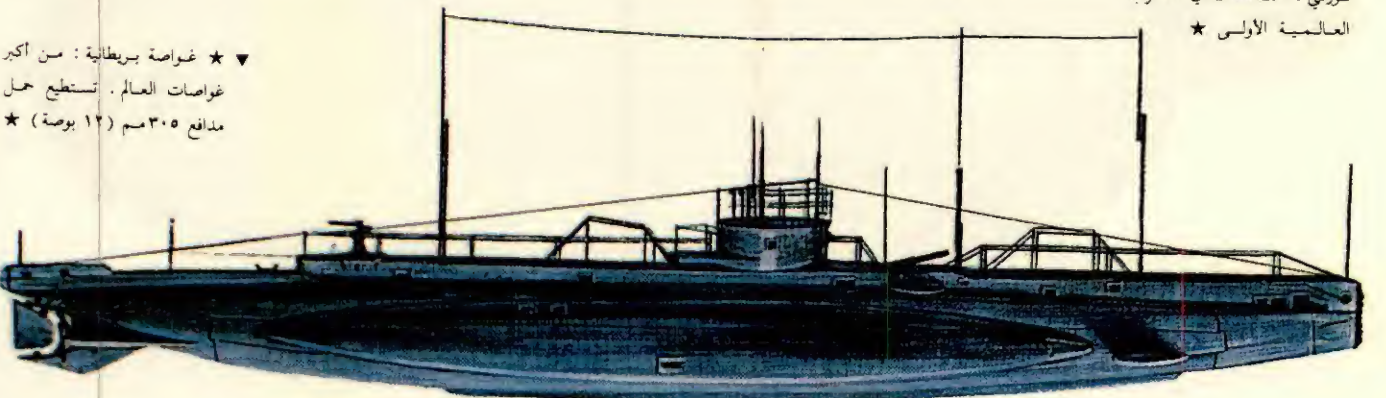
لا تزال الغواصة هي السفينة الحربية الغائصة تحت سطح الماء . . الخطر المترص في أعماق البحر ، الذي يصلي الأهداف البحرية والبرية والجوية بلهيب نيرانه ، فيقلب السطح الساكن لماء البحر أو المحيط بركناً مائياً رهيباً ، لا يكاد الإنسان يفيق من هول مفاجئته حتى تكون قذائف البحر / أرض ، أو البحر / بحر ، أو البحر / جو ، قد شقت صفحة الماء وأهالت ميني بالساحل ، أو أغرقت سفينة حربية ، أو أسقطت طائرة .

وهكذا ، استطاعت الغواصة - بعد أقل من نصف قرن من تأكيد قدرتها على الغوص والقتال - أن تحتل مكانها بين قطع سلاح البحرية في القوات المسلحة بكافة دول الأرض . . سلاحاً يتمتع بقدر متميز من القدرة على إثارة الذعر وإلحاق الضرر بالخصم وإخلال الميزان التقليدي للقوى في المعارك الحربية . فإذا كانت الطائرة والصاروخ الموجه ينقضان على الأهداف من الجو ، فها هي الغواصة ترسل قذائفها من تحت سطح الماء ، فيصبح العالم وكأنه فريسة وقعت بين ذراعي مقص الدمار الرهيب هذان .



▲ ★ غواصة إيطالية : تصميم سيزار لورنتي . استخدمت في الحرب العالمية الأولى ★

▼ ★ غواصة بريطانية : من أكبر غواصات العالم . تستطيع حمل مدافع ٣٠٥ سم (١٢ بوصة) ★



في الحرب العالمية الأولى

مسلسل	اسم السفينة	جنسيتها	تاريخ غرقها
١	موديه	تركية	١٣/١٢/١٩١٤ م
٢	فوميدابل	بريطانية	١/١/١٩١٥ م
٣	ماجستك	بريطانية	٢٧/٤/١٩١٥ م
٤	تريومف	بريطانية	٢٥/٥/١٩١٥ م
٥	جيريدن بارباروسا	تركية	٨/٨/١٩١٥ م
٦	سوفرين	فرنسية	٢٥/١١/١٩١٦ م
٧	جيلواه	فرنسية	٢٧/١٢/١٩١٦ م
٨	كورمواليس	بريطانية	٩/١/١٩١٧ م

.. وفي الحرب العالمية الثانية

تمثلت التطويرات والتحسينات الجديدة ، التي أدخلت على صناعة الغواصة ، في أن أصبحت الغواصة سلاحاً معروفاً ويعتمد عليه - إلى حد كبير- في المعارك الحربية . وبالتالي ، تغيرت تكتيكات العمليات الحربية البحرية .

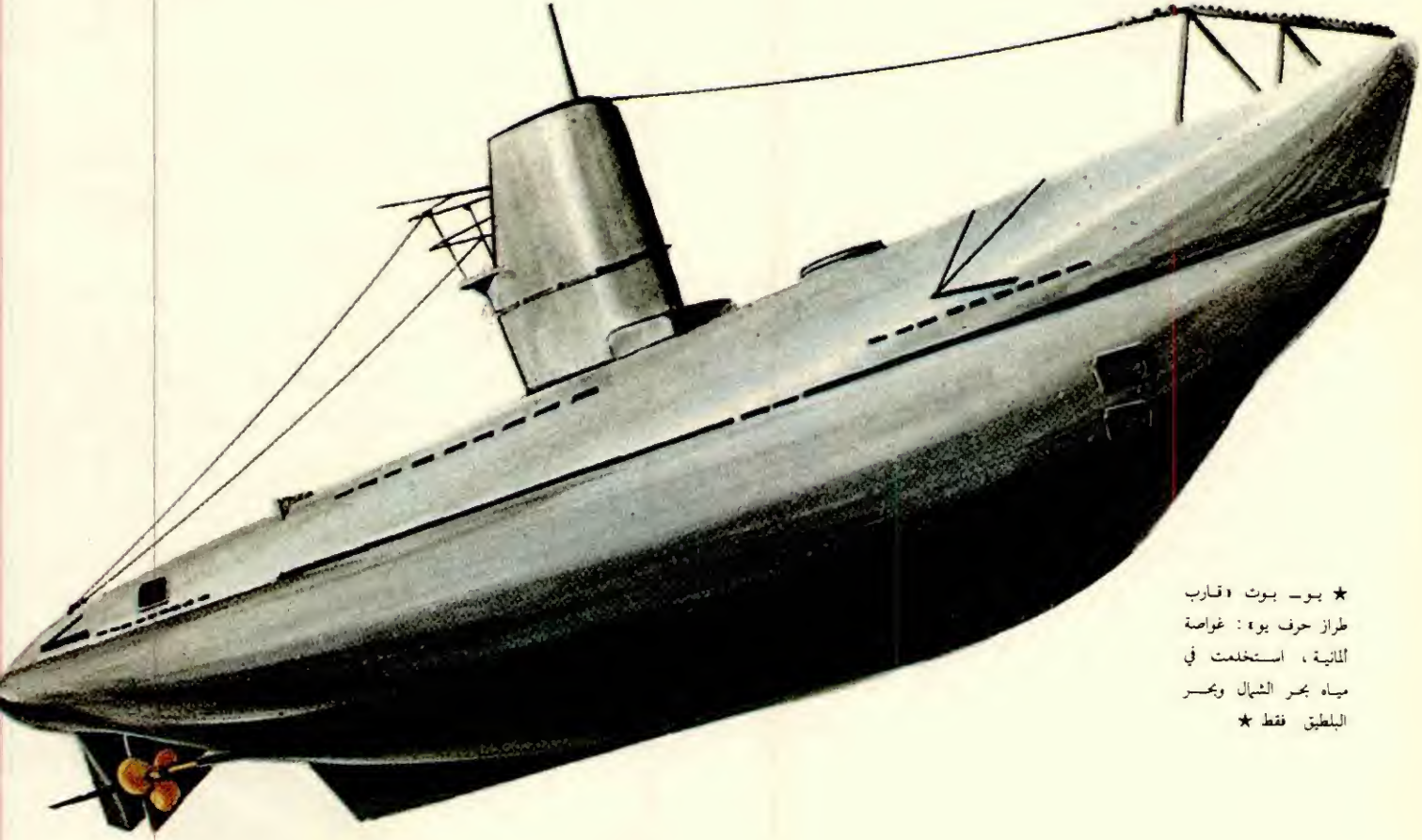
فقد أصبحت السفن الحربية تتحرك دائماً تحت حماية ستار من الطائرات المقاتلة ، لأنها - أي الطائرات - ستكون أسرع استجابة وتحركاً في مواجهة أي ظهور مفاجئ للغواصة سواء بجسمها أو بقذائفها .

ورد في كتاب « السفن الحربية في الحرب العالمية الأولى » لمؤلفه « أنطوني بريستون » كشف بعدد السفن الحربية التي شاركت في معارك تلك الحروب ، الذي يصل إلى حوالي ٣٧٤ سفينة حربية ، موزعة كالآتي :

● بريطانيا العظمى (٩٥) ● ألمانيا (٦٦) ● الولايات المتحدة الأمريكية (٥٨) ● اليابان (٣٨) ● فرنسا (٣٥) ● روسيا (٢٧) ● النمسا والمجر (٢٠) ● إيطاليا (١٨) ● تركيا (٥) ● اليونان (٧) ● البرازيل (٥) .

هذا ، والثابت أن نسبة كبيرة من هذه السفن الحربية قد استخدمت زوارق الطوربيد وقذائفه ، سواء منها ما كان انطلاقه من تحت سطح الماء أو من فوقه . لكننا نكاد لا نعثر على إشارة واضحة في الكتاب إلى استخدام الغواصة كسلاح حربي له فعاليته في معارك الحرب العالمية الأولى ، وإن كنا نصادف في الجدول التالي الذي يوضح أسماء وجنسيات السفن الحربية التي أغرقتها الغواصات في تلك الحرب والتي يمثل عددها نسبة ٢٥ ٪ من إجمالي السفن الغارقة في الحرب العالمية الأولى :





★ يو- بوت اقارب
طراز حرف يو: غواصة
ألمانية، استخدمت في
مياه بحر الشمال وبحر
البلطيق فقط ★

أغرقها الغواصات الأميركية في المحيط الهادي ٦٢٥ سفينة يابانية . وأدى ذلك إلى تطهير المحيط الهادي من السفن الحربية والتجارية التي تحمل العلم الياباني . كذلك أغرق الأميركيون - في نفس المحيط - ١٨٩ سفينة أخرى لقوات المحور . وفي المحيط الأطلنطي والبحر الأبيض المتوسط أغرقت الغواصات الألمانية (والإيطالية) ٢٨٢٨ سفينة تجارية و١٨٧ سفينة حربية وأزهقت أرواح حوالي ٤٠٠٠٠ نسمة ، من قوات الحلفاء . وتجدر الإشارة إلى أن الألمان كانوا قد بنوا حوالي ١١٥٨ سفينة حربية تحطم منها في تلك الحرب ٧٨٣ سفينة وقتل فيها ٣٢٠٠٠ شخص .

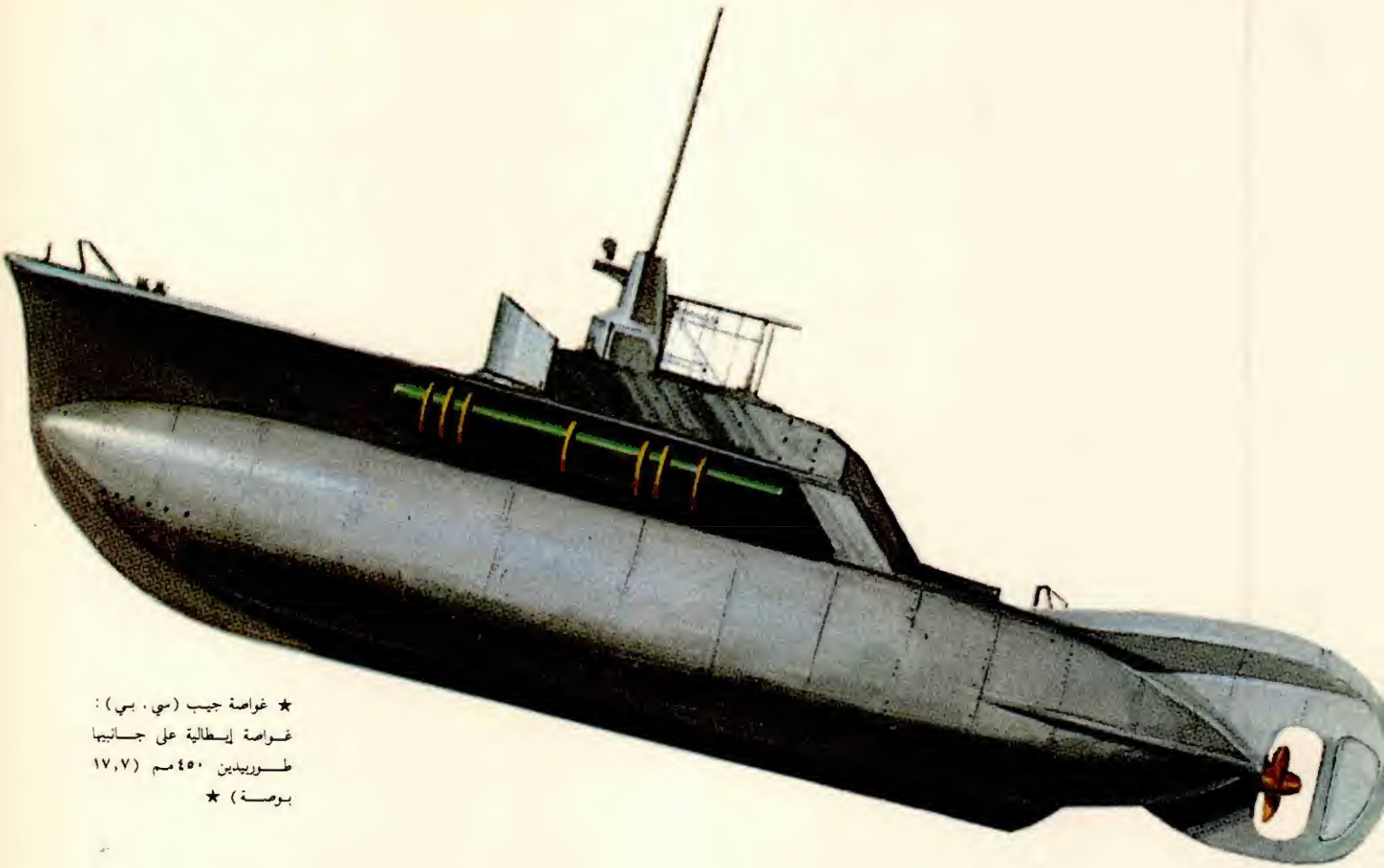
سلاح الغواصة : الطوربيد

الطوربيد عبارة عن صاروخ آلي التشغيل ، يتميز بالانطلاق وإصابة الهدف تحت سطح الماء ، مستخدماً في ذلك نظام التوجيه الذاتي لديه ، الذي يساعده على اكتشاف الهدف الموجه إليه . ويبلغ طول الطوربيد

أيضاً ظهرت القذائف والألغام البحرية التي تنطلق من السفن أو من الطائرات لكي تنفجر عند أعماق معينة تحت سطح الماء ، بالإضافة إلى التطويرات التي شملت أجهزة الرادار والتنصت . . الأمر الذي أدى إلى سهولة إمكان اكتشاف الغواصة حالة وجودها في عمق البحر ، وتحديد العمق الذي تتحرك فيه ، بل وموقعها بالضبط من الأعماق ، ومن ثم يسهل توجيه الضربات المؤثرة إليها .

وأما بالنسبة لحماية شواطئ الموانئ من تسلل الغواصات إلى مياهها ، فقد أمكن التوصل إلى إقامة شبكات من الصلب عند مداخل الموانئ ، وعلى أعماق كبيرة تحت سطح الماء ، مع تركيب أجهزة الإنذار والرادار عليها لكشف الغواصة المتسللة .

الجدير بالذكر أن كل هذه الاكتشافات والاحتياطات لم تؤد البتة إلى النيل من قيمة الغواصة باعتبارها سلاحاً بحرياً يتمتع بقدرة متميزة على إثارة الذعر وإلحاق الأضرار الجسيمة بمنشآت وآليات وأفراد العدو . هذا ، ومع اقتراب نهاية الحرب العالمية الثانية كان عدد السفن التي



★ غواصة جيب (سي. بي.) :
غواصة إيطالية على جانبها
طوريدين ٤٥٠ مم (١٧,٧)
بوصة) ★

الحديد، فبعثت إليه بلفيف من ضباطها لمعاينة الاختراع، ومن ثم وجهت إليه الدعوة لزيارة إنجلترا وبصحبته الطوريدين التي قام بإنتاجها، وذلك لبحث إدخال التحسينات اللازمة عليها فوافق بذلك. هذا، ومع بداية القرن العشرين أمكن إدخال تحسينات عديدة على صناعة الطوريدين، تمثلت في المدى والسرعة والطاقة التفجيرية... إلخ. الأمر الذي جعل من الطوريدين التسليح الأمثل للغواصة. جدير بالذكر أن التطوير والتجديد يلزمان صناعته حتى الآن.

المراجع

- 1 - Encyclopedia Britanica .
- 2 - The New Juniar World Encyclopedia .
- 3 - Purnell's Concise Encyclopedia of Science .
- 4 - The New Caxton Encyclopedia .
- 5 - How Things work (The Universal Encyclopedia of Mechanics) .

سبعة أمتار، وطول قطره ٥٣ سنتيمتراً، ووزنه حوالي ١ ١/٢ طن، وتشغل العبوة المتفجرة حوالي ١/٥ حجم الطوريدين فقط، وتوجد في مقدمته. ولقد اخترع الطوريدين - في الأصل - لإصابة الأهداف الطافية فوق سطح الماء، كالسفن التجارية والحربية. وفي السنوات الأخيرة، طرأت تطورات ملحوظة على صناعته تمثلت في إنتاج الطوريدين الموجه بالصواريخ الذي يستخدم لإصابة الغواصات، كما تستطيع السفن الحربية استخدامه هي الأخرى. وهذا الطوريدين يستطيع - فور إطلاقه - الخروج من الماء والوصول إلى مسافات بعيدة في الغلاف الجوي ثم العودة إلى الماء وإصابة الهدف على أعماق كبيرة تحت السطح.

وأول من صنع الطوريدين هو النمساوي «لوبيس». لكنه لم يحقق نجاحاً ملحوظاً. عندئذ حمل «لوبيس» تصميمات طوريده إلى «روبرت هوايتهد» الذي قام بتنفيذه حيث أصبح الطوريدين صالحاً للعمل ولكن في حدود ضيقة من حيث المدى والسرعة والطاقة التفجيرية. وفي عام ١٨٦٩ م، وصلت إلى أسماع البحرية البريطانية أنباء بمنتج «هوايتهد»

ذكريات صغيرة

شعر: إبراهيم عيسى

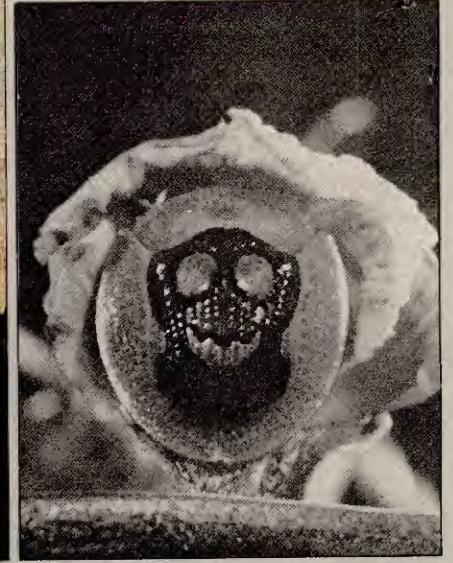
... وما زلتُ أذكر حين التقينا
ومالت علينا ظلالُ الغصونِ
ونُرسِل للماء سيقاننا
نداعبُ أمواجهُ العاثاتِ
فتحبو إلينا... وتحنو علينا
ونزحلُ فوق جَنَاح المُنَى
صغارَ نعيش بحلم الكبارِ
ونبني من الرمل بيتاً صغيراً
وئضغي الربابُ لأحلامنا
مُجَنِّحةً بعبير الشبابِ
وقلتُ: أحِبُّ الجمالَ الودودَ
فقلتُ: وعندي ينابيعه
وأملأ أملأ كأسَ الحياةِ
وأهتف: يا واختي زُمَليني
فَتَلْتَفُ في هالة من حياءِ
وكنا ابتسامةً بثغر الحياةِ

صغيرين في شاطئ الجدول
كأنني بَنَيْتُ بها منزلي
كطفلين في مَرَح سَلْسَلِ
ونضحك حُباً... ولم نخفلِ
وتهمس للشاطئ المُخَمَلِي
وذُكْرُكُ في الموج لم يرحلِ
وأهمس: يا حُلوتي أنتَ لي
وأقرأ في الرمل مستقبلي
وبعضتها غُصَّةً للخلي
ورُكْتُ كأنشودةً للبلبلِ
فإن قلتُ: هاتي، فلا تبخلي
فقلتُ: وفي شطبي مثلي
بكفُ المُشوق... فلا تَمْتَلِي
بدفءِ الهوى... زُملي زُملي
أراه على جفنها المُسْبَلِ
وكنا وكنا... ولم نسألِ

○ .. ○ .. ○

ودار الزمانُ وعُدْتُ وحيداً
أفتشُ عن لهفتي في الرمالِ
فلم ألقَ غيرَ ابتسامِ الدموعِ
فلا الرملُ يذكرُ خطوي عليه
إلى شاطئ الأملِ الأولِ
وفي الجدول الضاحكِ السلسلِ
ونؤخ الجفافِ على جدولي
ولا البيتُ باقي... ولا أنتَ لي





هذه القروء نائمة !!

هل تتدخ الحيوانات غيرها؟ يقول عالم الحياة (ويليام هاميلتون William Hamilton) إن الكثير من الحيوانات، بدءاً بالخنفساء البسيطة إلى معظم الرئيسيات الراقية، تستخدم المعلومات المضللة لتواجه سلوك غيرها من الحيوانات.

والخداع بشكل عام صورة سلبية موجودة في جميع المجتمعات الحيوانية والإنسانية، ولكن يفرق الإنسان عن الحيوان بأنه بإمكانه أن يخفي كذبه وخداعه ولو إلى حين، ويفضل كشف كذب وخداع الآخرين.

والقروء المسماة بالقروء البوم Owl Monkeys الصغيرة الأحجام، التي تعيش في جنوب أمريكا والتي تتميز بوجود علامات ذات لون أبيض حول عينيها، وجفون ذات لون معتم جداً تشابه لون بؤبؤ العين، هذه القروء تنام مفتوحة العينين، ولذلك تبدو عيونها أكبر وأوسع مما يمكن وهي نائمة، وهذه العيون الواسعة الكبيرة تعطي عنها وعن المخلوقات الأخرى، التي هي بحجم السنجاب، انطباعاً بأنها

أكبر حجماً من حقيقتها، وهذا يفيد في تخويف أعدائها. ويقول عالم الحياة (كيبيل ساندفيد) من معهد سميثونيان إن العيون هي أكثر شيء يوقع الرعب والفرع في نفوس الأعداء في عالم الحيوان، والاستراتيجيات الدفاعية للعديد من الحيوانات تكون يجعل العيون تبدو أكبر وأوسع مما هي عليه.

ونشاهد في (الصورة الصغيرة) نهاية مؤخرة الخنفساء السلحفية التي تظهرها لتبدو وكأنها وجه حيوان مخيف قد يرهب أعداءها.

والحيوانات قد يخفيها منظر العيون المرعبة، ولكن من الصعب جداً أن تخيف عيون الإنسان أحداً مهما كبرت وتوسعت، وكمثال، فإن تجار السجاد في تركيا يقولون إن صفقات مبيعاتهم التجارية من السجاد تزداد عندما يضعون على عيونهم نظارات سود. ويقول عالم الحياة الاجتماعية (روبرت تريفرس) إننا نحن البشر نخدع الآخرين ونخدع أنفسنا أيضاً، وهذا ما لا تفعله الحيوانات، وإنه ربما تطور خداعنا لأنفسنا ليخفي ردود فعلنا نحو أشياء لا نريدها أو لنخفي كذبنا!.

حيوان

Animal

السمة الشفافة .. كيف تستدل طريقها؟

أجرى العالمان (جاري روز Gary Rose) ، و (ولتر هيليجنبرج Walter Heiligenberg) من جامعة كاليفورنيا (أمريكا) - بمساعدة الكمبيوتر - دراسات وأبحاث جديدة على أسلوب حياة السمة

المُدية الشفافة التي نراها في الصورة بحجمها الطبيعي ، والتي تسمى علمياً بـ (Eigenmannia) ، وذلك لمعرفة كيف تستدل هذه السمة على طريقها في أماكن تواجدها في الأنهار والجداول المائية الأميركية الجنوبية .

وقد تبين للعالمان أن السمة ترسل نبضات كهربية ضعيفة Weak electric impulses بمعدل من (٢٥٠ - ٧٠٠) نبضة في الثانية ، وترتد هذه

النبضات بعد أن تصطدم بأي عائق أو جسم لتستقبلها خلايا متخصصة موجودة على طول جسم السمة ، ثم تنتقل الألياف من الألياف العصبية Nerve fibers المنتشرة داخل جسمها ارتداد النبضات الكهربية هذه إلى دماغها مباشرة ، وفي وقت واحد .

ويفسر الدماغ ارتداد النبضات الكهربية هذه إلى مدلولاتها ، ويعطي الأوامر إلى السمة لتحديد عن طريقها أو



(كاليفورنيا) بأن لدى (الطين العادي) قدرة أولية على تخزين ونقل الطاقة . ويعتبر

وقد اكتشف العلماء في مركز أبحاث (أميس) التابع لوكالة الفضاء الأميركية (ناسا) في

طاقة energy

اكتشاف هام .. الطين البدائي يخزن الطاقة

جزء من سحر الكائنات الحية يكن في قدرتها على تخزين الطاقة ، لاستعمالها في استخدامات تالية . فالنباتات الخضراء تخزن الطاقة التي تستمدتها من أشعة الشمس ، على شكل كربوهيدرات ، والنباتات والحيوانات تستخدم تلك الطاقة لتزود بها الخلايا الحية .

تقنية حيوية

Biotechnology

الأنترفيرون .. من دود الحرير

ماذا يجمع من صفات بين بكتيريا الـ (إشريشيا

كولي E. Coli) ، والخميرة Yeast ، ودود الحرير silk-worms ؟ .

الجواب ، إن الجميع يُستخدمون الآن كمضيفين hosts لإنتاج البروتينات النافعة لاصطناع الأدوية للإنسان ، وذلك من خلال التقنيات الوراثية

المساة بوصل الجينات - gene splicing .

ولكن بما أن البروتين الذي تنتجه بكتيريا الإشريشيا كولي يجب أن يكون نقياً جداً ، وهذا بالطبع يكلف الكثير ، إضافة إلى وجوب تنقيته من بعض السممة الجانبية المؤثرة .

اكتشافات علمية

اكتشافات علمية

اكتشافات علمية



تستمر في اتجاهها ، وذلك بحسب ما يعترضها من عوائق أو منافذ .

ويقول العالمان إن دماغ هذه السمكة يحدد لها موقع أي جسم أو عائق في الماء بسرعة أكبر مما تعمل بها

أدمغتنا البشرية التي تعين مكان الضجيج عادة ، بعد ارتداد الأمواج الصوتية لأذاننا . وبينما تلتقط أذاننا ترددات الأمواج الصوتية لحدود (١٥) جزء من مليون من الثانية ، تستطيع السمكة أن

تكشف عن النبضات الكهربائية لحدود (٤٠٠) جزء من مليون من الثانية ! . ويقول العالم (روز) إنه رغم بساطة تركيب هذه السمكة إلا أنها تمتلك نموذجاً عملياً متطوراً جداً ، وتسير في المياه وفق توجيه

تقنية عالية المستوى .. وإن لله (سبحانه وتعالى) في خلقه شؤون .

★ ★ ★

هذا أكبر برهان يدعم النظرية القائلة إن «الطين يلعب دوراً هاماً في نشأة الحياة على الأرض» ، وقد اكتشف فريق العلماء برئاسة عالمة الكيمياء (ليليا كوين) بأن الطين يخزن الطاقة من الإشعاع الشمسي الطبيعي الذي تقذف به الأرض على الدوام ، وأنه يطلقها كضوء فوق بنفسجي Ultraviolet عندما (يبتل) بالماء ، أو عندما يجف أو يتشقق ، أو عندما يُعالج ببعض المركبات العضوية .

وهذا الاكتشاف الجديد

يقدم دعماً جديداً لنظريات العالم (جراهام كيرنس - سميث) الباحث في جامعة غلاسكو (اسكتلندا) الذي قال من قبل إن الطين والجزيئات العضوية البدائية التي كانت توجد على الأرض عند نشأة الحياة كان يوجد بينها علاقة تكافلية تعايشية symbiotic ، وإن الطين ساعد بعض العضويات organics لتتجمع وتشكل ، وإن العضويات كانت تساعد على إضافة طبقات جديدة للطين . ويضيف العالم (سميث) إلى

ذلك قوله إن الجزيئات العضوية تعلمت وبراعة كيف (تتناسخ ذاتياً) وباستقلالية تامة ، وبدأت تشكل نفسها .. وكانت نتيجة ذلك الحياة التي نراها اليوم .

واكتشاف عالمة (كوين) قد دعم نظرية العالم (سميث) ، وذلك بعد أن حدّد مصدر الطاقة الذي استطاع المساعدة على اصطناع العضويات أثناء جفاف وبلل البركة البدائية التي كانت على الأرض ، (كما حدّد هذا الكشف (النقطة) التي يمكن

أن تكون الحياة قد بدأت منها) . ولكن .. إذا كان الطين (حياً) عند بداية الحياة ، فهل هو ما يزال (حياً) حتى اليوم ؟ ، تقول عالمة (كوين) إن هذا محتمل أيضاً .

ولكن إذا كان لكل طاقة حية ، فيجب أن يقود هذا إلى وجود ثابت واضح .. ونشاهد في الصورة الأرض البدائية .

★ ★ ★

الأنظار تتجه الآن إلى استخدام مضيف بعيد عن الأذهان تماماً ، فقد استطاع علماء التقنية الحيوية اليابانيون ، بعد تجارب كثيرة ، إثبات أن دود القز (الحريز) يمكن أن ينتج بروتين (الأنترفيرون) بكميات وافرة وجذابة اقتصادياً .



وبما أن الخميرة أيضاً مضيف خيارى بديل ، ولا تستطيع إنتاج البروتينات على الدوام ، فإن

لوحة وفنان

بشرية في أسفل العمل ، تجعل لهذا الفضاء الجبالي معنى خاصاً ينتمي بزخارفه وأقواسه إلى مناخ ثقافي شرقي عربي . فالضوء المنبعث من الأحمر قد يوحي أحياناً بالفرح ، وأحياناً أخرى بحس تراجيدي ، والدلالات التعبيرية للخطوط والمساحات اللونية حاضرة ولها وقعها الموسيقي الذي يلف العمل بجو

مع أشكال قوسية وتشكل مع خطوط رأسية وأخرى أفقية بناءً معيارياً خاصاً . فالتوازن بين كتلة الأحمر الطاغية والمركز الأزرق يوحي بفضاء جبالي خاص . ● وفي الرؤية الأخيرة يمكننا الوقوف عند أشكال

ضرورة التأمل الخالص للعمل الفني بذاته وليس ما يحيط به من قصة أو رواية . وهكذا يصبح العمل الفني مجد ذاته هو اللغة البصرية ، حيث يتم التواصل الحقيقي بين التجربة الفنية للفنان وعين المشاهد المتلقي لها .

● كما أن الدخول للعمل يقرنا شيئاً فشيئاً من عناصر زخرفية تتداخل

★ اللوحة : حلم شرقي ★

● أول ما يفاجئنا في هذا العمل هو اللون ، فالأحمر هو اللون المسيطر ، لذلك فإن الإحساس العام هو إحساس تجريدي بالمساحة ، لكن سرعان ما تبدأ العين بالتجول ، لتكتشف وتستوعب عناصر العمل . ● يلح الفنان على

١٩٨٢ م ، ومعرض في مركز الأمم المتحدة بمدينة فيينا بالقسم عام ١٩٨٢ م .

★ معرض في مدينة (روسس) بإسبانيا عام ١٩٨٤ م ، ومعرض في المركز الثقافي الإسباني بالجزائر عام ١٩٨٤ م ، ومعرض في صالة (غاليري كوندياك) بمدينة (بوردو) الفرنسية عام ١٩٨٠ م .



١٩٧٦ م ، وفي مدينة تيزي وزو عام ١٩٧٩ م .

★ معرض في صالة المركز الثقافي الفرنسي بالجزائر عام ١٩٨٠ م ، ومعرض في المركز الثقافي الجزائري بالجزائر عام

نقابة الفنون الجميلة بدمشق أعوام ١٩٧١ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ م .

★ معرض في صالة المركز الثقافي العربي بدمشق عام ١٩٧٥ م ، ومعرض في فندق (كارلتون) ببيروت عام ١٩٧٥ م ، وفي (غاليري كوتومبوران) ببيروت في نفس السنة .

★ معرض في صالة اتحاد الرسامين الجزائريين عام ١٩٧٦ م ، ومعرض في صالة (الموغار) بعاصمة الجزائر عام ١٩٧٨ م ، ومعرض في صالة المسرح الوطني بمدينة قسنطينة عام

★ الفنان : فؤاد أبوسعدة ★

● من مواليد عام ١٩٤٦ م ، في سورية ، وهو خريج كلية الفنون الجميلة بدمشق عام ١٩٧١ م . ● عضو نقابة الفنون الجميلة واتحاد الفنانين التشكيليين العرب .

● يعمل أستاذاً للفنون التشكيلية بالجزائر منذ عام ١٩٧٥ م .

● المعارض الشخصية :

★ معارض في صالة

● المعارض الجماعية :

★ معارض نقابة الفنون الجميلة بدمشق منذ عام ١٩٧٢ م ، ومعرض السنتين في بغداد عام



ينضوي على الكثير من
طموحات الفنان لاستلهام
التراث العربي الإسلامي
وللتقدم باللوح الفنية
خطوة باتجاه فن عربي
أصيل .

● أُنجزت هذه اللوحة
عام ١٩٨٤ م ، وعُرضت في
قاعة (عمد راسم)
بمعاصمة الجزائر ضمن نخبة
من أعمال الفنان التي
قدمت في معرض خاص به
عام ١٩٨٥ م .

١٩٧٢ م ، ومعرض قاعة
الأعمدة الأربعة بالجزائر
عام ١٩٧٦ م ، ومعرض
الفن السوري المتجول
بألمانيا الديمقراطية عام
١٩٧٩ م ، ومعرض ملتقى
سوق أهراس الدولي
للفنون التشكيلية بالجزائر
عام ١٩٨٣ م .

★ اقتنت أعماله وزارة
الثقافة السورية ، ونقابة
الفنانين التشكيليين
بدمشق ووزارة الثقافة
الجزائرية والمتحف الوطني
الجزائري . وتوجد أعماله
كمجموعات خاصة في
بلدان عربية وأوروبية
عديدة .

الاصقة



العدسات

إعداد: د. عبد الحكيم عامر سعد الدين

نصف السكان ، في كل بلد تقريباً يعانون من تشوهات بصرية ولكن ظهر من إحصاءات جرت في إنجلترا أن حوالي المليون فقط من سكانها يعتمدون على العدسات اللاصقة ، رغم حسنتها الجمّة ، وخاصة القضاء على ضرورة تغطية وجهك بالنظارات العادية . فلماذا ؟ إذا كنت تفكر في استخدام هذه العدسات فإليك هنا كل ماتحتاجه من معرفة عنها . من الاستشارة الطبية التمهيدية ، إلى اختيار نوع العدسات الذي يلائمك .

حفظها في محلول خاص عندما تكون خارج العين ، وذلك لإبقائها مشبعة بالماء . والعدسات الطرية - كما قلنا - أعلى من الصلبة وهي تريح أكثر عند بدء العمل بها . كما أن من الأفضل استخدامها إذا كان المعينون ممن يمارسون الألعاب الرياضية .

نوع جديد

وهناك عدسات تسمح بتسلل الأوكسجين وهي عدسات صلبة تصنع من المواد المختلفة التي تم تطويرها حديثاً ، وهي تسمح لكمية معينة من الأوكسجين بأن تصل إلى العين ، هذه العدسات هي في العادة رقيقة ومرنة ، كما أن استخدامها يوفر في المرحلة الابتدائية راحة تجاوز ما توفره العدسات الصلبة التقليدية (لأن القرنية المحرومة من الأوكسجين قد تعطي نظراً تغلفه الغشاوة) . ومن هذه العدسات ما خرج إلى الأسواق منذ سبع سنوات ، في حين أن العمل بأنصاف أخرى لم يبدأ إلا منذ سنتين فقط .

عدسات للاستعمال الطويل

إنها نوع خاص من العدسات اللاصقة . فيها نسبة عالية جداً من الماء . وهي كثيراً ما تبقى قيد الاستعمال على العين لفترات تصل

مليوناً المعينين أن يستخدموها وهم سعداء مطمئنون . والعدسات اللاصقة عبارة عن أسطوانات صغيرة تسبح فوق صفحة الدموع في العين . وهي توصف إما بالصلبة وإما بالطرية ، غير أن التطورات الحديثة أنتجت منها أصنافاً جديدة من فئة العدسات الصلبة عادة . ويشار إليها بأنها من النوع الذي يسمح بتسرب الغاز أو الأوكسجين .

العدسات الصلبة

تصنع من أنواع عديدة مختلفة من مادة البيرسبكس وهي بنفس المقياس دائماً أو أصغر بقليل من القرنية (الجزء الملون من العين) ولا تكاد هذه العدسات ترى تقريباً ويصبح وضعها في مكانها مريحاً بعد فترة تأقلم تمهيدية ، وهي أقل ثمناً من العدسات الطرية وتستمر أكثر وتنظيفها أسهل ، كما أنها تستطيع توفير رؤية أفضل في بعض الحالات .

العدسات الطرية

وتصنع من مواد بلاستيكية تحبس في داخلها الماء الذي تصل نسبته إلى ما يتراوح بين ٤٠ و ٦٠ في المئة عادة . غير أن النسبة ترتفع إلى سبعين بالمئة في بعض الأحيان . وهي أكبر من العدسات الصلبة إلى حد ما ، وينبغي

أضف إلى ذلك أن هناك عدسات لاصقة ملونة يمكن استخدامها لأسباب تجميلية وتجميلية وذلك في حالة ما إذا كانت العين مصابة بندبة ، أو كانت معطوبة ، ويمكن استخدام هذه العدسات الملونة بنجاح على سبيل التمويه ، وكذلك إذا كانت ظلال إحدى العينين مختلفة عن ظلال الأخرى ، وهنا يجيء دور العدسات اللاصقة الملونة لتخفي هذا الاختلاف . أما بالنسبة إلى الأسباب التجميلية إذا كانت ألوان العين فاتحة فبإمكان العدسات اللاصقة الملونة تغيير هذه الألوان تغييراً كلياً . ولكن هذا يصبح غير ممكن مع عينين داكنتي اللون .

وهناك عدسات لاصقة بألوان مختلفة ، تستخدم أكثر ما تستخدم لإحداث آثار تلوينية خاصة عند مشاهدة الأفلام السينمائية أو شاشة التلفزيون ، وهي متوفرة من الصنف الصلب والطري ، غير أنها أعلى بالطبع من العدسات اللاصقة العادية .

في إنجلترا ٢٤ مليون شخص تقريباً يستعينون بهذه أو تلك من أساليب تصحيح عائلهم البصرية . ومليون أو أكثر قليلاً فقط من هؤلاء يستخدمون العدسات اللاصقة . مع العلم بأن الحقيقة تتعارض كلياً مع الخرافات ومساوئ الفهم السائدة ، وهي تقول إن العدسات اللاصقة مريحة وسليمة ولا تسبب في أي أضرار ، وفي إمكان معظم الأربع والعشرين

في إصدارات المجلد على أعداد مجلة

الفصل في مجلات فاخرة

وأيضاً..

منشورات دار الفصيل
الثقافية

١- مختارات شعرية

د. غازي القصيبي

٢- سيرة شعرية

د. غازي القصيبي

٣- التعليم الابتدائي

د. سعيد باشموس

د. نور الدين عبد الجواد

٤- التقييم التربوي

د. سعيد باشموس وآخرون

٥- كيف نجتمع في الامتحانات؟

ترجمة د. أحمد عبد القادر المهدي

٦- مدخل إلى علم الاجتماع

د. محمد فايز عبد الله

البصرية بعد وضعها . ثم يعلمك كيف تضع هذه العدسات ، وكيف تزيلها ، وكيف تنظفها . أما التكاليف فستشمل تعريفات المعاينات المعنية ، إلى جانب المراجعات اللاحقة ، وسيحدد لك الطبيب برنامجاً زمنياً لوضع هذه العدسات عليك أن تلتزم به . ذلك أنك لو وضعت العدسة لفترة تجاوز كثيراً ما حدده الطبيب فقد تعاني من نتائج مؤلمة بعد بضع ساعات ، حتى ولو ظلت راحتك متوفرة خلال فترة الارتداء الإضافية .

المعاينات اللاحقة

تستغرق الواحدة منها عشرين دقيقة تقريباً ، وعليك التقيد بها . فقد تتعرض لتعقيدات لا تعلم بوجودها . ثم يحل موعد المراجعة الأولى بعد أسبوعين تقريباً من بدء العمل بالعدسات المعنية . وإذا ظهر أن كل شيء يسير على ما يرام ، فإن موعد المراجعة الثانية يحل بعد ذلك بنحو شهر واحد . والثالثة بعد ذلك فيما يتراوح بين ثلاثة أشهر وستة .

وصايا ضرورية

وعلى كل من يستخدم العدسات اللاصقة أن يحصل كذلك على نظارات عادية ذات عدسات تتلاءم مع درجات حاسة البصر عنده لاستخدامها في أوقات الطوارئ ، لأن العدسات اللاصقة العادية لا يمكن استخدامها طوال الوقت ، ولا ينبغي التعامل مع العدسات اللاصقة باليدين إلا مع اعتماد العناية الفائقة ، وعندما تدعو الضرورة الماسة فقط . وإذا كان هذا مستطاعاً ، فضع العدسات اللاصقة داخلها فوق سطح داكن اللون إذا حدث أن سقطت من يدك .

ولا تمسك العدسات اللاصقة إلا بيدين نظيفتين ، اغسلها بصابون غير معطر ، وجفف كفيك جيداً بمنشفة نظيفة ، متأكداً من عدم تخلف أية شعيرات نسيجية على الأصابع ، حتى لا تدخل هذه إلى العين عند وضع العدسات .

إحداها إلى شهر كامل ، وفائدتها أنها مثالية ، ليستعملها أولئك الذين يجدون صعوبة في وضع العدسات اللاصقة ورفعها من مكانها على العين ، كالمعاقين والصغار جداً والمتقدمين الطاعين في السن . ولكن على الرغم من أنه بالإمكان ترك هذه العدسات في مكانها على العين لفترات طويلة ، ينبغي رفعها وتنظيفها في كل أربعة أسابيع تقريباً .

مع الطبيب

المقابلة الأولى مع طبيب العيون

تستغرق ما بين ساعة وساعتين في العادة . يسألك الطبيب خلالها عن أحوالك الصحية العامة ، وعن التاريخ الطبي لعينيك . إذ يستخدم بعض الأجهزة الخاصة لأخذ مقاييس العينين . ثم يعرض عليك أصنافاً مختلفة من العدسات التي تجربها واحدة بعد الأخرى للتعرف على مدى ملاءمتها للعين ، واختبار تفاعلك مع وضعها في مكانها . ثم يطلب منك الطبيب أن تبقِ العدسات في مكانها من عينيك لفترة من الوقت ، حيث قد يقترح عليك الجلوس في غرفة الانتظار أو الذهاب في نزهة قصيرة . لأن الهواء النقي يساعد العدسات اللاصقة على الاستقرار في مكانها بمزيد من السهولة .

إذا قررت بعد هذه المرحلة أن تستعين بالعدسات اللاصقة فسيطلب منك الطبيب دفعة تحت الحساب تتفاوت بتفاوت الأطباء المعنيين ، وتتفاوت أصناف العدسات المعنية ، ثم يطلب لك العدسات المختارة . أما إذا رأيت أن هذه العدسات ليست لك وقررت تناسي أمرها فيصبح عليك أن تدفع للطبيب تعريفته للمعاينة فقط .

استخدامها

تسلم عدساتك اللاصقة في عيادة الطبيب ، وفي مقابلة تستغرق ساعة تقريباً ، يتأكد الطبيب خلالها من سلامة وضع العدسات على العين ، ويسدق في حالتك



الهلولوجرافى .. أو تصوير كل شىء

بقلم: د. محمد نبهان سويلم

نعم ، مجرد صورة .. لم يرسمها أحد فنانى النهضة ، ولا هى لسوحة سرقت من متحف وأعادوها اليوم ، بل مجرد صورة فراغية أفرزتها قرائح العلم ، وعقوله وغفتها علوم الطبيعة الضوئية ، وابتدعها لأول مرة ، عالم بحري الأصل ، إنجليزى الجنسية ، يدعى دينيس جابور . يوم فاز بها كرمته البشرية ، ومنح جائزة نوبل فى العلوم الطبيعية والرياضية .

وتزاحمنا مع الحشد البشرى ، ونظرنا كما نظر كل الناس إلى الصورة الضوئية من عل ، فرأوا ورأينا كل تفاصيل السفينة العلوية ، ونظروا إليها من أسفل ، فرأوا القاع والدفة ، وداروا حولها دورة كاملة ، فوضحت كل التفاصيل والخفايا .. !! . وبلغ الذهول بالشاهدين مداه ، وامتدت الأيدي تحاول الإمساك بالسفينة ، فارتدت الأيدي خاوية ، تمسك بالهواء ... إلى هذا المدى وصل العلم ؟ . نعم .. توصل العلم إلى هذا الإبداع يوم صور الأشياء والأجسام بأشعة لايزر

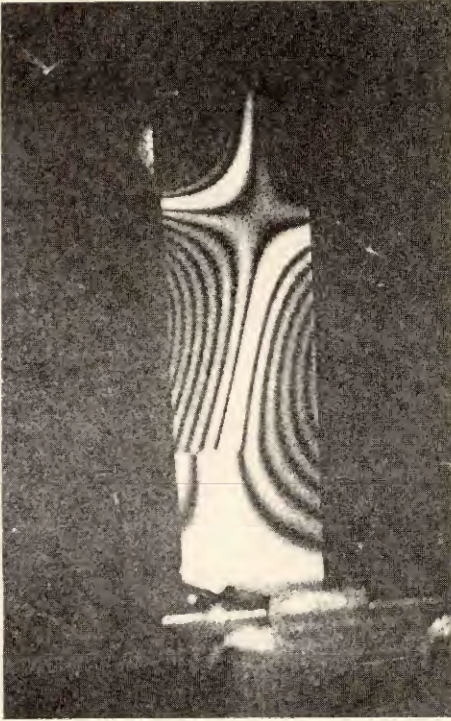
من شتى أرجاء الأرض تتحدث مختلف اللغات واللهجات ، والعارضون استعداداً للتنوع ، فأتوا بمُرشدِين يجيدون مختلف اللغات .. وروصوا المقاعد الوثيرة .. ووزعوا الأضواء الباهرة ، وأتوا بالمشروبات إلى جانب أكوام من الكتب ، والكتالوجات ، والنشرات الملونة ، وشاشات التلفزيون .

وترقب الزحام ، فإذا به منظم دون رجل مرور ، أو ضابط شرطة ، والناس يسرون غَيْرَ الطرقات فى نظام تلقائى ، يدورون ويتقاطعون ، لكنهم لا يتعارضون . لكن هذا النظام انفرط عقده ، واختل توازنه ، وتحول إلى ملامح فوضوية ، وتكدس الناس تكدساً رهيباً .. هنا تدافعوا فى صمت ورفق ، وتزاحوا فى أدب جم حول واجهة عرض دون سواها ، والكل صامت مبتسم يترقب رؤية الشىء المعروض .. ولم تكن شيئاً مثيراً ، إنها مجرد صورة لسفينة خشبية من سفن القراصنة . لهذا تزاحم الناس ؟ .

أربع عشرة صالة عرض .. امتدت بالطول والعرض .. على مساحة شاسعة من الأرض ، واكتظت بالناس من كل صوب وحذب .. منهم طلاب معرفة ، ووسطاء تجارة ، وأهل علم ، هوايتهم البحث وراء مستحدثات العلوم والتكنولوجيا ، إلى جانب هواة فن ، وديكورات ، وتركيبات ، وإضاءة .

والكل فى سعيه ، دائم التنقل بين الأقسام والأجنحة كالفرشات تبحث عن الرحيق ، وتستحلب عصارة الفكر والعلم والفن ، منهم من يسأل ويدقق ، ومنهم من يكتفى بنظرة سريعة ، أو أخرى متأنية ، ومنهم من يجمع ورقات ، أو يبحث عن النشرات والكتالوجات ، بينما بعضهم يفحص المعروضات ، ويتناقش حول المواصفات .

زحام جمع اجناساً متباينة من البشر ، جاءت



الحساسة على هيئة نقطة سوداء داكنة . والاحتمال الثاني : $[-+]$ ، أي قبة تلاقى قاع ، وترجم على الشريحة الحساسة نقطة رمادية . والاحتمال الثالث : $[- -]$ ، وترجم على الشريحة الحساسة بمنطقة ضوئية شفافة . فإذا كانت الموجات المتداخلة مستوية ، أو كرية ، أو مستوية مع كرية ، أو موجات غير محددة الشكل ، ضاعت تفاصيل المولوجرافي ، وأصبح سراً مغلفاً .

رؤية المولوجرافي

لكن السر المغلق يفتح أبوابه الموصدة ، ويعاد الشكل إلى شكل ضوئي مجسم ، متى وضعت الشريحة الضوئية الحساسة في مسار ذات أشعة لايزر ، وعلى نفس الزاوية . وعلى الفور ، تتكوّن الصورة المجسمة . ويُعزى سبب تكوّنهما إلى أن الشريحة المولوجرافية تعيد صياغة موجات لايزر ، وتشكلها حسب شكل الجسم الأصلي ، معنى هذا ببساطة أنه حتى لو كسرت الشريحة المولوجرافية وتشتت ، فإن قطعة صغيرة من الشريحة كفيلة تماماً بالحصول على الشكل المولوجرافي .

المولوجرافي ومناحي العلم

ويطفو على السطح سؤال ، وما دخل العلم

وجرافي ، تعني تصوير ، والكلمة كلها تعني تصوير كل شيء ، أو الحصول على صورة فراغية مجسمة للأغراض المصورة .

ويعتمد المولوجرافي على شطر شعاع الليزر إلى شطرين : أحدهما يسوجه إلى الجسم ، أو الأرض ، أو الماكينة ، أو النسيج ، إلخ . . بينما يوجه الشطر الآخر نحو مرآة عاكسة ، ويرتد الشعاعان المنشطران على شريحة ضوئية حساسة ، وقد احتفظ الشطر الثاني بذات خصائص أشعة الليزر [الأشعة الأم] ، بينما ارتبكت الموجات الضوئية المنعكسة من على الجسم ارتباطاً شديداً ، نجم عنه تغيير طبيعة موجات الأشعة المرتدة . ويلتقي الشطران ، وتتداخل الموجات ، وتتوه التفاصيل ، وتخفي أسرارها عن العين ، بينما تسجل الشريحة الحساسة كل شيء ، وتبدو المولوجرافي مجرد بقع مبعثرة ، غير متجانسة ، ولا معنى لها . . لماذا ؟ .

يرد على هذا السؤال ، العالم المغربي جابور بقوله في إحدى مقالاته : إن هذه الخطوط غير المفهومة التي تبدو في المولوجرافي مردها إلى طبيعة التداخل بين الموجات الضوئية ، فإذا رمزنا إلى قبة الموجة بالعلامة $(+)$ ، ورمز إلى قاع الموجة بالعلامة الرياضية $(-)$ ، فإن محصلة جمع الموجات جبرياً تحتمل ثلاثة احتمالات لا سواها : الاحتمال الأول : $++$ أو قبة تلاقى قبة وترجمها الشريحة

LASER ، بعدما عرف العلماء أسراراً جديدة عن طبيعة الموجات الضوئية .

وإن كنتم في شك من الحكاية ، يكفي تدليلاً على صدقها ، وجديتها ، وتحجيم الصور لدرجة مذهلة ، ما أذاعته وكالة أنباء عالمية مثل اليونيتدبرس في برقية عاجلة مؤداها . . لم يعد إلا الصوت والرائحة ، وتنطق الأشياء والصور ، وتتحرك ، فلقد توصل العلماء إلى الصورة المجسمة الحقيقية .

ويقولون الشيء بالشيء يذكر ، وما دعنا نتكلم عن البعد الثالث والمولوجرافي ، فالحق يُقال إن العالم المغربي جابور لم يكن يسعى وراء هذا الاكتشاف ، ولا خطط له مسار أبحاثه ، بل كان ينبغي زيادة القوة التكبيرية للميكروسكوب ، ويوم علم باكتشاف الليزر ، لم يتوان عن مراجعة بحوثه ، وأدمج الأشعة الجديدة ضمن تجاربه ، فإذا به أمام عمل باهر من منجزات العلم ، لا يقل شأناً عن اكتشاف نظرية النسبية ، بل يعتبر نداً علمياً لها .

تعريفه

والمولوجرافي ، كلمة غريبة على عيني القراء عموماً ، لكنها كلمة يونانية قديمة ، تتكوّن من مقطعين : هولو HOLO ، تعني كل شيء ،

الهولوجرافي .. أو تصوير كل شيء

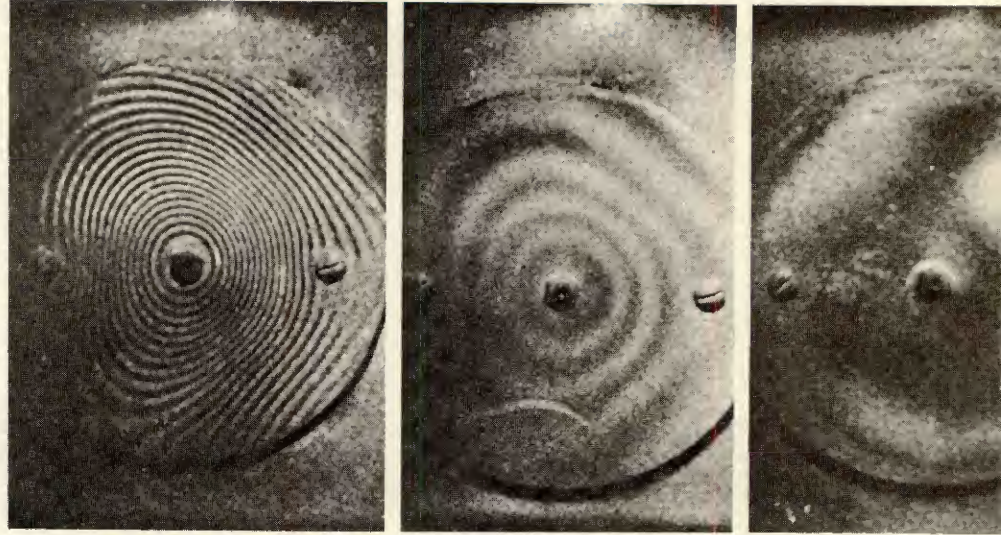
عن مقدرة الهولوجرافي في اكتشاف الشروح بالغة الدقة ، التي تعجز عن كشفها أشعة إكس ، أو أشعة جاما ، فتحت الهولوجرافي وقعت « ريش » محرّك إحدى الطائرات النفاثة ، واتضح من الهولوجرافي توزيع الإجهادات الحرارية والإجهادات الدورانية بانتظام ، وبشكل رياضي منطقي على طول الريش .. لكن المثير للدهشة ، أن الهولوجرافي أثبت بما لا يدع مجالاً لقول آخر ، أو رأي مخالف ، وجود شرخ غاية في الدقة ، غاب تماماً عن قدرات كل المعامل ، ولو ترك وشأنه ، لموت طائرته إلى الأرض وتحطمت .

الأهم من ذلك ، أن الهولوجرافي لا يعتمد على أجهزة معقّدة ، بل يكفي وجود مصدر لايزر ومجموعة من المرايا والعدسات حتى يكشف ما خفي ، فالיום أدخلته شركات إنتاج الإطارات في الكشف عن عيوب الإنتاج ، رغم جودته الظاهرية التي تقرأها عينا البائع والمشتري ، فإذا بالهولوجرافي يحدّد مواقع الضعف في مجموعة من الخطوط الكتورية المتداخلة ، تكشف نقاط الضعف بدرجة دقة تصل إلى ١٠٠٪ .

إن مشاكل تسخين المعادن ، خاصة في مولدات البخار تحت الضغط والحرارة ، ومشاكل الوقود والتبخّر في جسم الغلايات ، يجعل من حصافة الرأي متابعة هذه المعدات بالهولوجرافي .. فائق زحف في بلورات المعدن ، يبدو واضحاً جلياً لا تحطئه العين . فيمكن قياس زحف طولي يتعدى ما مقدار ٦٢٥ من الألف من المليمتر .

والأعمال الفذة التي أصبح بالإمكان إنجازها بواسطة الهولوجرافي تُعدّ ضرباً من ضرب الخيال ، فهي تقيس المسافات بدقة حتى أقرب بوصة ، كما تسهم في تحديد شكل الهياكل الأرضية ، وفي الاتصالات التليفونية بين المتحدثين من مسافات بعيدة ، بحيث تتبادل الرؤية بينك وبين الذي يتحدث إليك من على مسافات شاسعة ، مما يشير بإجراء تغيير جذري في شكل مواصلات المستقبل ، وأنماط الاتصال بين البشر على مشارف القرن القادم .

ومما يسعد ، أن بعض الدول العربية ، أخذت بالهولوجرافي ، وأن المملكة العربية السعودية في سبيل وضع أول خارطة جغرافية علمية دقيقة لصحراء الربع الخالي ، وسوف تعتمد إلى استخدام اللايزر للحصول على صور مفصّلة دقيقة لجميع مناطق الربع الخالي .



حقّق وفراً عظيماً في الوقت ، ودقة علمية عالية في تحديد شواهد الجريمة ، وأحاط بأهل الشر مثلما يحيط السوار بالمعصم .

كما ينتظر من هولوجرافي فوق الصوت لا يعتمد في تسجيله على أشعة لايزر ، إنما يسجل باستخدام الموجات فوق الصوتية ، ومثل هذا الهولوجرافي سوف يلعب دوراً لا ينكر في تحديد معالم أعماق البحار ، وكشف طبيعة مناطق الإنزال والأبرار العسكري ، وفي مد الكوابل البحرية ، وتسهيل مهمة مراقبي الطيران المدني الدولي والمحلي ، وإمكانية رؤية الطائرات المملّقة في الجو ، بحسمة واضحة بدقة بالغة ، يمكن معها تفادي مخاطر الكوارث الجوية .

وفي عالم القياس بالهولوجرافي ، نجده يحتل اليوم مقدمة البحوث العلمية ، وتجارب القياس والاختبارات ، مثلاً : نشر روبرت بول من جامعة ميتشيجان ، دراسة عن طبيعة اهتزاز الأجسام الصلبة ، وأعمدة إدارة المحركات النفاثة ، وقواعد الجسور .. وما للعجب .. أظهر الهولوجرافي تركّز الإجهادات في مناطق متباعدة من سطح العمود ، وكلما زاد الاهتزاز توزع مرة أخرى بانتظام . معنى هذا هندسياً ، أن احتمالات كسر الجسم المهتز ، يصل حد الخطورة فيما بين درجتين من الاهتزاز الأدنى والأقصى . ولعل ما نشر عن بعض البحوث ، ما أذيع

بهذه الأمور التي تبدو من الوهلة الأولى تعلقها بأهذاب الفن ، ورغبة أهله في ابتكار أشياء فنية لا قبل للعلم بها ؟ .

والسؤال منطقي جداً ، وصادق فيما أشاره من نقاط ، بيّد أن العلم لم يعد حكراً على أناس دون سواهم ، فالיום يستخدم الهولوجرافي في دراسات الاهتزاز ، والشد ، وزحف المعادن تحت الضغط والحرارة ، وتحديد الإجهادات الداخلية في المنشآت الصناعية ، ومتابعة الأحوال الساكنة والمتحركة ، وقياس الرذاذ ، وتحديد الانفجارات ، وانتقال المواد ، وتسرب الطاقة ، والزحف البلوري ، وانهيار معادن التشغيل . كما أنه يستخدم اليوم في الحاسبات الإلكترونية ، وإدخال المعلومات إلى نظم المعلومات المتكاملة بدقة تتعدى ١٠٠٠ مرة دقة النظم التقليدية ، واستحدثت لنظم المعلومات المتكاملة مواد ضوئية جديدة ، لا تحتاج إلى عمليات كيميائية لاحقة ، مما اختصر الوقت ، وقفز بالنتائج التشغيلية إلى آفاق أبعد وأعمق وأشدّ غوراً .

وفي عالم الجريمة ، يلعب الهولوجرافي دوراً بارزاً في معاربة معتادي الإجرام .. فالهولوجرافي استطاع مدّ يد العون للعاملين في ميادين المعامل الجنائية ، حيث استطاعت البحوث الهولوجرافية كشف خفايا جرائم الحرق العمد ، والتزوير والتزيف . كما حقّق نجاحاً باهرًا في كشف بصمات الأصابع ، مما

مِلَامَسَاتُ الدِّيَوَانِ

وَأَثَرُهَا فِي الشُّعْرِ وَالنَّقْدِ

بقلم: د. سعد ظلام

الفهم الخاطئ، وفهمتها جماعة أخرى فيها آخر، فأرادت أن تكون عصرية، وفهمت العصرية على أنها وصف الآلات والمخترعات الحديثة، دون استبطان روح العصر، والاندماج فيه، والتعبير عن حقيقته فوصفت المخترعات تقليداً للأقدمين في وصفهم الناقية والبعير، فكانت قسرتهم الظاهرة عصرية، لكنهم في واقع الأمر مقلدون، وكانوا بمفهومهم للعصرية مقلدين كذلك، وهم يحسبون أنهم عصريون، بل رواد في العصرية.

وجماعة ثالثة فهمت المحافظة بمعناها الأرحب، فهمته تجديداً ومعايشة، واستبطاناً لحقائق الأشياء، فجددت في الصورة والشكل والمغزى والغرض الشعري، فنظمت المسرحيات والملاحم، والقصص الشعري، وأبدعت فنوناً لا عهد للعربية بها، وذابت في الطبيعة، وامتزجت بروحها امتزاجاً وجدانياً، وأتت بذلك كله في ديباجة جميلة مشرقة على نحو جديد.

حالة النقد

وكانت حركة النقد موازية لحركة البعث الشعري، يسيران معاً في اتجاه، وبقوة واحدة تقريباً، وفي خطين متوازيين. وكان النقد تقليدياً فيه توجيه من بعيد، وعلى قدر اللمحة وما تدعو إليه الحاجة، وتتمثل هذه الحركة النقدية في الشيخ حسين المرصفي، والشيخ حمزة فتح الله، وشكيب أرسلان، والمنفلوطي، وسيد المرصفي.



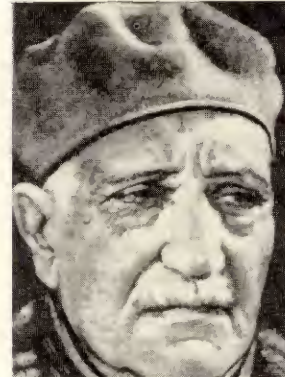
★ المازني ★

في محاولتنا الحديث عن مدرسة الديوان وأثرها في الشعر والنقد تظهر أمامنا جملة من التساؤلات تأخذ واجهة البحث، فلا بد أن نسأل: ما حالة الشعر والنقد قبل هذه المدرسة؟ ومن أعضاؤها؟ وكيف تكونت؟ ومن رائدها؟ وما ثقافتهم؟ وما جوهر دعوتهم؟ وما سبب اختلافهم؟ وما أثر هذا الاختلاف؟ وما أهدافهم؟ وماذا حققوه؟ وهل خرجت مدرسة الديوان على القديم في دعوتها إلى الجديد؟ وهل تحاملت في دعوتها؟ أم كانت مُنصفه؟ وما الأفكار الجديدة التي جاءت بها دعوتهم؟ ثم ما أثر هذه الأفكار في الشعر والنقد؟

وسوف يكون حديثنا عنها من خلال هذه الأسئلة، وتحديداتها، حتى نكون موضوعيين أولاً، ولا نبعد عن الموضوع، وهو متشعب غاية التشعب ثانياً.

حالة الشعر

ظل الشعر حتى عام ١٩٢١ م، وهو العام الذي ظهر فيه «الديوان في الأدب والنقد» على حالة من الفهم مضطربة في مفهوم المحافظة، فجماعة من المحافظين فهمت المحافظة فيها خاطئاً، فهمتها على أنها تقليد واحتذاء، واجترار ومعارضة، فقلدت وعارضت، ومسخت شخصيتها بدافع من هذا



★ العقاد ★

مدرسة الديوان وأثرها في الشعر والنقد

وقد كان هؤلاء الأعلام مُلمّين بأصول اللغة وعلومها في آخريات القرن الماضي ، حاولوا جاهدين تجديد النقد الأدبي ، كما عرفه القدماء وتطبيق النظريات والأفكار والآراء ووجهات النظر العربية في النقد ، كما عرفها نقاد العصر العباسي على الشعر الحديث .

وبدا الاتصال الثقافي بالغرب ، وكانت الثقافة الفرنسية أسبق الثقافات ، فقد عرفت طريقها إلى الحياة المصرية ، من عهد محمد علي وبعثاته ، وأخذت تقتحم نطاق الأدب العربي ، من عهد إسماعيل حتى اليوم .

ولكن الثقافة الإنجليزية واللغة الإنجليزية كان قد اتسع نطاقهما في ظل الاحتلال ، وزاد الإقبال عليهما ، كما كانت الثقافتان تملآن عملهما في العقول العربية عموماً ، على اختلاف في الإقبال والتأثر .

وبدأت العقول المصرية تفتح على آفاق جديدة ، وتتصل وتتصل الأدب العربي بالأدب والنقد الغربيين ، وتعاود اتصالها ، ويعاود اتصاله بالفلسفات الغربية والأفكار والنظريات الأدبية والنقدية ، فظهرت الرومانتيكية في العربية ، وكان رائدها «روحي الخالدي» في مقالاته وفي كتابه «علم الأدب عند الإفرنج» وأخذت هذه المفاهيم توجه الشعر نحو غايات أفضل ومثل غالياً ، فدعا نجيب الحداد إلى الموازنة بين الشعر العربي ، وبين الشعر الغربي في اللفظ والوزن والمعنى ، وعاب على الشاعر العربي فقدانه الوحدة العضوية ، وتبعه أو سار معه في نفس الاتجاه «مطران» ، فقد فهم القصيدة العربية على أنها تعبير نفسي كامل غير ذي أجزاء . . وإن أنكر الدكتور عبد العزيز الدسوقي^(١) كل أثر لمطران في التجديد ، ونسبه إلى مدرسة الديوان ، وترجم سليمان البستاني «اللياقة هوميروس» شعراً ، وكتب له مقدمة ضخمة عن الشعر ، ونشأته وفنونه وأوزانه ، وقد هاجم ابتداء القصائد بالغزل ، ثم ظهرت على الأفق طلائع التجديد المهجري ، التي تهدف إلى نبذ الصيغ القديمة والصنعة والتكلف ، ورفض اللغة وأساليبها وموسيقاها ، وأوضاعها التعبيرية ، رفضاً عنيفاً خرج عن حدود الاعتدال .

وكان من أثر ذلك كله ظهور حركة واسعة في النقد متنوعة . . فقد كان الكتاب إذا ظهر هبّت الصحف والمجلات لعرضه ونقده ، فاللغوي ينقده نقداً لغوياً ، والمؤرخ ينقده نقداً تاريخياً ، والأديب ينقده نقداً أدبياً ، وتثور معركة حامية بين أنصار الكتاب وأعداء الكتاب^(٢) . وما كاد العقد الثاني من القرن العشرين ينتهي حتى كانت هناك مسارات ثلاثة قد كونتها مدارس النقد الأدبي :

١ - مدرسة عربية ، من أعلامها المرصفي ، وفتح الله ، وأرسلان ، والمنفلوطي ، وسيد المرصفي ، واليازجي .

٢ - مدرسة فرنسية ، من أعلامها النقاد طه حسين وهيكمل ، ومن شعرائها شوقي ومطران .

٣ - مدرسة إنجليزية ، ومن أعلامها الشعراء النقاد عباس محمود العقاد ، وعبد الرحمن شكري ، وإبراهيم عبد القادر المازني .

ونزول هؤلاء الشعراء ميدان النقد يعتبر إيذاناً بتحوّل أساسي خطير في النقد والشعر ، ويذكرنا نزول هؤلاء الشعراء إلى ميدان النقد بنزول الشعراء إلى ميدان النقد في العصر العباسي . فابن المعتز وابن طباطبا والجرجاني والآمدي والثعالبي وأبو الفرج ، وغيرهم . . هم الذين كونوا لنا تراثنا النقدي الذي نعتز به ، كما يذكرنا بنزول المتخصصين من أساتذة الجامعات ، إلى ميدان المسرح ، في الأدب الإنجليزي في أواخر القرن الماضي ، فأثروا الحركة المسرحية ، وفجروا قضايا المسرح ، وأبدؤوا آراءهم في كل سلاحه واتجاهاته .

كيف تكونت مدرسة الديوان؟

أما كيف التقى هؤلاء الأعلام الثلاثة ، وهم مختلفون داراً ، فيقول العقاد^(٣) : «من عجيب التوفيق أن يكون شكري من الإسكندرية ، وأن يكون المازني من القاهرة ، وأكون أنا من أسوان ، ثم نلتقي على قدر واتفاق فيما قرأناه ، وفيما نحب أن نقرأه ، وكل ما هنالك زيادة بعضنا في إثارة القصة ، أو زيادة في إثارة الشعر ، أو زيادة في إثارة الفكر والتأملات . . » .

وهم بعد ذلك متفقون في كثير من الأشياء ، وسنهم تكاد تكون متقاربة ، فقد وُلد شكري في ١٢ من أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٨٨٦ م ، والعقاد في ٢٨ من يونيو (حزيران) سنة ١٨٨٩ م ، والمازني في ١٩ أغسطس (آب) سنة ١٨٩٠ م .

ثقافتهم العربية

وحظهم من الثقافة العربية يكاد يكون متفقاً ، فالعقاد^(٤) يقول عن شكري : «لم أعرف قبله ولا بعده أحداً من شعرائنا وكتّابنا أوسع منه اطلاعاً على أدب اللغة العربية ، وأدب اللغة الإنجليزية وما يترجم إليها من اللغات الأخرى ، ولا أذكر أنني حدثته عن كتاب قرأته إلا وجدت عنده علماً به ، وإحاطة بخبر ما فيه ، وكان يحدثنا عن كتب لم نقرأها ، ولم نلتف إليها» .

ولقد كان اطلاع العقاد مضرب الأمثال في وسعه وتنوعه وشموله وعمقه ، فكان يُحيط إحاطة تقرب من التمام بفروع اللغة وآدابها ، وكان عارفاً بدقائقها ، ثم هو فوق ذلك مقبل على دراسة أدبه العربي متعلق بالأدباء الذين أحبه من عهده وصباه ، فأصدقائه من الأوائل كثيرون .

والمازني هو الآخر «حظه من العربية أقوى من حظه من الثقافة الإنجليزية»^(٥) .

ولا تكاد تقدم واحداً منهم على زميله في الشغف بالمعرفة ، والإيغال الشديد في القراءة والاستيعاب المحيط لأكثر تلك القراءات ، والإحساس المرفه بكل ما يلامس عقولهم أو عواطفهم ، إلى جانب مراجعة متكررة

جواهر دعوتهم

لقد كانت هذه المدرسة أثراً لتطور نهضتنا العامة ، ولم يكن بدّ من أن تحدث تيارات فكرية وأدبية ، كان أظهرها بروزاً « التيار الوجداني » لأن هذه النهضة أخذت تشعر الفرد بوجوده وقيّمته الذاتية ، وبضرورة التعبير عن نفسه ^(٨) .

وقد دعت إلى الصدق في الإحساس والصدق في التعبير « وأن يطرح الشاعر كل تقليد ، وينطلق مع نفسه مركّزاً على الغرض الشعري وحده في عبير عاطفي خالص ، وترك المحسنات البديعية حتى إن ترك المحسنات البديعية لا يُعدّ ترفيلاً منهم في عرفان لباب الشعر ، وإنما الحرّيّ بأن يُدعى تقدماً مثمراً تقدّم في الإحساس بالأشياء على ما هي عليه .

وتعيب هذه المدرسة على الشعراء أنهم في تلك الفترة لم يحفلوا بالطبيعة ، والهدف من التشبيه عندهم هو نقل الأثر النفسي للمشيء من وجدان الشاعر إلى وجدان القارئ ، لأن هناك فرقاً بين شعر الحس وشعر الروح ، ويجب ألا يخالف الشاعر ظاهر الحقيقة إلا ليكون كلامه أوفق لباطنها ^(٩) .

وقد تنوّعت مجالات الدعوة لمدرسة الديوان تنوعاً عظيماً :

● أولاً : دراسات أدبية نقدية كما في دراسات العقاد والمازني ، ولقد كانت هذه الدراسات متنوعة المناهج ، ولم تقف عند حدود المعاصرة ، وإنما تحطت ذلك إلى التراث ، كما في « ابن الرومي » و « أبي نواس » و « ساعات بين الكتب » و « الفصول للعقاد » ، وكما في « بشار » و « شعر حافظ » و « حصاد المشيم » و « قبض الريح » للمازني .

● ثانياً : كما كانت الدعوة إلى المدرسة بواسطة النماذج الشعرية التي تحمل في أطوائها بذور التغيير وأصول هذه القيم الجديدة ، ولقد كانت دواوين هؤلاء الثلاثة بما تحمله من ملامح التجديد ، براهين لدعوتهم التجديدية . ولقد كانت هذه الدواوين تُصدّر بمقدمات يكتبها أحدهم ، وفيها الدعوة إلى التجديد ، وتوضيح وجهات نظرهم إزاء قضايا الشعر ، والحملة على رواد المدرسة الكلاسيكية ، وإبداء الرأي في مدى ما يقبلون من التغيير ، كما في مقدمات العقاد لدواوين المازني .

● ثالثاً : « كتاب الديوان في الأدب والنقد » ، وقد أودعوه أصول مذهبهم ، وأهم المبادئ التي ينادون بها ، وقد حمل أيضاً فلسفتهم وأفكارهم .

وكان قد عزم « العقاد » و « المازني » أن يصدرا « الديوان » في عشرة أجزاء ، ولكنه لم يصدر منه إلا جزءان فقط ، وكانت خطتها تقضي بأن يبدأ بتحطيم الأصنام مثل « شوقي » و « المنفلوطي » و « حافظ » ، وغيرهم ، حتى إذا تمت عملية الهدم بدأ في نشر آرائها النقدية البناءة ، ولكن لما لم يظهر من الديوان إلا جزءان فقد ظلت آراؤهما النقدية البنائية مجهولة ... ولوقدّر لتلك الآراء أن تظهر حسب الخطة الموضوعية لها لريح الأدب والتأديبون ربما عظيماً .



★ مطران ★



★ المنفلوطي ★



★ شكيب ارسلان ★

لأمهات الأدب الكبرى « كالأماي » و « الكامل » و « البيان والتبيين » و « العقد الفريد » و « الأغاني » و « نهج البلاغة » و « دواوين الشريف الرضي » و « ابن الرومي » و « بشار » و « المتنبي » ، إلى غير ذلك ، وهو كثير .

ثقافتهم الأجنبية

أما ثقافتهم الأجنبية فكانت هي الأخرى عميقة مستوعبة .. أوغلت في القراءة الإنجليزية ، ولم تقصر قراءتها على أطراف من الأدب الفرنسي ، ولم تنس الألمان والطلّيان والروس والإسبان واليونان واللاتين الأقدمين ، ولعلها استفادت من النقد الإنجليزي فوق فائدتها من الشعر وفنون الكتابة الأخرى .. و « هازليت » إمام هذه المدرسة كلها في النقد ، « كما كانت مطالعاتهم في هذه الفترة في دواوين « شيلي » و « بيرون » و « شعراء البحيرة » عدا « شكسبير » الغني عن الذكر ، وهي ليست مقلدة للأدب الإنجليزي ولكنها مستفيدة منه ، مهتدية بضياته ، ولها بعد ذلك رأيها في كل أديب من الإنجليز ^(١٠) .

و « هازليت » و « شيلي » و « بيرون » هم حملة لواء الرومانتيكية في الشعر ، و « هازليت » هو حامل لوائها في النقد ، وكان للرومانتيكية مجالها الشعري والنقدي أثر كبير في آراء مدرسة الديوان .

وقد أثرت فيهم الحرب العالمية بما بعثته من هول ودمار تأثيراً كبيراً ، يقول العقاد ^(١١) : « وهذه الفترة ، فترة الحرب العالمية شملتنا جميعاً بهذه الغنة الأليمة ، فنفضها « شكري » عنه بقصائده العباسية في ديوانيه الثالث والرابع ، ونفضتها عني بقصيدي التي نظمتهما على نمط الملاحم ، وسميتها بترجة الشيطان .. وراضها المازني كما راضته ، وعالجها ولم يزل يعالجها بعد ذلك بسزعة الاستخفاف وقلة الاكتراث » .

العقاد رائد الديوان

والأستاذ العقاد يعتبر بحق إمام هذه المدرسة ورائدها ، بعد أن تخلى عنها شكري وانفصل وانزوى ، وبعد أن انصرف المازني إلى الصحافة ومعالجة الأحاديث والفلسفة الساخرة وتآليف القصص .

فلسفة النقد الأدبي

وأثرها في الشعر والنقد

الخلاف بين الماضي وشكري

ولكن العلاقة لم تلبث أن فسدت بين الماضي وشكري، بعد أن عاب شكري على الماضي انتحاله لبعض الأشعار الإنجليزية، وبخاصة من مجموعة «الذخيرة الذهبية»، ولما لم يجد شكري من العقاد موقفاً تجاه الماضي وسرقته، راح يهاجمها معاً في «عكاظ» عامي ١٩١٩ م، ١٩٢٠ م، تحت عنوان «ناقد».

وقد أخذ الماضي يرّد، وكان الرد من جانبه وحده، ووقف العقاد إزاء هذه المعركة حيران صامتاً «خوفاً من فرحة صرعى المذهب القديم»، ومن ثم فإنه لم يخطب نفساً لتلك الجفوة التي حدثت بين صاحبيه، فجمعهما ورأب الصدع، وعاهدتهما أن يكفا فرضياً بحكمه، وكتب العقاد يومئذ مقالة في «الأفكار» وصف ما جرى بينهما بأنه مصارعة أصدقاء لا مقاتلة أعداء، وقد أشار «العقاد» إلى ذلك في قصيدته الدالية الجميلة التي رثى بها عبد الرحمن شكري، وكتب شكري قصيدة إثر الصلح الذي تمّ عنوانها «بعد الإخاء والعداء» وهي دالية أيضاً.

وأيّاً ما كان فقد انصرف شكري بعد نقد الماضي له وتحامله عليه، ووصفه بصمم الألاعيب، وسواء كان ذلك سبباً في انسوائه أم لا فلقد انصرف شكري وترك الميدان للعاملين، العقاد والماضي، ثم حدث أن انصرف الماضي أيضاً.

أهداف مدرسة الديوان

بقي العقاد وحده في الميدان بعد انصراف شكري أولاً، ثم الماضي ثانياً، يواصل جهاده المخلص في منهج النقد والشعر والبحث والدراسة على ضوء الأهداف التي تحدت في كتاب «الديوان».

وقد حدد أهداف هذه المدرسة حين يقول: «وأوجز ما نصف به عملنا إن أفلحنا فيه أنه إقامة حدٍّ بين عهدين، لم يبق ما يسوغ اتصالهما والاختلاط بينهما، وأقرب ما نتميز به مذهبنا أنه مذهب إنساني مصري عربي، إنساني لأنه من ناحية، يترجم عن طبع الإنسان خالصاً من تقليد الصناعة المشوهة، ومصري لأن دعائته مصريون تؤثر فيهم الحياة المصرية، وعربي لأن لغته العربية، فهو بهذه المثابة أتم نهضة أدبية ظهرت في لغة العرب»^(١٠).

«فلم يتفق لمصر عصر نطقت فيه روحها الشعبية فظهرت في عالم الفنون الملهبة، وقالت القصائد المنتخبة، ولم يزل لنا أدبان ناقصان، أدب مطبوع غير مصقول، وأدب مصقول غير مطبوع، وهذه آفة الشعر المطبوعة في هذه الديار، فلا هو شعر مصري، ولا هو شعر أجنبي»^(١١)، فالأمة لا بد أن تكون لها في نظر العقاد شخصية أدبية وفنية مستقلة «الأمة بغير تعبير أمة مهزولة أو مشرفة على الموت وكذلك تكون الأمة التي خلت من الفنون لأن الفنون هي تعبير الأمة عن الحياة»^(١٢).

وإذن فقد كان هدفهم أن يكون لمصر أدب يعبر عن الروح الأصيلة لها، ويترجم عن طبع الإنسان فيها بلسان عربي مبين، أدب قومي مصري

إنساني عربي، ولقد ملأ إيمانهم بمصيرتهم كل جوانب إحساسهم على نحو ما صور العقاد في هذه الشذرات وفي غيرها، وعلى نحو ما صور الماضي تصويراً جيلاً في «إبراهيم الكاتب» ولأجل ذلك «قامت مدرسة الديوان لإرساء قيم في الفن والأدب يحتاج إليها الوطن أيها احتياج»^(١٣).

من أجل ذلك حملوا معاول الهدم لينبؤوا على أسس من مفاهيمهم المنبعثة من صميم اعتقادهم بقيم تعبيرية وفنية أصيلة، وقد كانت هذه الأفكار مسيطرة على كل آرائهم، وتصدر عنها معاركهم التي شسوت. وقواعدهم التي أرسوها، ومن هنا يبرز أصل تحاملهم ومبعث تعسفهم في بعض الأحيان «فقد كان مبعث ذلك عند العقاد الإخلاص لمدرسته وما ينبغي لمنهجها في الشعر ومقاييسها من الاستقرار، وإن كانت دعوته لا تخلو من قسوة وعنف مسرف»^(١٤).

وقد حاول أكثر النقاد أن يعزو نقد العقاد لشوقي إلى أنه شاعر القصر، واعتقد أن هذا الاعتقاد يحتاج إلى نظر، لأمور:

★ أولاً: لأن شوقي، بعد عودته من المنفى يوم ٢٠ فبراير (شباط) سنة ١٩٢٠ م، كان قد تخلص من قيود القصر التي سبقت النفي، وقد ظهر الديوان سنة ١٩٢١ م، أي بعد عودة شوقي إلى أرض الوطن، وقد تخلص تماماً من قيود القصر، وما صدر من خطرات نقدية قبل ذلك لم تكن إلا في ثلاثة أبيات لشوقي في رثاء بطرس غالي في خلاصته اليومية^(١٥).

★ ثانياً: ولو صح أنهم كانوا ينقدون «شوقي» لأنه شاعر القصر، فما الذي دعاهم إلى نقد حافظ، وهو لم يكن له أدنى صلة به. لقد كانت الغاية الحقيقية من وراء نقدهم النهوض بالشعر، وإرساء قيم جديدة تحتاج إليها الأمة، وإن كان تحاملهم الشديد جعل النقد يفسرونه تفسيراً مختلفاً، كل منهم يفسره من وجهة نظره البحتة.

فن النقد من يرى أن شخصية شوقي كانت عاملاً هاماً في معارك النقد التي أثرت حوله، فقد كان يتراضى نقاده بكل وسائل الإرضاء، وكانت له صحف ومجلات تدافع عنه وتعيد نشر شعره القديم، وفي مقدمتها «عكاظ» و«الصاعقة»^(١٦).

ولقد كانت للعقاد عقلية ناضجة، ولكن طموحه المبكر هو السر وراء كل اندفاعاته وتحامله مع أنه يعلم أن الميدان سيخلو له يوماً^(١٧). وكان كتاب الشباب في هذه الفترة يلتصقون من نقده وسيلة إلى الشهرة، كما يجد بعض الصحفيين من نقده وسيلة إلى الكسب، و«إن شوقي كان لا يتفك يغري به صاحب «عكاظ» فكان لا يخلو عدد من أعدادها من نقد للعقاد أدخل في باب الهجاء والسباب منه في باب النقد»^(١٨)، وقد قيل إن الذي كان يهاجم العقاد في عكاظ هو عبد الرحمن شكري، وإنه كان ينقد صاحب عكاظ نقوداً لنشر نقده^(١٩).

الحز في أيامنا ، « على أنه تراجع بعد ذلك عن ترك القافية وطلب التنوع في القوافي ، وارتضى أن تظل القافية في الشعر الغنائي ، أما في غيره فينبغي أن تحطم أغلالها تحطاً تاماً »^(٢٢) .

ولعلي أخالف هذا الرأي حين أقول : إن العقاد كتب مقدمة مسرحية «قيس ولبنى» لتعزيز أباطة ، ولم يحطم الشاعر في مسرحيته القافية تحطاً تاماً ، ولم يفكر العقاد في ذلك ، بل لقد أصبح العقاد في طليعة المحافظين المترمتين ، « وهاجم الشعر الحر ، وظل وفياً للتراث أميناً عليه ومن أكبر سدنته ، وهو يرى أن الشعر الحر مهزلة ، وهو يتساءل مم يتحرر الشعر الحر؟ من البحور والقوافي؟ معنى هذا أن الشعر يتجرد من الشعر »^(٢٣) .

جذور مذهبهم

والدعوة التي نادى بها هذه المدرسة يمكننا أن نتبين جذورها في الأدب الغربي والأدب العربي ، ويمكننا بشيء من الإيجاز والملاحظة أن نتعرف على تلك الجذور الغربية في الفروق بين الكلاسيكية وبين الرومانتيكية من جهة ، وفي الدعوات القوية للرومانتيكيين من جهة أخرى .

فالعقل عند الكلاسيكيين أساس فلسفتهم في الجبال والأدب ، على حين يكون عند الرومانتيكيين بالقلب والعاطفة دون العقل ، ونشيدان الحقيقة العامة عند الكلاسيكيين هو الهدف ، والجبال هو الهدف عند الرومانتيكيين ، والأدب عند الكلاسيكيين خلق في غايته ، وإذا قام صراع بين العاطفة والواجب انتصر الواجب ، وقد ثار الرومانتيكيون على الغاية الخلقية للأدب ، ورأوا أن الأدب استجابة للعواطف ، وهذه العواطف ليست شراً .

والأدب الكلاسيكي يعنى بالجموع في وجه الفرد ، والأدب الرومانتيكي يهتم بمصالح الفرد . . . فقد قامت الرومانتيكية على أساس الفلسفة العاطفية^(٢٤) .

وأما جذور هذه المدرسة في الأدب العربي ، فنجدتها في محاولات أبي تمام وابن الرومي ، لقد حاولا أن يعمقا النظرة الشعرية في مجال الفكرة كما صنع أبو تمام ، وفي مجال التوليد والإصابة في التشبيهات واستكناه خفايا الطبيعة ، كما فعل ابن الرومي .

كما أن أكثر القضايا التي أثارها هذه المدرسة ضد شوقي وحافظ ، لها جذور في النقد العربي القديم والحديث ، فالتفكك والإحالة والتقليد ، والولوع بالأغراض دون الجواهر قد التفت إليها النقاد العرب كالأمدي والجرجاني وغيرها .

وأما وحدة القصيدة ، فلها قصة طويلة في أدبنا العربي القديم والحديث ، كما أن مفهومها ظل غامضاً لزمن طويل ، ونلاحظ أنه قصد بها أحياناً في نقدنا الحديث «وحدة الغرض» .

ولكن وحدة الغرض قد أخذت تختلط بعد ذلك عند بعض نقادنا المحدثين بما سمّوه «الوحدة العضوية» ، أي بناء القصيدة بناءً هندسياً بحيث يخرج

يضاف إلى ذلك أن تصارع الأحزاب كان عاملاً هاماً في إذكاء هذه المعركة ، وكان شوقي يحاول أن يصادق مختلف الأحزاب ، وكانت هذه الأحزاب تتصارع على استرضائه ، « وإن العقاد كان يصدر في هجومه على شوقي عن عداوة شديدة لكل ما ينتمي إليه هذا الشاعر طبقياً وقومياً على المستوى الوطني »^(٢٥) .

كان السبب في نقد العقاد لشوقي هو اقتناعه بضرورة إرساء أدب قومي مصري إنساني عربي ، وهذه القيم تحتاج إليها مصر أينما احتياج ، وكانت غايته أن يكون لمصر أدب يعبر عن روحها الأصيلة ، وعن طبيعة إنسانها ، ولكن تدخلت العوامل السياسية وتصارع الأحزاب ، وبعض الأفكار والآراء المغرضة ، فاشتد العقاد في عنفه وتحامل وأسرف ، ورأى التحيز الواضح والتعطيل والتزيم لشوقي ، ورأى مجالات وصحفاً تتبنى وجهة نظره ، لأنه قد اشتراه وأغراها .

كل هذا جعل العقاد يتعسف بعض التعسف أو كله ، ولقد كان يرى « شوقياً » أجنبياً عن مصر ، وليس بالمصري الذي يحس روح مصر ويعبر عنها ، « وكان شوقي يحس الوطنية المصرية كما يحسها التركي المتمصر »^(٢٦) ، وإن كان العقاد قد خفف من عنف حملته بعد موت شوقي .

الأسس التي قامت عليها مدرسة الديوان

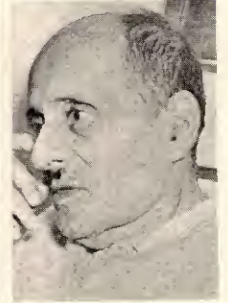
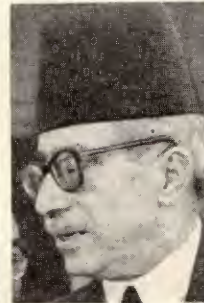
يمكن أن نوجز أهم الأسس التي بنت عليها مدرسة الديوان آراءها في النقاط التالية :

- ١ - التوسع في مفهوم الشعر .
- ٢ - التعمق في تناول الخاطرة ببسطها وتحليلها .
- ٣ - التجديد إنما يكون في المضمون وهو يتحقق ولو كان الموضوع قديماً .
- ٤ - الشعر قيمة إنسانية ، وليس بقيمة لسانية .
- ٥ - القصيدة بنية حية وليست قطعاً متناثرة .
- ٦ - الشعر تعبير عن النفس ، والشاعر الذي لا تظهر شخصيته من شعره ليس شاعراً .
- ٧ - إباحة تنوع القوافي في القصيدة الواحدة ، أو إرسالها عن قيد القافية جملة والاجتزاء بموسيقية الوزن عن موسيقية القافية الواحدة . وهي صحيحة في سنة ١٩١٤ م ، تتطابق تمام التطابق مع صحيحة أصحاب الشعر

★ حافظ إبراهيم ★

★ محمد حسين هيكل ★

★ عبد الرحمن شكري ★



فلسفة الشعر والنقد

وأثرها في الشعر والنقد

الشاعر طاقته لإيجاد رابط في يوجب الصلة بين البيت وأخيه ، دون الرابط الحسني .

وهذه سمة الفنان المبدع الأصيل .

وأرسطو نفسه أعنى الشعر الغنائي من الوحدة العضوية ، وكل وحدة عضوية ألزمها الشعر كانت في الشعر القصصي والملحمي والتمثيلي ، أي في الشعر الموضوعي ، ولم يلزم الشعر الغنائي هذه الوحدة ، فقد خصص ابن سينا الباب التاسع من كتابه « الشفاء » لفن الشعر ، وقد لخص فيه ما كتبه أرسطو عن الشعر .

وفي الفصل الخامس الذي خصصه لحسن ترتيب الشعر وبالأخص « الطراغوذيا » (المأساة) يقول : « وكل أضر فله مبدأ ووسط وآخر ، والوسط مع وقيل ، والمبدأ قبل ، وليس يجب أن يكون مع ، والآخر يجب أن يكون قبل شيء ، والجزء الفاضل هو الوسط » .

فالتراجيديا عنده تتألف من مقدمة ووسط ونهاية « فيجب أن يكون تقويم الشعر على هذه الصفة ، أي أن يكون مرتباً فيه أول ووسط وآخر ، وأن يكون الجزء الأفضل في الوسط » .

وقد عمم أرسطو هذا التقسيم في كل الأشعار القصصية ، فأما الأشعار القصصية التي كانت لهم والأوزان التي كانت تلائم القصص فسيبيلها سبيل الطراغوذيا في تقسيم أجزائه إلى المبدأ والوسط والخاتمة ... (٢٩) .

وأرسطو في كل هذا يتحدث عن الشعر التمثيلي سواء كان مسرحياً أو قصصياً أو ملحمياً ، أي إنه يتحدث عن الشعر الموضوعي بصفة عامة ، وهو لا بد أن يكون كذلك مترابطاً بحكم طبيعته ووظيفته الدرامية التي تتطلب التسلسل والتتابع للحدث .

وقد ألزم التراجيديا ما ألزمه الطراغوذيا من حيث الترتيب ، وقد ذكر ذلك في الفصل السادس ، وهو في هذا كله يتحدث عن أجزاء التراجيديا بحسب الترتيب والأداء والإنشاء .

والمراد بكلمة قصيدة في التراجيديا الجزء الشعري من التراجيديا الذي يلحن ويُغنى ويُؤدبه المشدون ، وليس المراد القصيدة الغنائية حسب ما توهم البعض من نقادنا العرب قدامى ومحدثين .

ومن هذا كله نرى أن أرسطو ، لم يتعرض للشعر الغنائي في هذه التقسيمات ، ولم يلزمه بالوحدة العضوية ، وكان كل اهتمامه موجهاً أساساً إلى الشعر الدافع في عصره ، وهو الشعر التمثيلي .

ومن المعلوم أن هناك فروقاً هائلة دقيقة وجوهرية بين الشعر الغنائي والشعر الموضوعي ، ولكل منهما قواعد التي لا تليق ، ولا يجوز تطبيقها على الآخر ، فضلاً عن أن اليونانيين كانت لهم تقاليد فنية معينة ، ولهم أغراض محدودة

من تحت يد الشاعر كالكائن العضوي الذي لا يمكن نقل جزء منه مكان جزء آخر .

وهي دعوى سليمة من ناحية الفلسفة الجمالية البحتة ، ولكنها لا تكاد تتصور في الشعر الغنائي الخالص .

ومن قال بها من القدماء الجاحظ في التلاحم والتوافق ، وابن قتيبة^(٢٥) في القرن الثالث الهجري حين يقول : « قيل لفلان : أنا أشعر منك . قال : وبم ذاك ؟ قال : لأنني أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه » . وفي الشعر الذي له قران ، والشعر الذي ليس له قران ، وابن طباطبا العلوي^(٢٦) فطن إلى وجوب الصلة بين أبيات القصيدة ومقاصد الرسالة ، بحيث تكون هذه الصلة بمثابة سيلك جامع لما تشتت يضبطه في نظام ، ويجمعه في قران ، والهاشمي^(٢٧) في القرن الرابع الهجري يقول بوحدة القصيدة حين يقول : « مثل القصيدة مثل الإنسان في اتصال أعضائه ببعض فتي انفصل واحد عن الآخر ، وبأنه في التركيب غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه » .

ومن قال بالوحدة العضوية في القصيدة ابن خلدون والشيخ حسين المرصفي وخلييل مطران^(٢٨) .

والحق أن هناك ثلاث وحدات في وحدة الغرض ، وهي خلوص القصيدة إلى غرض شعري واحد ، وهذا غير مطلوب في الشعر الغنائي ، فما على الشاعر من بأس إذا قام يصف النيل ، فوصف الشيطان والنخيل والشجر والزهر والسماء وزرقتها ، إلى جانب الموج الضاحك وسمرة النيل الرائقة ، والزوارق وهي تمخر عبابه ، كل هذا من خلال وصفه للنيل .

وهناك وحدة فنية ، والغرض منها أن تستوي ديباجة العمل الفني فتخرج من تحت يد الشاعر أو الكاتب مستوية ليس فيها نتوء أو بروز ، فليس فيها جزء خشن الأسلوب ، غريب الألفاظ ، قلق الصياغة ، وجزء آخر طيع سلس ، سهل الألفاظ ، سهل التراكيب ، رقيق الأسلوب .

وهذه الوحدة الفنية هي الواجب توافرها في العمل الأدبي ، لأنها دليل الطبع والمهارة ، والحدق واكتمال الملكة والموهبة والأداة ، وهي التي يحاسب عليها الأديب حساباً دقيقاً ، لأنها دليل شخصيته الفنية .

وهناك الوحدة العضوية ، وهي اتصال البيت بما قبله وبما بعده اتصالاً قوياً أسراً ، لا يمكن خلع بيت من موقعه أو زحزحته عن مكانه .

وهذه الوحدة ، لم يطالب بها الشعر الغنائي ، بل وعابها النقد القديم وعُدّ التضمين عيباً ، وهو أي التضمين تعليق البيت بما قبله أو بما بعده بوسيلة حسية ، كأن يكون الفعل في قافية البيت السابق ، والفاعل في البيت اللاحق ، أو المبتدأ في البيت الأول ، والخبر في البيت الثاني مثلاً ، أو العامل في البيت الأول ومعموله في البيت التالي ، لأن الرابط الحسني لا يعمل بشاعر مقتدر .

أما الذي يحمل بالشاعر ، فهو أن يوجد الشاعر رابطاً بين البيت والبيت من ذات نفسه . أي أن يكون الرابط نفسياً ، أو شعورياً ، أو أن يعمل

التي كانت تغلّ وجدانه عن الانطلاق ، وكان لذلك أثره العميق في نهضتنا الشعرية .

وكانت آراء الديوان ونقدها وحركتها ودعوتها وراء كل تجديد جاء به شوقي من مسرح وقول على لسان الطير والحيوان ، وتجديد في الأوزان واختراع لبعضها . صحيح أن العقاد هاجم مسرحية « قبيز » وصحيح أن آراء الديوان لم يكن لها أن تتجه اتجاهاً أساسياً إلى المسرح ، ولكن لم يمنع هذا أن يكون تجديد شوقي ، أو اتجاهه التجديدي إلى المسرح من أثر حملات النقد ، ودعوات التجديد ، التي كانت تشعلها الديوان ، فبدأ شوقي هذا الاتجاه رداً على دعوى الجمود ، وحتى يحافظ على مكانته كرائد وأمير للشعراء ، ولم يكن العقاد في نقده لتمييز منكر للتجديد أو الاتجاه المسرحي ، وإنما كان موجهاً ومؤصلاً له .

ولقد كان لها أثر كبير في كل النشاط الشعري والنقدي ، واتجاهاتها التجديدية ، ولم يقف نشاط الديوان ولا دورها ، عند انقضاء شملها ، بل ظلت تقاوم الجمود ماثلة في قلم الجاحظ وشعره ودراساته ونقده ، وفكره الذي لم يتوقف حتى رحل ، ولم يقف دورها عند حدود زمنية بعينها ، بل كان لها تأثيرها المباشر ، أو غير المباشر ، على كل الحركات الأدبية التالية لها ، ولها تأثيرها الأدبي دون رفع راية أو لافتة أو شعار على الحركات والجماعات الأدبية التي تلتها كجماعة « أبوللو »* وغيرها .

لقد زلزلت الجمود والبلل ، وحطمت القيود التي كانت تحجز وتغلّ المواهب ، ودفعت الشعراء إلى أن يجودوا ويدعوا ويمجدوا ، فكنكت بذلك للشعر والفكر والأدب ، ولم تقف عند هذا الحد ، بل زحفت في قوة ووثوق ، ترعى هذا الثبت الجديد من الأدباء ، ترودهم ، وتقسو في توجيههم حيناً ، وتلزم التؤدة حيناً آخر ، وشجعت المحاولات الجديدة ، وأخذت بيدها في كل الأقطار ، وقمعتها ، ولم تبخل عليها بالنصح ، فأرست بذلك قواعد النضج الفني والأدبي والشعري والنقدي ، فابتدأ الشعراء يطرقون أبواب الفنون الحية ، وأحس الأدب بروح الاستقلال تملأ كيانه .

وقد صحت « الديوان » مفهوم القومية في الأدب ، ولم يقتصر نقدها على الأدب الحديث ، بل اقتحم أبواب الأدب القديم في ابن الرومي وأبي العلاء والمتنبي وأبي نواس وشار ، فأحيوا بها تراثنا الأصيل من الشعر القديم ، وقمعوها في ثوب ونهج ، ودراسات أدبية حديثة ، وفتحوها بذلك باباً لا تقل أهمية عن آرائهم النقدية ، وبذلك تلاقت الأصالة والمعاصرة واستوعب الفكر الأدبي هذا التلاقي ، فازدهر ، وازدهر النقد ، وازدهار النقد يعني ازدهار الأدب .

وقد طالبت هذه المدرسة بأن يكون الشعر تعبيراً عن الوجدان الفردي ، وقد نجحت هذه الدعوة ، وصيغت تجديدنا الشعري كله بطابعها ، وإن يكن هذا الوجدان الفردي قد تطور بعد ذلك إلى وجدان جماعي ، وإن كان اتجاههم إلى الوجدان الفردي كان للتعبير عن ذاتهم والتفيس عما كرتهم به الحياة .

يقولون فيها الشعر ، وكانوا يحرصون كل حرص بوزن على جده ، وكانوا يسمون كل وزن باسم على جده .

ومن الإنصاف أن نذكر لأصحاب الديوان أنهم لم يريدوا أن يغمزوا الشعر القديم بهذا النقد كما غمزه مطران ، وكما يتجهج عليه الآن النقاد المحدثون .. والواقع الذي تهدي إليه الفطرة أن القصيدة في الشعر الغنائي لا ينبغي أن تدعن لهذه الوحدة التي يفرضها عليها هؤلاء العضويون ، وأن تتجه الوحدة إلى الشعر الموضوعي قصصياً كان أو مسرحياً أو تمثلياً أو ملحمياً . والوحدة المطلوبة في الشعر هي الوحدة الفنية ، أما وحدة الغرض فقد انحسرت موجتها أو تكاد ، أما الوحدة العضوية فقد أعفى الشعر الغنائي منها ، وترك للشاعر ولوحيته مهمة الربط النفسي والفني بين أبيات قصيدته .

ما حققته مدرسة الديوان

الذي لا شك فيه أن نزول هؤلاء الشعراء النقاد المسلحون بثقافة هائلة إلى ميدان التوجيه النقدي والشعري أحدث حركة هائلة في الميدان الأدبي ومحيط الفكر الأدبي ، ولقد كان لتعدد وسائل التوجيه عندهم أثر كبير في التأثير الحيوي ، فكانت آراؤهم النقدية ، ودراساتهم الأدبية ، ومناهجهم في البحث ، كما كانت دواوينهم وهي تحمل دعوة إلى التغيير ، كل هذا أحدث في الأفق الأدبي مناخاً شجع الأدباء أن يتأثروا به ، ويلتفوا حوله ، ويحدثوا تغييراً مزدوجاً في نتائجهم .

وهذا التأثير المزدوج يتمثل في الجديد الذي نُظم في ظل هذه الدعوات ، وفي الشعراء الكلاسيكيين الذين بدأوا يمددون أو بالأحرى يغيرون من سلوكهم الأدبي ، وكانت توجهيات العقاد ودراساته أشبه بعضا غليظة حيناً ، وحيناً آخر ، عصاً سحرية توجهها إلى التغيير المطلوب في مناخ صحي أدبي جديد ، فيه التماعات ريادة ، وصدق توجيه ، ونظريات فيه كثير جداً من الصواب .

ولقد دفع هذا التوجيه المتنوع الشباب من الشعراء أن يركبوا موجة التجديد ، وأن ينتجوا ويدعوا وهم مطمئنون من صحة المناخ الثقافي ، واثقون من أصالة الدعوة إلى التجديد .

ولقد حرص المحافظون أيضاً على أن يمددوا من أوتارهم ومن تعاملهم مع الواقع المعاش ، وأن يغيروا من جلدهم الشعري ، ومن مفاهيمهم وأساليبهم حتى يبدو أكثر تأثراً وإقبالاً على حركة التغيير وانفعالا بها ، واستجابة إليها وحتى يظهروا بمظهر المجددين ، أو على الأقل بمظهر المُسايرين للتجديد ، وخوفاً من تعرضهم لحملات النقد الجارفة التي استفادوا منها ومن سلطاتها وحركتها الطاغية دون شك وصوناً لمكانتهم الأدبية التي بدأ التيار الصاحب يزحف إليها أو يأتي عليها .

ولقد كان نقد « العقاد » لشوقي حافزاً له على التجديد في كل صوره ومضامينه ، فقد أتاح له الفرصة لكي يغيّر مفاهيم مدرسته الشعرية ، وأن لا يابه للطلاوة اللفظية ، والقوالب الموروثة ، وأن يتحرر من كل القيود



فلسفة الشعر القديم وأثرها في الشعر والنقد

ما قصرت فيه مدرسة الديوان

وقفت آراء هذه المدرسة عند أبواب الشعر الغنائي، ولم تتعدّها إلى الشعر الموضوعي ورحابته، ولم تقتحم عالم الشعر الموضوعي، لتبين لنا فيه رأياً، ولتحدّد دوره في حركة الفنون ومسيرتها، أو تبشر به وتدعوه، وتدرس أصوله ومعايير، وتبحث وسائل النهوض به، بل وقفت عند الشعر الغنائي باعتباره أصل أجناس الأدب وأعرقها، وهو المجال الذي كان اتجاهاً سائداً في عهدهم.

كما أن المنهج النفسي الذي حاولت هذه المدرسة تطبيقه على كل شعر وشاعر، والاهتمام بظهور شخصية الشاعر في شعره، ومناداتهم بالنظر إلى من قال لا إلى ما قيل، يُعتبر هذا المنهج بُعداً عن الشعر الموضوعي.

ويكفي ما قلّمت، من جهد في جانب الشعر الغنائي لتصبح مدرسة لها جذورها الضاربة في حركة الشعر والنقد المعاصرين.

الهوامش

- (١) جماعة أبوللو وأثرها في الشعر المعاصر، ص ٧٠.
- (٢) «فيض الخاطر» لأحمد أمين، ج ١، ط ٤، ص ٣٥٥، تحت عنوان «النقد الأدبي».
- (٣) ديوان «بعد الأعاصير» للعقّاد، ص ١٤٣، ومن يؤثّر القصة هو المازني، ومن يؤثّر الشعر هو شكري، ومن يؤثّر الفكر هو العقّاد.
- (٤) بحث شكري في الميزان منشور في «افلال» عدد فبراير (شباط) عام ١٩٥٩م، للعقّاد، وراجع: «النقد والنقاد المعاصرون» لمنذور، ص ٥٥.
- (٥) «في الأدب المعاصر» للدكتور عبد الرحمن عثان، ص ٨٠.
- (٦) رابع: «بعد الأعاصير»، ص ١٤٢، دار الحراف، سنة ١٩٥٠م، و«شعراء مصر ويثانهم»، ص ١٩٢، و ١٩٣.
- (٧) «بعد الأعاصير»، ص ١٤٥.
- (٨) ص ٧١، الحلقة الثالثة من الشعر المصري بعد شوقي لمنذور.
- (٩) «النقد والنقاد» لمنذور، ص ١٦٢، ١٦٣، و «ساعات بين الكتب» للعقّاد، ط ١، ص ١١٨، و ١٥٩، و ٢٩٠.
- (١٠) «الديوان»، ص ٢٥ - ٢٦، ط ٢، يتصرف.
- (١١) «ساعات بين الكتب»، طعة بيروت، ص ١٥٧.
- (١٢) «نظرات في فكر العقّاد»، ص ٣٣، عثان أمين.
- (١٣) أدب المازني للدكتورة نعيمة أحمد فؤاد، ص ٧٧.
- (١٤) «مسح العقّاد»، ص ١١٢ - ١٢٠، و «فيض الخاطر»، ج ١، ط ٤، النهضة، ص ٣٥٧ - ٣٥٨.
- (١٥) ص ٩٢.
- (١٦) «المعارك الأدبية» لأنور الجنتي، «افلال»، نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٦٨م.
- (١٧) أحمد شوقي، ص ١٥.
- (١٨) الحلقة الأولى من «دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه»، ص ٢٤٢.
- (١٩) ثبت الأستاذ علي أدهم، ذلك.
- (٢٠) «ثورة على أمير الشعراء»، مجلة «افلال»، نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٦٨م.
- (٢١) «شعراء مصر ويثانهم»، ص ١٨٤ - ١٨٥.
- (٢٢) «دمع العقّاد» لعثمان أمين، ص ١٠٤.
- (٢٣) في حديث تلفزيوني بعنوان «تحمك المنقلب» كان العقّاد ضيفه.
- (٢٤) «الأدب القارئ» للدكتور محمد غنيمي هلال، ص ٣٢ - ٤٢، ط ٣، الأنجلو المصرية فبراير (شباط) عام ١٩٦٢م، يتصرف.
- (٢٥) «الشعر والشعراء».
- (٢٦) «عيار الشعر»، ص ١٢٤ - ١٢٧.
- (٢٧) «في الأدب الحديث»، ج ٢، ط ٤، ص ٢٥٨ - ٢٧٠.
- (٢٨) «النقد والنقاد المعاصرون»، ص ٢٣، ٧٥، ١١٠.
- (٢٩) «الشفاء»، ص ٩، ٥١، ٥٣، ٥٨.

★ المجلة : طالع العدد (٣٣) من مجلة «الفصل»، الصادر في شهر ربيع الأول ١٤٠٠هـ، الموافق فبراير (شباط) ١٩٨٠م، دراسة شاملة عن جماعة أبوللو.

والذي يُحمد لهذه المدرسة أنها لم تخرج على القديم في دعوتها إلى الجديد، ولعل تقديم الأعمال القديمة التراثية لسطاحل الشعراء في العصر العباسي يُعتبر منهم إيماناً بدور هذا القديم، واعترافاً منهم باحترامه، بل إننا لو فحصنا نتاجهم الشعري، وهو كثير، نجد أساليب القدماء، وتعابيرهم واضحة فيه، فشعرهم لم يتخلص نهائياً من أسر القديم في أساليبه، وتشبيهاته وصياغته، فعبد الرحمن شكري مثلاً يقول في مطلع قصيدته «خيلة الحب»:

تمهل - رعاك الله - أقضي لبّاني وأتلو على تلك الرياض تحيي

والدعاء قديم في الشعر، واللبانة لفظ قديم أيضاً، وهي الحاجة.

وله قصيدة ثانية هي «ظالمي ما أعدلك» يقول في مطلعها:

ظالمي ما أعدلك فاقض إن الحكم لك

وهي على نمط قصيدة أبي نواس الثابتة «لبيك إن الحمد لك».

والعقاد رأس هذه الجماعة المفكرة، يعارض قصيدة أبي العلاء

المعري:

ذكراني نعيمها ذكراني حبذا لو علمت ما أعاني

يقول العقّاد:

غلّاني.. فلن بيض الأماني فَنَيْت.. والزمان ليس بفاني

والمازني هو الآخر نجده يقف عند مظاهر التقليد في قوله:

ما للحمام يُغنيّني على فنّ

غصن الشنّي منير النور مَيّاس

والروض كيف اكتسى بالوشي محتفلاً

وراح فيه.. وقلبي واجد آس

دنيا تغيّض من بشري.. وتيسم لي

كالعصب مؤثلقاً يهوي إلى الراس

هيات ما تحفل الدنيا بملتهف

ولا تبالي بإسعاد وإنحاس

لن يخلع الروض أبراد الحما جزعاً

ويكتسي دارس الأفواف للناس

صحيح أنهم لم يحاربوا الألفاظ والتشبيهات لأنها قديمة، وإنما اعترضوا على مواقعها التي لا تحدث حركة وضوء وظلاً ولوناً جديداً في الصورة، ولا تزيد من الصورة الشعرية وجمالها، أما إذا كانت هذه التشبيهات وتلك الاستعارات واقعة موقعها، محدثة أثرها النفسي والفني، يدرك الشاعر سرّ إجرائها، ويحسّ المتلقّي هذا السرّ فهي مطلوبة مرغوبة، ولها عندهم الموقع العذب الجميل.

وظائف اللغة عند رومان جاكوبسون

بقلم: أعرب أبو إسماعيل

يتبين أن التواصل الكلامي يستدعي ستة عوامل، ذلك أن المرسل يرسل رسالة لغوية إلى المرسل إليه، بيد أن الرسالة لكي تكون مؤثرة فهي (تقتضي) بدءاً سياقاً – أو مرجعاً – تحيل عليه، ثم سنناً (Code) مشتركاً بين المرسل والمرسل إليه. وأخيراً (تقتضي) الرسالة وسيلة اتصال، أو قناة فيزيقية (Canal Physique) – الصوت، الكتابة – لتمكين من تثبيت الاتصال^(٥). إن هذه العوامل الستة – مرسل، رسالة، وسيلة الاتصال، سنن، السياق، أو المرجع – تحتل ركناً كيانياً في أي اتصال كلامي، إذ إن الواحد منها يستدعي الآخر، لذا فدور العامل الواحد يتحدد في إطار علاقته بباقي العوامل، بيد أنه لا بد من التنبيه إلى «أن كل عامل من العوامل الستة يولد وظيفة لسانية مختلفة»^(٦)، لذا أشرنا إلى نظرية التواصل الكلامي.

[٢] وظائف اللغة

سيبتين بجلاء من خلال هذا المحور أن كل وظيفة ترتبط بعامل من عوامل التواصل الكلامي:

- (١) الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية (Fonction expressive ou emotive): تتمركز حول مرسل الرسالة الكلامية.
- (٢) الوظيفة الإيعازية (Fonction conative): تتمركز حول المرسل إليه أي ملتقط الرسالة.
- (٣) الوظيفة المرجعية (Fonction référentielle): تتمركز حول المرجع أو السياق.
- (٤) وظيفة صيانة الاتصال (Fonction phatique): تتمركز حول القناة الفيزيكية أو وسيلة الاتصال.
- (٥) الوظيفة الميتالسانية (Fonction métalinguistique): تتمركز حول السنن (Code).

الوظيفة – كما تحدد ألسنيا – هي الدور الذي يلعبه العنصر اللغوي في البنية النحوية للتعبير، فكل عنصر من عناصر الجملة يعد مساهماً في تحديد معناها الشمولي^(١). نكتنه أن اللغة في تركيبها تعد نسقاً وظيفياً، إذ إن كل مكون من مكونات بنيتها يهدف إلى تحقيق وظيفة ما، تتجسد في قصد المرسل في التواصل.

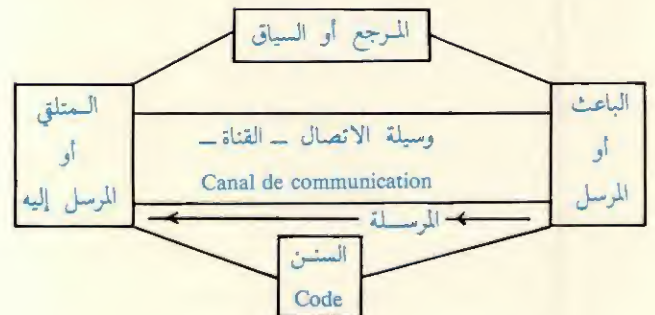
وهكذا، فكلما استهدفنا التواصل الكلامي، كنا قبالة مجموعة متنوعة من الوظائف اللغوية. ونظراً لكون هذه الوظائف تحتل ركناً كيانياً في بنية اللغة، نادت حلقة براغ اللسانية (Le cercle linguistique de prague) بضرورة دراسة اللغة بوصفها نسقاً وظيفياً (fonctionnel) (٢).

وما دام جاكوبسون (Jakobson) يعد من المؤسسين لتلك الحلقة، فقد نادى – هو أيضاً – بضرورة «دراسة اللغة في تنوعات وظائفها»^(٣). لذا التجأ إلى اكتناه وظائف الرسالة الكلامية، ولقد أخضعها لتفريع سداسي، وما دامت كل وظيفة تشكل علاقة مع عامل من عوامل التواصل الستة – كما سيبين – فإن دراستنا هاته، ستستضمن محورين الواحد منهما يستدعي الآخر:

- ١ – محور تحديد نظرية التواصل الكلامي.
- ٢ – محور تحديد وظائف اللغة عند جاكوبسون.

[١] التواصل الكلامي

إن نظرية التواصل الكلامي مثبتة بواسطة الخطاطة التالية^(٤):

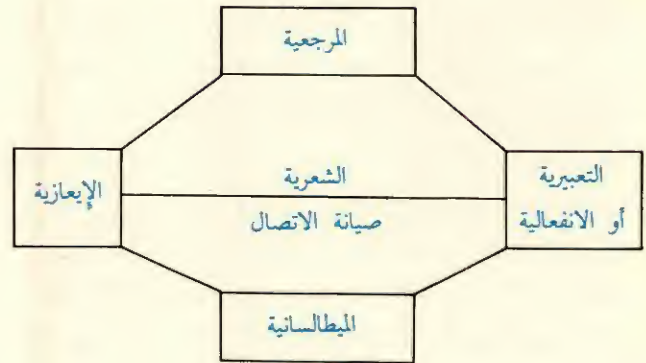


وظائف اللغة عند رومان جاكوسون

(٦) الوظيفة الشعرية (Fonction poétique) : تتمركز حول

المرسلة .

ولقد مثل جاكوسون هاته الوظائف اللغوية بواسطة الخطاطة التالية^(٧) :



١ - الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية : تشير هذه الوظيفة

بتعبير مباشر إلى موقف المرسل من مختلف القضايا التي يتكلم عنها ، فهي تهدف إلى تحديد انطباعات حقيقية أو تصنعية .

ويوضح جاكوسون أن الطبقة الانفعالية (Couche emotive) الخالصة في اللغة تكون ممثلة بواسطة الصيغ التعبيرية ، وهذه الصيغ تتبعد عن اللغة الإرجاعية (Langage référentiel) بواسطة التشكيل الصوتي من جهة ، وبواسطة دورها التركيبي من جهة أخرى^(٨) .

ويمكن القول إن كل دليل (Signe) يكشف عن شخصية المرسل يعد متعلقاً بالوظيفة التعبيرية أو الانفعالية .

جلي أن هذا الكشف يتجسد بجلاء على مستوى بنية السيرة الذاتية ، « فاهم شيء يثير الانتباه في السيرة هو سلطة (الأنا) . ذلك أن الكاتب يبدو مراقباً أميناً لذاته وقادراً على وصفها بدقة في جميع أحوالها^(٩) . ولعل تلك السلطة هي التي جعلت الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية تعد المبدأ التنظيمي لباقي الوظائف التي تشكل معها بنية السيرة الذاتية .

٢ - الوظيفة الإيعازية : هذه الوظيفة تستحضر الدلائل المرتبطة

بالمرسل إليه ، وهذا الاستحضار يتجسد بجلاء بواسطة توظيف :

١ - ضمائر الخطاب .

٢ - الصيغ الأمرية .

٣ - الصيغ الندائية^(١٠) ، بالإضافة إلى صيغ الدعاء والنهي والإرشاد ... إلخ .

إن هذه الوظيفة تعد المميز الأساسي للخطب يشتمل أشكائها وأصنافها ، فهي الوظيفة المهيمنة (Fonction Dominante) على باقي الوظائف التي تشكل هيكلية خطبة ما . إذ إن الخطبة تستهدف التأثير في الآخر ، أي في المرسل إليه ، وما دامت تستهدف ذلك فلها تستدعي الوظيفة المرتبطة بالخطاب .

٣ - الوظيفة المرجعية : « تظهر هذه الوظيفة في المرسلات ذات المحتوى الذي يتناول موضوعات وأحداثاً معينة ، تشكل هذه الوظيفة التبرير الأساسي لعملية التواصل ، ذلك أننا نتكلم بهدف الإشارة إلى محتوى معين نرغب في إيصاله إلى الآخرين وتبادل الآراء معهم حوله^(١١) .

لذا فالدلائل التي تشكل هذه الوظيفة تحملنا على « كون الخطاب » الذي وردت فيه .

ويرى **دوكرو** (Oswald Ducrot) أن كون الخطاب (L'univers du discours) قد يكون واقعياً أو خيالياً^(١٢) . لذا فروايات الخيال العلمي رغم كونها ذات بعد خيالي ، فهي تتوفر على الوظيفة المرجعية بالإضافة إلى باقي الوظائف .

إن الوظيفة المشار إليها لا توجد إلا في إطار علاقتها بمرجع معين . أي الواقع الذي يتناوله الحديث أو المرسلة اللغوية بغض النظر عن الانفعالات الشخصية^(١٣) . ولا محالة أن هذه الوظيفة تجد مجاًها الحصب في الروايات الواقعية والمقالات السياسية والاجتماعية والمسرحيات والأفلام التاريخية ... إلخ .

ونشير أنه يتم التمييز بين نموذجين خالصين للمرسلة ذات الوظيفة المرجعية :

(١) النبأ (L'information) .

(٢) التقرير (Compte rendu) .

إن النموذج الأول يتجسد بجلاء في النشرة الصحفية والنبأ الإداري أو المالي ... إلخ . وهو يخضع لقاعدة ثلاثية : **الوضوح ، الاقتضائية (Laconisme) ، الكثافة (Densité)** - أكبر عدد من الأخبار في أقل عدد من الكلمات^(١٤) .

بيد أن النموذج الثاني يتجسد في المرسلات التي ترصد مجريات الاجتماعات الإدارية والمالية والرياضية والترفيهية ... إلخ^(١٥) .

٤ - وظيفة صيانة الاتصال : تستهدف المرسلة الكلامية من خلال هذه الوظيفة تثبيت التواصل وتمديده ، وتأمين استمراره بين المرسل والمرسل إليه^(١٦) . ويتبين أن هذه الوظيفة تستهدف أيضاً تبيان مدى قدرة المرسل إليه على استيعاب رسالة المرسل . ويرى جاكوسون أنها - نظراً لأهميتها - تعد أول وظيفة تكسب من طرف الأطفال ، ذلك أن الانتحاء

إلى التواصل يسبق لديهم القدرة على إرسال أو تلقي الرسائل المحملة بالأخبار^(١٧).

ويمكن معاينة هذه الوظيفة في التلفظات التالية: «ألو هل تسمعي؟»، «نعم أسمعك»، «هل فهمت؟»، «نعم فهمت». إن هذه الوظيفة - رغم أن التواصل الكلامي يستدعيها بين الآونة والأخرى - تستحضر عدداً محدوداً من الكائنات التركيبية الدلالية كلما استهدفها المرسل، لذا فهي تتميز بالاقتضائية. بيد أن صورتها الثانية - التي هي غير خالصة وغير مباشرة - تستدعي العدد الكثير من الكائنات التركيبية التي تخضعها لتقنيات شتى تتمثل في العمليات التالية:

— اختيار الألفاظ المتداولة.

— تجنب التعقيد.

— تجنب الاستطراد المستكره.

— تجنب الإطناب المستكره.

— تجنب السجع المخل بالمعنى.

نقتصر على هذه الأمثلة ونشير إلى أن هذه العمليات يستهدف من ورائها المرسل إقامة التواصل وصيانته.

٥ - الوظيفة الميطالسانية: يرى جاكوسون أن علم المنطق المعاصر يميز بين مستويين للغة:

أ - مستوى اللغة - الموضوع (Langage - objet): تتحدث فيه اللغة عن الموضوع.

ب - مستوى الميطالغة (Métalangage): تتحدث فيه اللغة عن ذاتها.

بيد أن الميطالغة ليست أداة ضرورية لممارسة المنطقين فقط، بل إنها ضرورية لممارسة اللسنيين كذلك. إذ إنه كلما ارتأى المرسل أو المرسل إليه مراجعة إمكانية استخدامها لسنن مشترك بينهما، فهما من خلال هذه العملية يشكلان الوظيفة الميطالسانية - أو وظيفة التفسير.

وبواسطة الإجراءات الميطالسانية يتوصل الطفل إلى اكتساب اللغة. لذا فجاكوسون يحدد الحبسة (L'Aphasie) بفقدان قابلية تحديد الإجراءات الميطالسانية^(١٨). لذا فهذه الوظيفة تظهر في الرسائل التي تتمحور حول اللغة ذاتها وتشمل هذه الوظيفة تسمية عناصر البيئة اللغوية وتعريف المفردات^(١٩). والواقع أنها هي التي تمكننا من تحديد المصطلحات العلمية والأدبية والاقتصادية والاجتماعية... إلخ، ليستوعبها الآخر. بل إنها هي المبدأ التنظيمي للمعجم بشتى أصنافه.

ويمكن القول إن هذه الوظيفة تفرض وجودها على مستوى الواقع التواصل.

٦ - الوظيفة الشعرية: نعاين هذه الوظيفة في الرسائل

المتمحورة حول المرسل ذاتها، ويرى جاكوسون أن كل محاولة لإخضاع دائرة الوظيفة الشعرية للشعر أو لحصر الشعر في تلك الوظيفة تنتهي إلى اختزال - على مستوى الوظائف - مفرد وخادع^(٢٠).

تُرى لماذا لا يمكن أن نخضع الوظيفة الشعرية للشعر؟ لا يمكن ذلك، لكون هذه الوظيفة توجد في أنماط خطافية بعيدة عن الشعر، بل إننا يمكن أن نجدتها في كلام العامة.

ولقد تنبه الملاحظ إلى ذلك حيث يقول: «وسمعت غلاماً لصديق لي، وكان قد سقى بطنه وهو يقول لغلمان مولاه: اذهبوا بي إلى الطبيب وقولوا قد اكتوى».

وهذا الكلام يخرج على خروج فاعلاتن مفاعلتن، فاعلاتن مفاعلتن مرتين، وقد علمت أن هذا الغلام لم يخطر على باله قط أن يقول بيت شعر أبداً، ومثل هذا كثير ولو تتبعته في كلام حاشيتك وغلمانك لوجدته^(٢١).

لذا، وكما تقول جوليا كريستيفا: فكل ممارسة لغوية بعيدة عن الشعر يمكن أن تمنح مكاناً للوظيفة الشعرية^(٢٢).

تُرى ولماذا لا يمكن أن نحصر الشعر في الوظيفة الشعرية؟ لا يمكن ذلك - كما يرى جاكوسون - لأن الوظيفة الشعرية لا تعد الوظيفة الوحيدة للفن اللغوي، فهي ليست سوى الوظيفة المهيمنة. إذ إنها تضم بالإضافة إلى تلك الوظيفة مجموعة من الوظائف التي تلعب دور المساعد والتابع واللاحق.

لذا، فالدراسة الألسنية للوظيفة الشعرية يجب أن تتجاوز أمد الشعر، فهذا من جهة. ومن جهة أخرى يجب على التحليل الألسني للشعر أن لا يحد بالوظيفة الشعرية، إذ إن الأنواع الشعرية تجعلنا نكتنه تواجد مجموعة من الوظائف الكلامية بجانب الوظيفة المهيمنة - الوظيفة الشعرية - فالشعر الملحمي أو الحماسي، يستدعي بشكل جلي الوظيفة المرجعية. والشعر الغنائي يستدعي الوظيفة الانفعالية. كما أن الشعر الموجّه نحو المرسل إليه يتبدى مرتبطاً بالوظيفة الإيعازية^(٢٣).

ولكن ما هو المعيار اللساني الذي وفقه نتعرف تجريبياً على الوظيفة الشعرية؟

في البداية نشير إلى غمطين جوهريين للتنسيق الكلامي وهما:

— الانتقاء (La selection).

— التأليف (La combinaison).

فحينما يكون مثلاً «الولد» موضوع رسالة، فالتكلم - كما يرى جاكوسون - يقوم باختيار ذلك الاسم من بين مجموعة من الأسماء المتناظرة قليلاً أو كثيراً: ولد، صبي، طفل، ابن... ولكي يفسر ذلك الاسم - الموضوع (Thème) يقوم التكلم باختيار فعل من بين

فالأسني - الذي موضوع دراسته يلامس جل أشكال اللغة - يجب أن يدرج الشعر ضمن أبحاثه بوصفه - كما يرى رانسوم (Ransom) - شكلاً من أشكال اللغة. لذا، وكما يقول هولاندر (Hollander): يبدو أنه لا وجود لحجة مشروعة لفصل المسائل الأدبية عن المسائل اللسانية^(٢٧).

وما دامت اللسانيات، تدرس جل التجليات اللغوية، وتعد العلم الذي يشمل بإجرائيته جل البنى اللسانية، فإنه في الإمكان اعتبار الشعرية (La Poétique) فرعاً من فروع اللسانيات^(٢٨).

الهوامش

* رومان جاكوبسون: ولد سنة (١٨٩٦م)، يعد مؤسس حلقة موسكو اللسانية (١٩١٥ - ١٩٢٠م)، ومن المنظرين الشكلانيين، كان عضواً بارزاً ضمن حلقة «براغ» اللسانية.

(١) Jean Dubois, Dictionnaire de linguistique, Larousse, Paris, 1973, P. 215.

(٢) Julia Kristeva, le langage cet inconnu, seuil, P. 221.

(٣) R. Jakobson, Essais de linguistique générale, Minuit, Paris, 1963, P. 213.

(٤) Francis Vanoye, Expression Communication, Collection: U, 1973, P. 13.

(٥) جاكوبسون، المرجع السابق، ص ٢١٣، ٢١٤.

(٦) المرجع السابق، ص ٢١٤.

(٧) المرجع السابق، ص ٢٢٠.

(٨) المرجع السابق، ص ٢١٤.

(٩) لحمداني حميد، طبيعة السيرة الذاتية وعلاقتها بالرواية، مجلة «آفاق»، يصدرها اتحاد كتّاب المغرب، العددان ٣ - ٤، ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٤م، ص ٣٣.

(١٠) F. Vanoye، المرجع السابق، ص ١٠٩.

(١١) ميشال زكريا، الأسلية (علم اللغة الحديث)، المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣م، ص ٥٤.

(١٢) Oswald Ducrot, Dire et ne pas dire (Principes de sémantiques linguistiques), collection savoir, P. 221.

(١٣) جورج دميان، نظرية المرجع في الأسلية، مجلة «الفكر العربي المعاصر»، العدد

٢٥، آذار - نيسان (مارس - أبريل) ١٩٨٣م، ص ٣٣.

(١٤) F. Vanoye، المرجع السابق، ص ٧٦.

(١٥) المرجع السابق، ص ٧٧.

(١٦) Jakobson، المرجع السابق، ص ٢١٧.

(١٧) المرجع السابق، ص ٢١٧.

(١٨) المرجع السابق، ص ٢١٨.

(١٩) ميشال زكريا، المرجع السابق، ص ٥٤.

(٢٠) Jakobson، المرجع السابق، ص ٢١٨.

(٢١) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٤، ج ١، دار الفكر، بيروت، ص ٢٨٩.

(٢٢) J. Kristeva، المرجع السابق، ص ٢٨٥.

(٢٣) Jakobson، المرجع السابق، ص ٢١٨، ٢١٩.

(٢٤) المرجع السابق، ص ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢.

(٢٥) إمبرتو إيكو، المرسلة الشعرية، مجلة «الفكر العربي المعاصر»، العددان ١٨،

١٩، شباط - آذار (فبراير - مارس) ١٩٨٢م، بيروت، ص ١٠٢.

(٢٦) رومان جاكوبسون [القيمة] المهيمنة، نظرية المنهج الشكلي، ترجمة إبراهيم الخطيب،

مؤسسة الأبحاث العربية، ط ١، ١٩٨٢م، ص ٨١، ٨٢.

(٢٧) R. Jakobson, Essais de linguistique générale, Minuit, Paris, 1963, P. 248.

(٢٨) المرجع السابق، ص ٢١٠.

مجموعة من الأفعال المتقاربة دلاليًا: نام، نعس، استراح، غفا... إلخ، بعد عملية الانتقاء تتم عملية التأليف، فنحصل مثلاً على النموذج التالي: نام الولد، لذا فالانتقاء يتسم بالحضور، وهو ناتج عن قاعدة التساوي والتشابه والتلاش والتضاد، بيد أن التأليف يعتمد على المجاورة.

ونشير أن الوظيفة الشعرية، تسقط مبدأ تساوي محور الانتقاء على محور التأليف، فثلاً في الشعر كل مقطع طويل يشكل معادلة مع باقي المقاطع الطويلة. ويعاين جاكوبسون أن الميطالعة هي أيضاً تلجأ إلى الوحدات المتعادلة لتأليف التعابير في جملة المعادلة حيث: أ = أ مثلاً: الإنسان حيوان ناطق.

ويشير جاكوبسون إلى تواجد تعارض تام بين الشعر والميطالعة، فهذه توظف التعبير لبناء معادلة ما، بينما الشعر يوظف المعادلة لبناء التعبير، وهذا الاستخدام يعد المميز الأساسي للوظيفة الشعرية.

ونظراً لأهمية هذه الوظيفة فجاكوبسون يستدعي الشعرية (La Poétique) لتقوم بدراسة هذه الوظيفة في إطار علاقتها بباقي الوظائف، وهي لا تهتم بالوظيفة الشعرية في مجال الشعر بمفرده، وإنما تهتم بها في جل مجالات التجليات اللغوية^(٢٤).

ويؤكد أمبرتو إيكو (Umberto Eco) على «أن هذه الوظائف يمكن أن تتواجد جميعها في مرسلات واحدة، فنحن نعثر في الجزء الأكبر من أجزاء اللغة اليومية، على تداخل هذه الوظائف ببعضها وتراكبها حتى ولو كانت إحدى الوظائف تغطي [على غيرها]»^(٢٥).

بل إن جاكوبسون يؤكد على استحالة وجود مرسلات تؤدي وظيفة واحدة، وأن بنية كلامية لمرسلات لغوية ما تخضع للوظيفة السائدة أو المهيمنة (La domianate). ويعد مفهوم المهيمنة من أكثر مفاهيم النظرية الشكلانية جوهرية وصياغة وإنتاجاً. ويعرف جاكوبسون المهيمنة بوصفها عنصراً بورياً (Focal) للأثر الأدبي: إنها تتحكم وتحدد وتغير العناصر الأخرى، كما إنها تتضمن تلاحم البنية. ويمكن البحث عن وجود مهيمنة ليس فقط في الأثر الأدبي لفنان مفرد، بل في حقبة معينة، باعتبارها كلاً واحداً^(٢٦).

خاتمة

نشير بعد التحديدات الواردة إلى أن جاكوبسون التجأ إلى التفرع الوظيفي للغة ليؤكد مشروعية دراسة الفن اللغوي بالمفاهيم اللسانية.



★ سيمون دي بوفوار ★



★ سيمون في مقتبل العمر ★

لمحات جديدة
من حياة

لسيمون دي بوفوار

(١٩٠٨-١٩٨٦م)

تعد الأدبية الفرنسية سيمون دي بوفوار، التي ارتبط اسمها بالفيلسوف الأديب الفرنسي جان بول سارتر، من أشهر الوجوه النسائية في مجال الأدب والفكر الفرنسي في القرن العشرين الميلادي. وما أكثر ما كتب عنها وعن أعمالها وخاصة موقفها من الدين والإلحاد. إلا أن كراسة المذكرات التي عثر عليها أحد أصحاب المكتبات في مدينة «كان» بجنوب فرنسا، تكشف عن لمحات جديدة من حياة سيمون دي بوفوار. فقد كتبها فيما بين أعوام ١٩٢٢، و ١٩٢٤م، بينما كانت طالبة بمعهد «ديزير» الديني بباريس. وتكشف هذه الكراسة عن أبعاد الجانب الديني في حياة الأديبة الراحلة.

بقلم:
د. زينب عبد العزيز

كانت أديبة مُتدبنة

ومن أهم ماتصيفه هذه الكراسة، إلى ذلك الكم المتنوع من الكتابات التي تناولت حياتها، أنها كانت متدبنة شديدة الارتباط بالكاثوليكية... وعلى الرغم من أن هذه المعلومة ليست بجديدة تماماً، إلا أنه لم يكن هناك ما يعكسها أو يشتبه بمختلف تفاصيلها أو بشكل قاطع حتى ظهور هذه المخطوطات التي كانت تدونها في مرحلة شبابها أيام ارتيادها ذلك المعهد الذي أثر على نشأتها.

وعلى الرغم من أن سيمون دي بوفوار بدأت تكتب مذكراتها وهي في الخمسين من عمرها، إلا أن هذه الكراسة لا تكشف عن مدى ارتباطها بالدين وهي شابة فحسب، وإنما تكشف عن مدى قلقها وإحساسها بالضيق، لدرجة الإفصاح عن رغبتها في دخول

تتابع الدراسة بمعهد «ديزير»، ذلك المعهد الذي التحقت به وهي في الخامسة والنصف من عمرها!

وكانت تحرض على الاعتكاف!

وتمثل هذه السنوات الثلاث، من ١٩٢٢ إلى ١٩٢٤م، تلك المرحلة الهامة التي انتقلت خلالها من الإيمان إلى الوجودية مما يضفي أهمية خاصة على هذا المخطوط الذي عثر عليه برنار بيديل بمحض الصدفة، في أحد المزادات، بينما كان أحد هواة جمع المخطوطات الأميركيين على وشك شرائه.

وبما تقوله سيمون الشابة، إنها كانت تخرج من كل فترة اعتكاف أكثر صلابة في إيمانها. إذ توضح قائلة: «فترة ما بعد الاعتكاف أشبه ما تكون بحالة البعث من جديد (...). فلا بد لنا من أن نعبر

الدير وتكريس حياتنا لخدمة الدين. فلم تكن ترى آنذاك ما هو «أفضل من أن يفقد المرء إيمانه».

ومن أول ما يتبينه القارئ لهذه الكراسة أن سيمون دي بوفوار اعتادت الاعتكاف كل عام. فهي تقول: «كنت أعتكف كل عام فترة لا أعمل فيها شيئاً سوى الاستماع إلى الواعظ طوال اليوم، وحضور القداس، وتلاوة الصلوات والتأمل العميق (...). كنت أدون انطباعاتي ومشاعري وتدفق النزعة الدينية في الأعماق».

وعلى الرغم من أن هذا المخطوط يقع في أربع وسبعين صفحة من القطع المتوسط، إلا أنه ينفرد بأهمية خاصة، إذ كانت الأديبة فيما بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة من عمرها، حينما راحت تدون تطور مشاعرها الدينية وهي

بها أو الذي تضطر إلى التعامل به ومعه أحياناً ! .

الكتابة مرآة تعكس الحقيقة

أما من حيث الأسلوب ، فإن هذه الكراسة تعكس ، منذ تلك السن المبكرة ، نفس المعالم التي اشتهرت بها سيمون دي بوفوار الأدبية المحنكة وهي : عدم استخدام الكلمات الطنانة أو عدم الإسهاب في المفردات والالتزام بالتعبيرات المحددة . فالكتابة بالنسبة لهذه الشابة تبدو كالمرآة التي تعكس لها الحقيقة .

ثم بدأت صراعاتها النفسية تنعكس بين السطور . ففي عام ١٩٢٢ م ، كتبت تقول : « لقد اتخذت قرارات حاسمة في العام الماضي فيما يتعلق بثلاث نقاط : الإيمان ، والعمل ، والأخلاقيات . ترى كيف التزمت بقراراتي هذه ؟ إن إيماني لم يزد ، بل على العكس .. لقد بدأت أتباع عن ممارسة شعائري الدينية . فقلما جلست أتأمل مثلما اعتدت . كنت فاترة في اعترافاتي . إنني لم أحرز أي تقدم . ومع ذلك ، فكم جاهدت ألا أفقد إيماني حينما كنت أشعر به ينساب بعيداً عني . وتعلمت أن أصلي حتى حينما لم تكن لي رغبة في ذلك ، أو حينما كنت أجد نفسي في حالة من الجذب الديني » .

طلب العون الإلهي

وفي العام التالي ، وكانت سيمون في الخامسة عشرة من عمرها ، يظهر الصراع في أعماقها ويبدو الانشقاق أكثر وضوحاً . فهي تقول : « إن إيماني قد سيطر عليّ وغلبني . فكثرة اهتماماتي جعلتني أفكر في المسائل الأرضية أكثر مما أفكر في السماء .. وتختتم هذه الفقرة قائلة : « ساعدني يا إلهي .. ساعدني على الكفاح ! » .

وحاولت سيمون دي بوفوار الشابة أن تكافح .. وكافحت من أجل المحافظة على

إذ إن عودة الروح إلى خالقها تتضمن فكرة الخلاص ونهاية الآثام .. إن الإنسان يموت مثلما عاش ، لذلك يجب على المرء أن يتوقع الموت في كل لحظة ، إذ إن مجرد إدراك الإنسان أن مصيره الموت فلا بد أن يدفعه ذلك إلى أن يعيش بشكل أفضل .. وحتى إن كانت هذه الفكرة تصيبنا بشيء من القلق فيجب أن نألفها ونعايش معها .

كما تكشف هذه المذكرات عن جوانب التناقض في حياة الأدبية ، خاصة فيما يتعلق بنقطة الصراع بين الالتزام بالتقشف الديني والاستمتاع بالحياة الدنيا . فهي تقول : « لا شك أن الرغبة في الاستمتاع تكمن في أعماق الطبيعة البشرية ، خاصة إذا لم تكن من القوة بحيث يمكنها المقاومة .. فلنستمع إذن في الحدود المسموح بها » .

إلا أن سيمون دي بوفوار راحت تضيف بكل صراحة : « أخشى حيناً أبداً صراع الاختيار أن تقصني الشجاعة وأن أجد نفسي محرومة من مميزات معينة وأنا أخلّ عن هذا العيب أو ذاك » .

الوضوح والصراحة

وهذه الصراحة الواضحة التي تنعكس في كتابات سيمون دي بوفوار الأدبية ، الشابة المراهقة ، ستظل سمة من سمات مذكراتها وكتاباتها على السواء ، حتى وإن اضطرت في الواقع أن تلجأ إلى بعض التصرفات غير الصريحة . بل ستظل من السمات المميزة لأسلوبها وتعبيرها . فحينما تكتب ليس في وسعها أن تخادع : أي إن عملية الكتابة عندها تبدو كأنها لا تحتل الكذب الذي يحيط

عما ينتابنا أثناءها ، وأن نعكس إشعاعات هذه الفترة فيما حولنا ، وأن نظهر ذلك في تصرفاتنا ، وصلواتنا ، وأن نعمل الخير لكل من نصادفه في طريقنا .. أي أننا يجب أن نشعر بالتغيير الذي يتم في أنفسنا وفي أعماقنا وأن نتصرف كالمبشرين في حدود أعمارنا » .

وبالإضافة إلى ذلك الجانب ، فإن هذه المذكرات تعكس انطباعات الكاتبة أثناء فترات التأمل ، وكثيراً ما كانت تُدوّن الموضوع الذي تتناوله بالتفكير مثل « التكوين الديني » ، أو « الموت » أو « واجباتنا الاجتماعية » أو « السماء » أو حتى « كيفية المحافظة على ما نتخذه من قرارات وكيفية تنفيذها » .. وبينما كانت تتأمل موضوع « الفتور » كتبت تقول : « إن الفتور من أخطر الحالات التي تنتاب صاحبه : فلا بد للمرء من أن يعمل أكثر مما في مقدوره وأكثر مما في استطاعته إذا ما أراد أن يؤدي واجبه تماماً . فالفتور أشبه ما يكون بمنحنى الهاوية ، إذ إن صاحبه يعمل قليلاً ، ثم ينتهي به الأمر إلى عدم عمل أي شيء على الإطلاق » .

الصراحة إلى الله

ثم تتضرع إلى الله أن يعينها على اجتياز مرحلة الفتور التي تشابهها وترجوه أن يمنحها القدرة على الاستمرار والمثابرة والرغبة في أن تعاود العمل من جديد .. ثم تسأل الله قائلة : « يا إلهي .. امنحني السلام ، لي وللآخرين ، فلقد وضعت كل ثقتي فيك يا رب ولن تتزعزع أبداً .. لقد دعوتك واستجبت لدعائي » .

أما عن موضوع الموت ، ذلك الموضوع الذي لم يفارق فكر الأدبية الشابة ، فقد كتبت تقول : « لا شك أننا نموت جميعاً . نموت تماماً .. يالهلح فكرة الموت من الناحية الإنسانية ، ويا لجمالها من وجهة نظر الدين ..

قراراتها وعلى التزاماتها . فراحتم عمل لنفسها برنامج عمل لفترات الإجازة ، بينما تستمر في تدوين مذكراتها من وقت لآخر ، ففي هذه الفترة كتبت تقول : « الاستيقاظ في السابعة والنصف . تناول الإفطار في الثامنة والنصف . تأمل وصلاة حتى التاسعة والنصف . عمل حتى الحادية عشرة . عزف على البيانو حتى الثانية عشرة . وفي فترة بعد الظهر عمل وصلاة » .

كما كانت تحدد لنفسها عدم قراءة الأعمال غير المجدية والأناضيع وقتها في التفاهات ، والالتزام بقراءة « حياة المسيح » ومحاولة تقليدها . إلا أنها كانت تدون بكل أسف قائلة : « كثيراً ما يقول المرء أمام المغريات إن محاولة مقاومتها تسبب معاناة رهيبية ، فن الأفضّل أن أخضع لها .. يا له من جنون ! »

وبعد ذلك بثلاثين عاماً ، وبينما كانت سيمون دي بوفوار تتناول هذه المرحلة من حياتها في المذكرات التي بدأت كتابتها في الخمسينات ، كتبت تقول عن الدروس التي خرجت بها آنذاك :

★ سيمون دي بوفوار وسارتر ★

« إن مرحلة شبابي قادتنني إلى إتقان وسائل التأمل المختلفة ، وكنت أستخدما جميعها ، فقد تعلمت ألا أهمل أي شيء أو أي إنسان مهما كان متواضعاً . فالجميع من حقهم تحقيق ذاتهم . وحينما كنت أضيع وقتي ، كان ذلك يعني أنني أخون رسالتي وأقترف إثماً في حق الإنسانية » .

في خدمة الإنسانية

أي إنها كانت تطالب نفسها بأن تكون حياتها مفيدة مجدية وألا تضيع منها في الفتور الذي عانت منه فترات . وظللت على نفس موقفها من نفسها . ففي عام ١٩٧١ م ، حينما شب حريق في أحد المصانع التي تستعين بالنساء العاملات ، في ضواحي باريس ، ظلت سيمون دي بوفوار تحقق في أسباب الحريق وتستجوب المصابات وتعاین الموقع وتتأمل آثار الإصابات .. وكم كانت تساند عالم العمال عامة والعاملات بصفة خاصة ، وقد بلغ تأثرها بهذا الحدث لدرجة دفعتها إلى كتابة مقال من أعنف المقالات التي كتبتها ونشرته في جريدة

« جاكوز » . واختتمت ذلك المقال بتلك الجملة التي أثارت الكثيرين ممن في الحكم وخارجه . إذ كتبت تقول : « نعم .. في فرنسا اليوم ، يمكن القتل بلا عقاب ! » .

قضية المرأة

ولعل أبرز صفة من صفات سيمون دي بوفوار هي ثبات إخلاصها : إخلاصها لنفسها وتطلعاتها ، وإخلاصها للقضايا التي تبتها وخاصة قضية المرأة ، تلك القضية التي ظلت تكافح من أجلها في مختلف كتاباتها . فقد كان جيل الخمسينات الذي تنتمي إليه ، يعترض إجمالاً على فترة الجمود الأدبي التي سادت ما بعد الحرب مباشرة . وتآلفت الاتجاهات الفلسفية بريادة جان بول سارتر وألبير كامو . فلم يعد في وسع الأديب أن يغرق في سرد القصص والحكايات وأن ينمق أسلوبه ، وإنما كان عليه أن يكون شاهداً على عصره ، أن يصف ما آلت إليه الإنسانية وظروف معيشتها ، وما وصلت إليه العلاقات بين الناس . أي إنه كان على الكاتب أن ينتمي إلى الوجود الذي يحيط به ، ينتمي للوجود الجماعي وليس للوجود الفردي فحسب . وفي هذا الموقف الجديد ، من خلال ذلك الدور الاجتماعي ، كان الكاتب يلتزم بمخلة فكرة معينة ، وعمل جماعي معين . فلم يعد يكتب لينال الإعجاب وإنما يكتب ليكشف ويدين ويثب . ذلك لأنه يمثل الجيل المطحون الذي عاصر الحرب وعياش ويلاتها ، مما أضفى على رؤياه قتامة لا تمحى .

وكان من أبرز شبان هذا الجيل الأديب روجيه نيميه الذي بلغ العشرين من عمره عام ١٩٤٥ م ، وكتب يقول : « في العشرين من عمري ودخان هيروشما يلقتنا درساً لا ينسى . إن العالم فان ، وقادته غير جادون » .. ثم يضيف بعد ذلك بقليل : « سنوات مثقلة بالبحث والإعياء .. فيما كدنا نأمل في ثورة ترتسم ملامحها أمامنا حتى فوجئنا



من أميركا إلى الصين

ولا يقل الجانب السياسي أهمية في أعمالها .
فبعد كتابها عن « أميركا يوماً بيوم » الصادر
عام ١٩٤٧ م ، كتبت في نفس الاتجاه الفكري
المتنسي كتاب « المسيرة الطويلة » عام
١٩٥٧ م ، عن تجربة زيارة سريعة قامت بها
للصين .

وتعد مؤلفات سيمون دي بوفوار من
أهم الأعمال التي تعكس بوضوح أحداث
عصرها التي تعبر عنها بوجهة نظر واضحة
البصيرة ، وبدقة واضحة الشجاعة . ويصف
النقاد مذكراتها التي نشرتها تحت عنوان :
« مذكرات فتاة محافظة » عام ١٩٥٨ م ، من
الأعمال التي تميزت بهذه الشجاعة . وهي
المذكرات التي تتناول فيها فترة شبابها التي عثر
مؤخراً على كراسة يومياتها التي دونتها وهي شابة
فيما بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة .

البحث عن نقطة التوازن

ومهما تنوعت مؤلفاتها واختلفت فإن هناك
سمة محددة تربط بينها وهي أنها تعكس ذلك
النضال الخفي بين التطلعات والتناقضات التي
تعيشها الكاتبة ، ذلك النضال الذي لم تنجح في
العثور على نقطة توازن بين كونها امرأة
 وإنسانة مثقفة لها دورها في الحياة الفكرية
 والاجتماعية .

ويعد التعبير عن لحظة الصراع هذه من
المحاور الأساسية التي تتوسط أعمالها ، والتي
لاحت بوادرها منذ أولى كتاباتها حتى في مخطوط
تلك الكراسة المكتشفة حديثاً . فالصراع يبدأ في
نظرها ، منذ اللحظة التي تختار فيها المرأة أن
تكون لشيء آخر أو لشخص آخر ، حتى وإن
كان ذلك الشخص هو الإنسان الذي تحبه . .
فهني تحدد أن الصراع ينجم عن المطالبة
الأساسية لمكونات الوجود وبين متطلبات الموقف
نفسه وما يعايناه المرء من ضغوط وصراعات
متوارثة .

★ ★ ★

بأن للشوكة أكاديمية ، وللغوضى مجلس أعلى ،
وللدعاء أثرية تكسوها كالراية الوطنية ! .

في بوتقة الوجودية

لذلك كان على شباب ذلك الجيل أن يتخذ
من وقاحة الهجاء درعاً يهاجم الأفكار المسبقة
والفلسفة السائرة والأدب الآسن . . ووسط ذلك
الملل العام ، وتلك الأحزان المتركمة واليأس
الشاحب التقت سيمون دي بوفوار بالأديب
الشاب جان پول سارتر وانصهرت أفكارها
في بوتقة الوجودية وتجربتها الميتافيزيقية .

احتفالات الوداع

وإن أمكن اختصار حياة سيمون دي
بوفوار في سطور ، بأنها ولدت عام ١٩٠٨ م ،
في أسرة بورجوازية ، وحصلت على ليسانس
الفلسفة عام ١٩٢٩ م ، وبدأت حياتها
بالانشغال في التدريس ، ثم كرست حياتها
للأدب اعتباراً من عام ١٩٤٣ م ، وارتباطها
بالأديب الفيلسوف جان پول سارتر ذلك
الارتباط الذي توجته عام ١٩٨١ م ، بكتاب
يحمل عنوان : « احتفالات الوداع » ، ثم
توفيت هذا العام (١٩٨٦ م) . فإن أعمالها
ومؤلفاتها ومواقفها ، وخاصة موقفها من قضايا
المرأة قد وضعها في مكانة مميزة بين أدبيات
القرن العشرين .

حينما يتغلب الجانب الروحي

فهما قيل عن ارتباطها بسارتر وعن تأثيرها
به ويفكره ، فإنها كانت تتميز بإرادة وبتلقائية
بدت معالمها منذ أولى كتاباتها ، بل لعلها من
السمات التي تنقص زميل رحلة حياتها :
فتأكيد الذات ، ووجودها الدائم واهتمامها
بالعالم الخارجي من أهم المعالم التي سادت في
أعمالها منذ رواية « حينما يتغلب الجانب
الروحي » التي ألفتها عام ١٩٣٧ م ، ولم
تنشر إلا عام ١٩٧٩ م ، كما تعد أعمالها من
المؤلفات التي تعكس أحداث العصر تبعاً ،



فهما ما يمثل صخب وتخييط الأفكار الأدبية في
فترة تحرير فرنسا ، مثل « دماء الآخرين » ،
(١٩٤٥ م) ، و « كل الرجال قانون » ،
(١٩٤٦ م) . إلا أن اهتمامها بقضايا المرأة بدأ
يتبلور في نفس الفترة .

ففي عام ١٩٤٣ م ، كتبت رواية
« الضيفة » ، ويعتد النقاد من ملاحم الألم
والمعاناة وأفضل ما ظهر في فرنسا على نمط رواية
« الغثيان » لسارتر . ولا يرجع ذلك بفضل
الأفكار الأيديولوجية بقدر ما يمكن في فن الحوار
والتعبير عن أعماق نفس جياشة ممزقة بين
رغباتها الذاتية والآخرين . ثم كتبت رواية
« أفواه لا داعي لها » عام ١٩٤٥ م . ولعل
أشهر رواياتها هي المعروفة باسم « الجنس
الثاني » ، التي صدرت عام ١٩٤٩ م .
وازداد دورها تأكيداً مع رواية « الجهلاء » التي
صدرت عام ١٩٥٤ م ، والتي تعد قمة من قمم
الرواية الوجودية . إذ تعد وثيقة من الوثائق
الهامة بالنسبة للتقاليد والاتجاهات الفكرية
الأدبية السائدة آنذاك ، كما تعكس رحي
الصراعات اللاهائية التي كانت تدور وتصعد
الحزب الشيوعي الفرنسي .

شعر الأطفال

ومئة عام على ميلاد المhraوي

بقلم: أحمد سوييم



الراقص المتكرر أكثر من اعتماده على اللغة والمعنى .. وكذلك ذلك اللون من الشعر الذي كان يصاحب ألعاب الصبيان .

وفي اعتقادنا أن المناخ الثقافي الذي كان سائداً .. قد ساعد على تدفق العبقورية لدى الصغار .. فلم تكن للغة العربية مستويات عدة - كما نشهده اليوم - لكنها كانت لغة واحدة تسود حوارهم .. وتعاملهم .. وأشعارهم .. وغنائهم .. وترقيصاتهم لأطفالهم .. مما جعلها لغة في متناول الجميع . لا يجد أحد فيها صعوبة أو غربة .

كما أثبت كثير من المفكرين - ومنهم القابسي و ابن خلدون - اهتمام المدرسة الإسلامية بالشعر والأدب إلى جانب علوم الدين والحساب والفلك .. وقد جاء في الأثر «لاعب ولدك سبعا .. وأدبه سبعا .. وأخه سبعا» وهذه القاعدة التربوية الإسلامية تدعو إلى حشد الأدب والثقافة في ذهن الصغير - من السابعة إلى الرابعة عشرة - دون ما خوف أو تردد .

ثم تتداخل ثقافات البلاد المفتوحة والعالم البعيد مع الثقافة العربية .. وتتعدد مستويات اللغة والفهم .. وتنشأ الحاجة إلى البحث عن (لغة) جديدة تقرب كل شيء إلى هذا الصغير الذي كان قد انصرف عنه الكبار لاشتغالهم بالحروب والمنازعات والصراعات الخاصة .. ومن ثم تغيرت النظرة إلى الطفل من (الرجل الصغير) إلى (الطفل المدلل الصغير) الذي ينبغي أن نتلمس الطريق إليه بحذر شديد ..

يوافق عام ١٩٨٥ م ، مرور مائة عام على ميلاد الشاعر محمد المhraوي .. الذي يجيء في مقدمة الشعراء المعاصرين في مجال الكتابة للأطفال .

وشعر الأطفال قديم قدم الإنسان ، تشهد بذلك البرديات المصرية .. والألواح السومرية والبابلية .. والمدارس الجماعية التي وضعت الشعر بين مناهج التعليم .

وقد نظر القدماء إلى الطفل على أنه (رجل صغير) .. له ما للكبير من حقوق .. وعليه ما عليه من واجبات .. ولهذا أقبل الصغار على التعليم والثقافة بنهم شديد .. حتى لمع منهم الحاكم الذي تولى عرش الدولة وهو ابن السادسة عشرة .. أو رجل الدين الذي تفوق في معبده وهو لا يزال صبياً .. أو هذا الذي نطق الشعر وهو في دور الطفولة .

فإذا انتقلنا إلى المجتمع العربي وجدناه كذلك ينظر إلى الأطفال النظرة نفسها .. فوجدنا أطفالاً صغاراً قالوا الشعر مثل كعب بن زهير حين أجاز قصيدة لأبيه زهير بن أبي سلمى .. ومثل طرفة بن العبد .. وليبد بن ربيعة .. ومن بعدهم وجدنا أبا نواس وبيشراً وغيرهما من الشعراء الذين نطقوا الشعر وهم صغار .

وهناك ملاحظة مهمة في هذا المجال .. تؤكد أن الشعر الذي كان يكتبه القدماء لم يكن غريباً على وجدان الصغير .. ولهذا لم نجد نصوصاً كتبت (خصيصاً) للأطفال - كما هي الحال اليوم - اللهم إلا هذا اللون الذي يسمى «ترقيص الأطفال» وهو يعتمد أساساً على الإيقاع

شعر الأطفال ومئة عام على ميلاد المهرابي



وهكذا - بالرغم منا - نشأت الحاجة إلى كتابة أدب للأطفال .. في إطار من البساطة وتلمس الطريق المهد حتى وجدان الطفل .

موقف الأدباء

ولم يكن الأمر مقبولا - في بدايته - فقد استنكف الكتاب والنقاد أن يقبلوا على الكتابة أو الدعوة إلى أدب مستقل للأطفال .. ونظروا إلى الذين يتحمسون له على أنهم ضعيفو الموهبة .

ويذكر تاريخ الأدب في فرنسا - في عصر لويس السابع عشر - أن شاعرها المعروف (شارل بيرو) ١٦٢٨ - ١٧٠٣ م ، عضو الأكاديمية الفرنسية ، قام بإبداع بعض قصص للأطفال بأسلوب سهل .. وبعبارة جذابة .. لكنه نسبها إلى ولده خشية اتهامه بالضعف وعدم القدرة على الإبداع .. لكنه ما لبث أن أبدع قصصاً وخرافات أضفت شكلاً جديداً على قصص (الجمال الناعس - سندريلا - ذو اللحية الزرقاء .. وغيرها) وأصدرها تحت عنوان (أقاصيص وحكايات الزمان القديم) ووقع عليها باسمه هو !

وبعكف (لافونتين) ١٦٢٠ - ١٦٩٦ م ، على كتابة أشعار للأطفال مستمدة من حكايات إيسوب - وكليلة ودمنة - وحكايات لقمان - على ألسنة الحيوانات .

وفي القرن الثامن عشر ظهر للكاتب (برنس دي بومون) عدد كبير من القصص أهمها : مخزن الأطفال ، لكن حكاياتها لم يكتب لها البقاء لفقرها إلى الخيال والأسلوب المتع .

وبجيء جان جاك روسو بأرائه في التجربه ، وعلى إثرها تقوم (مدام جنلس) ١٧٤٦ - ١٨٣٠ م ، بإبداع كتب أخلاقية في معظمها ..

ثم يتوالى إبداع الكتاب والشعراء للأطفال في الغرب على أيدي : توماس راي - وديغو - وسويفت - ولويس كارول - في إنجلترا .. وهانز كريستيان أندرسون في الدانمرك .

ثم ينتقل أدب الأطفال - بعد أن استقر في الغرب - إلى المشرق العربي على أيدي كتاب وشعراء كثيرين منهم محمد عثمان جلال (١٨٣٨ - ١٨٩٨ م) ، الذي كتب العيون اليواظ في الأمثال والمواعظ - وعبد الله فريج الذي أصدر عام ١٨٩٣ م ، كتاب (نظم الجمان في أمثال لقمان) - وأحمد شوقي (١٨٧٠ - ١٩٣٢ م) ، الذي ترجم عن لافونتين .. وأضاف حكايات أخرى للأطفال .. ومحمد المهرابي الذي سنتناوله هنا تفصيلاً .. وكامل كيلاني

(١٨٩٧ - ١٩٥٩ م) ، الذي يعد مدرسة في مجال قصص الأطفال .. وغيرهم من الأجيال التالية .

ملامح شخصية

ما بين عامي ١٨٨٥ - ١٩٣٩ م ، عاش الشاعر محمد المهرابي حياته في مصر ، وهو من أسرة علم وأدب كبيرة .. فقد ورث ملكة الشعر عن جده كبير علماء مصر في عهد محمد علي باشا .. ثم تعهد هذه الملكة بالرعاية والتنمية خال الشاعر الشيخ محمد شريف سليم الذي كان في زمانه كبير مفتشي اللغة العربية بوزارة المعارف ، وناظر دار العلوم .

ويتلقى المهرابي تعليمه العام .. ويتعلم الفرنسية والإنجليزية إلى جانب علوم العربية .. ثم يلتحق بعمل في دار الكتب المصرية في قسم الحسابات والمستخدمين .

وكان الشاب قد استقام عوده .. ونضجت موهبته .. فتقدم إلى خطبة الأنسة زينب ، كريمة إبراهيم بك بيومي المدير العام بوزارة المعارف .. وكانت أيضاً ذات ثقافة فرنسية .. وينجب منها خمسة أبناء .. لم يبق منهم إلا فاطمة ، أمد الله في عمرها (٧٦ عاماً) .. وقد عني المهرابي بتربيتهم وتنقيفهم جيداً .. وذكر أسماءهم في أشعاره باعتبارهم ممثلين للأطفال المصريين .

★ جان جاك روسو ★

★ لافونتين ★



(الحق إن الأطفال محرومون من كل ما يتمتعون به من كتب القراءة والمطالعة والدرس والتعليم .. وقل من المؤلفين من يعنى عناية خاصة بكتب الأطفال ، وحتى رجال البيداجوجيا - أي رجال التعليم - في كتبهم المدرسية .. هؤلاء أيضاً قلما يضعون مؤلفاتهم الصغيرة في مستوى مدارك الأطفال .. كأنهم فهموا أن ليس هؤلاء الأطفال عقول غير عقول الذين صعدوا في درجات العلم والتعليم مدى بعيداً)

إن الهراوي هنا يشغله أمر الأجيال الجديدة .. ويشغله ما انتهى إليه أمر سياسة العلم والتعليم وإصرار المسؤولين - في عصره - على صيغ التعليم صيغة أجنبية .

لعله إذن لم يجد ضالته فيما يكتب من شعر للكبار .. بل وجد الساحة تمتلئ عن آخرها بالأقلام .. فأقبل على عالم الصغار لعله يبدأ رسالته معهم في إخلاص وجد وتميز .

ويضع لنفسه خطة لا يبيد عنها وهو يواجه عالم الأطفال .. وهي خطة قائمة على الإيمان بالله ثم الوطن .. بكل ما يضم هذين الجناحين من العودة إلى المنابع الأصلية والوجدان الحي لدى المصري أمام قوى التحدي والسيطرة الأجنبية .

لقد بدأ الهراوي يجرب أشعاره للأطفال مع أبنائه وبناته في صورة أهزج شعري ذات إيقاعات موسيقية ولغة سهلة بسيطة .. ثم أخذ ينطلق إلى الأعمار الأكثر وإلى مراحل التعليم المختلفة ، حتى إن بعضاً مما كتبه الهراوي قررت وزارة المعارف على المدارس الابتدائية .. وبعضاً على التعليم الأولي .. وبعضاً قرر على رياض الأطفال .

وبلغت أعماله نحو خمسة وعشرين عملاً ، نذكر منها على سبيل المثال هذه المجموعات :

١ - سمر الأطفال ، ط ١٩٢٢ م ، ويشمل خمساً وثلاثين أنشودة .

٢ - سمر الأطفال للبنين ، ج ١ ، ط ١٩٢٣ م ، ويشمل إحدى وعشرين أنشودة .. وقد طبع من هذا الديوان ١٤٠٠٠ نسخة .

٣ - سمر الأطفال للبنات ، ج ١ ، ط ١٩٢٣ م ، ويشمل تسع عشرة أنشودة ، منها خمس عشرة مثبتة في سمر الأطفال بنين ج ١ ، فتصبح الأناشيد الجديدة أربعة فقط للبنات .. وقد طبع منه ٥٠٠٠ نسخة .

٤ - سمر الأطفال للبنين ، ج ٢ ، ط ١٩٢٣ م ، ويشمل إحدى وعشرين أنشودة .

٥ - سمر الأطفال للبنات ، ج ٢ ، ط ١٩٢٣ م ، وشبه سبعة أناشيد للبنات علاوة على ما جاء في ج ٢ السابق .



وكانت بينه وبين أصدقائه الشعراء مساجلات ومداعبات شعرية كثيرة .. كما كان دائم الترحال والتنقل بين مصر والشام .. وهو صاحب فكرة (سوق عكاظ وموسم الشعر في مصر) وقد كرمه أدباء لبنان عام ١٩٣٣ م ، باعتباره واحداً من الشعراء الكبار الذين أضافوا الكثير إلى الشعر المعاصر .. ودعا في هذا الحفل إلى (إقامة سفارة أدبية في كل قطر من الأقطار يلجأ إليها الأديب فترشده إلى إخوانه ورفاقه وزملائه) .

ولأن الهراوي كان يعمل في دار الكتب - وفي قسم الحسابات - فإن عمله هذا قد يبدو بعيداً عن الفن والشعر .. لكنه استطاع أن يتحدى ذلك كله .. وينظم كل ما بدا له فراغ وكل ما شعر - على حد قوله - بميل إلى النظم والإبداع .. وهو لا يقعد للنظم .. ولا يعقد له جلسة خاصة ولكنها خواطر تتوارد عليه فيثبتها .

وللهراوي شعر كثير منشور في الصحف والمجلات ما يكفي ديوانين .. لكنه لم يجمع إلى اليوم .. إلا ذلك اللون من الشعر الذي خصصه للأطفال واشتهر به .

نستطيع أن نضع أيدينا على بعض المفاتيح التي تقودنا إلى عالم الهراوي من خلال هذه الكلمات التي كتبها يوماً تحية لصديقه كامل كيلاني ، يقول :

★ كامل الكيلاني ★

★ سوفيت ★



شعر الأطفال ومئة عام على ميلاد المهرابي

خفي واغلي بخطا الرجل
فوق الجبل
واجري وثبي عند اللعب
فوق الجبل

ويكتب قصائد وصفية لمشاهدات الطفل وأدواته .. ويستمد ذلك كله من
البيئة المحيطة .. بقصد تعريفه على كل شيء حوله .. ومنها أنشودة
ركوب السيارة :

سيارتي .. سيارتي أركبها في نزهتي
سيارتي ذات العجل أمشي بها على مهل
أمشي على اليدين في الشارع الأمين
في الصباح أو في العصر وتارة في الفجر

ويكتب قصائد تغرس في الطفل القيم والأخلاق من خلال الدعوة إلى
السلوكيات الجميلة .. ومن ذلك (آداب الفتاة في الطريق
العام) :

إذا ماسرت في الطرقات فامشي
على سنن الكمال والاحتشام
ولا تلتفتي يميني .. ويسري
وسيري في الطريق إلى الأمام

ويكتب أناشيد مهنية .. فيتناول الطبيب والحامي والفلاح والتجارة
وغيرها ، ومنها :

أنا في الصبح تلميذ وبعد الظهر نجار
ولي قلم وقرطاس وإزميل ومنشار
وعلمي إن يكن شرفاً فسا في صناعي عار
فللعلماء مرتبة وللصناع مقدار

ويكتب ديواناً كاملاً من القصص الديني بعنوان (أبناء الرسل)
يتابع فيها الرسل والأنبياء منذ آدم عليه السلام حتى محمد صلى الله عليه
وسلم في شعر قصصي سهل ميسور .. كما كتب تمثيلات شعرية ونثرية ..
تعد إلهاماً لمسرح الأطفال ..

ويتميز شعر المهرابي بالتزامه أبسط المفردات
الفصيحة .. والسلاسة في السياق والوصف والمعنى ..
واختيار مجزوءات بحور الشعر العربي لكي يسهل حفظه
والتغني به .. والتزامه المضامين التربوية والخلقية في كل
ما يكتب .

فلقد أعطى المهرابي الكثير إلى طفولتنا وإلى الأجيال المتعاقبة .. وهي
فرصة لا يجوز أن نمر على المهتمين بثقافة الطفل على امتداد الوطن
العربي .. لكي تعرف الأجيال الحاضرة ما استطاع الأجداد أن يضيفوه
في مجال شعر الأطفال .



٦ - سيمر الأطفال ، ج٣ ، ط١٩٢٣ م ، ويشمل إحدى
وعشرين أنشودة وطبع منه ١٢٠٠٠ نسخة .

٧ - سيمر الأطفال للبنات ، ج٣ ، ط١٩٢٣ م ، وبه
سبعة أناشيد للبنات جديدة ، وطبع منه ٥٠٠٠ نسخة .

٨ - ثم تتوالى أعماله بعد ذلك في كتيبات صغيرة ما بين أناشيد
ومسرحيات وقصص شعرية حتى عام ١٩٢٩ م .

مآور شعره

يدور شعر الأطفال لدى المهرابي حول الطفل في المدينة والقرية ..
وهو يتابعه منذ يصحو من نومه حتى ينام .. بل يكاد يترجم ما يفكر فيه
الطفل في سنوات عمره المختلفة .. وفي حركاته وسكناته محاولاً بث
الطموح والخيال ، ومزج العمل بالعلم والأخلاق والقيم والعادات السليمة .
يتناول المهرابي علاقة الطفل بالطبيعة المصرية من حوله كما يواكب
رحلته اليومية مروراً بالشارع والدراسة والأصدقاء والمذاكرة إلى غير
ذلك .. ومن ذلك مثلاً :

نحن	فتية	نطلب	الأدب
كل	واحد	يحمل	الكتب
نبتغي	بها	أرفع	الرتب
مصر	أمنّا	حقها	وجب

ويكتب المهرابي أغاني توعبية للأطفال في سنهم الأول .. قد تكون
قبل مرحلة القراءة .. محلاة بالصور والرسوم الإيضاحية .. ومن ذلك
أنشودة قفز الجبل التي يقول فيها :

الأمم

اجتمع الأطباء الشبان حول المائدة مع مدير السكن الذي يبيتون فيه ، ليفكروا في مشاكل السكن .

برزت مشكلة دورات المياه التي أصابها العطب .. وبالذات « السيفونات » القديمة التي يتساقط منها المياه بصورة سيئة . تحمس أحد الأطباء ، فانقلت من على الكرسي مشيراً بيده وموجهاً حديثه إلى مدير السكن :

— إننا يا سيادة المدير لا بد أن نشارك بأنفسنا في إصلاح دورات المياه ..

وأخذته الحماسة ، فضرب بيده على المنضدة وهو يكمل حديثه :

— لن نتظر العمال لكي يصلحوا لنا دورات المياه !! أنا — بنفسى — من اليوم سأحضر لوزام إصلاح هذه السيفونات القديمة .. ثم التفت إلى زملائه موجهاً حديثه إليهم :

— وأنتم عليكم جميعاً أن تشاركوا في هذا العمل ، وسترون بأنفسكم أننا سنفعل المعجزات ..

ابتسم المدير وبانت على وجهه علامات الرضا .. جلس « محمود » في مكانه ثانية ، فخوراً معتزاً بنفسه .. صفق له الجميع .. ازداد إعجاباً بنفسه .

(٢)

في الصالة الكبيرة المطلة على

حجرات سكن الأطباء .. يبدو « محمود » معلقاً ذراعيه على صدره حاملاً بينها أدوات الإصلاح ، ومن بينها كيس كبير يحمل فيه كمية كبيرة من « القار » الجاف . يطأطئ محمود رأسه إلى الأرض وهو يلمح الإعجاب في عيون زملائه .

يندفع محمود إلى حجرته ، يخرج .. لقد خلع ملابسه إلا من « شورت » قصير ، و « فائلة » داخلية . يتحرك بسرعة وخفة ، يندفع من هنا إلى هناك .. يحمل وعاءً كبيراً يضع فيه القار الجاف ليصهره على موقد الغاز ليسد به الثقوب .. يزداد الإعجاب بمحمود ذلك الشاب النشط .

يسرع من حركاته .. يدخل ليخرج .. يختفي في دورة المياه .. يسمع الجميع صوت خبطه .. يزداد إعجاب الجميع بمحمود .

(٣)

سكن الأطباء يشهد زيارة مفاجئة من وزير الصحة ، الوزير ومعه حشد كبير من رجال الدولة .. يظهرون في الصالة الكبيرة .. يندفع مدير

السكن مرحباً ويوجه حديثه إلى الوزير :

— ولتعلم يا سيادة الوزير أن الأطباء هنا في غاية النشاط .. إنهم يقومون بإصلاح كل شيء بأنفسهم ، إنهم لا يشيرون أي متاعب أو مشاكل ! ..

يرتفع صوت الخط المنبعث من الحجرة المجاورة .. يقترب الجمع من مكان الصوت .. محمود معلق على سلم خشبي ، يحاول إصلاح السيفون .. العرق يتصبب من وجهه ، تحولت يده إلى لون أسود فاحم من الصدا الذي يعلو السيفون .. يحس محمود بوقع الأقدام والهمهمات من حوله ، فيلتفت خلفه ، يزداد إعجاباً بنفسه ، ينظر أمامه مرة أخرى كأنه لم ير شيئاً .

(٤)

الجمع يتحرك لتفقد بقية السكن ، دخان أسود كثيف يظهر من باب المطبخ .. الكل يتوقف رائحة خائفة .. يتلثم المدير في كلامه كأنما أذهلته المفاجأة وأفزع الموقف ، وكأنه يسأل : ما هذا ؟ ! ..

يزداد الدخان كثافة .. يكاد

يملاً المكان ويحجب الرؤية . يندفع العمال ناحية الدخان .. يخرجون مرة أخرى وهم يتدافعون صارخين : مطافئ .. المطافئ .. عربة المطافئ .

يتسابق الجميع للخروج من المكان .. يدفع بعضهم بعضاً .. وقد شاع الهرج والمرج في المكان .

(٥)

تخمد النيران .. محمود يقف مذعوراً أمام المدير في حجرة التحقيق الكبيرة .. يدها ملطختان بالقار ، والشورت القصير يعلوه الصدا ، وشعره قد تحول إلى لون بني ، مما أصابه من النيران . ويندفع المدير مزجراً :

— ماذا فعلت أيها المجنون ؟ !

— لا تلومني يا سيدي .. فقد وضعت القار على النار لكي ينصهر ، ولكن يبدو أنني نسيت فاتسكب على الموقد فأمسكت به النيران .. فأجهز على كل ما في المطبخ .

— لقد أجهزت عليّ أنا أيها الأحمق ! .. لقد فصلوني من عملي من اليوم .. وأنا ..

— وأنا ..

— اذهب لتغير ملابسك ، لأنك متهم بإتلاف المبنى ، ومحاولة إثارة الفوضى بإحراق المبنى !!

لمحرم من الفضل

والحرث، والتسميد من الآن .. كل يدفع ما يملك .. علينا الانتظار .. الانتظار فقط .. بعد فترة سيصبح لنا حقل منتج .. سننعم بثمار ومحاصيل .

- إلى متى .. إلى متى ..!! عادت الأصوات بجدة أكثر وتداخلت مع صوت سالم :

- إلى متى .. إلى متى .. لا بد من الانتظار .. إلى متى .. إلى متى ..!!؟؟ .. إجابة سالم ذوت، احتواها التساؤل الحاد العالي .

الخيمة الكبيرة التي علت الحقل، تمزقت أطرافها، بيد أن أحداً لم يَرَ قرأ ولا نجوماً .. السماء كانت عتمة .. عواصف

لنثق «بالأمل» لوتعلقنا بأهدابه لتحقيق لنا كل ما نريد ولأصبح هذا الحقل كما نبتغي له .. خضرة .. وإنتاجاً .. ومحاصيل .

أصوات علت وقاطعت : لكن كيف .. كيف ..!!؟

عارف استمر في الحديث : كما ننمي هذا الحقل، ينبغي أن ننمي الأمل في ساحة النفس أولاً .

- هراء .. هراء .. هراء .. أصوات قاطعت وعلت صوت عارف خفت وتلاشى .

رابع، ويدعى - سالم - قال : أنا أرى أن نبداً جميعاً في جمع قيمة ما يحتاجه الحقل من تكاليف : الري

أحدهم ، ويدعى - صالح - قال : لن يطيب لنا حديث ما دمنا نفتقد القمر والنجوم .. نحتاج أن يكون هذا الحقل يفرق في ضياء ووضوح حتى تبين بعضنا ونرى ملامح كل فرد وهو يتحدث .. رؤية الملامح والسحنات مهمة لمعرفة نوايا النفس .

آخر، ويدعى - كامل - قال : ذلك شيء طبيعي غير أنني أرى أن نبداً الحديث الذي يتصل بإصلاح هذا الحقل - أعني زراعته - والإفادة منه .. وأنا أرى أننا نحتاج في أول الأمر إلى «المال» من أجل آلات الري والحرث والتسميد .. وغيرها .

ثالث، ويدعى - عارف - قاطع قائلاً :

الشمس تقطر صفرة على أهداب الأصيل .. الحقل المترامي الأطراف ينسفح على ساحته سكون .. بقايا عتمة تنسج على البعد .. رجال متعددون، يروحون، ويحيثون، يجتمعون ويفترقون .. آثار خطواتهم تتبعثر على أرضية الحقل .. أخيراً يجتمعون في جلسة واحدة على زاوية من الحقل .. صمت نما بينهم قبل أن تتحرك الأفواه بالحديث .. نما الصمت أكثر، صار خيمة كبيرة علت الحقل .. كلهم تطلعو إلى الأعلى .. افتقدوا النجوم التي بدت قناديلها تضاء في خفوت، والقمر الذي اشتعلت أطرافه بسوائل فضية مرئية .

مزججة كانت تعوي على
أطراف الحقل تعصف
بهوئه وبالمحدثين .

رجل خامس ويدعى
- كارم - تحدث : لو أردتم
رأسي لقلت : إننا يجب أن
نقسّم هذا الحقل وكلّ
ياخذ ما يخصه ، ويتصرف
فيه كيف يشاء .. !

- مستحيل .. مستحيل ..
مستحيل .. قاطعته أصوات
عالية فصمت .

نما الصمت من جديد
في أجواء الحقل المعتمة ..
بدا السكون جاثماً بوضوح
إلا من تحركات الرجال
المتحدثين وحركات
أيديهم .

سالم عاد إلى القول :
ما الذي يجب القمر
والنجوم ياترى .. هل هي
سحب غير مرئية .. ؟! أم
أن أنظارنا من القصور
بحيث لا تطال الرؤية إلى
أعماق الفضاء .

صمت وسكون ..
والجدال خفت حدته .
مضت ساعات الليل

تلهث على ساحة الزمن ..
نبحت كلاب متعددة ..
نهقت حير متفرقة .. زنت
صراير قريبة بإلحاح ولمدة
ليست بالقصيرة .

عارف عاد إلى القول :
إن كان هناك من رأي فهو
تأجيل الحديث في أمر الحقل
إلى الغد ، حتى نهداً
ونرتاح .

هبت نسائم طرية ،
امتصت جزءاً من حرارة الجو
المشحون ، برقت عيون
بغث في العتمة ، وكشفت
عن ابتسامات صفراء
باردة .

النسائم الطرية حملت
إلى أجواء الحقل برودة
أكثر .. استمر الحديث
متقطعاً غير أن الجو المحيط
أصبح بارداً فضاعت في
صقيعه حرارة الكلمات .

أحد الرجال ، ويدعى
- ساعد - لم يشارك في
الحديث ، بل غطّ في نوم
عميق ، وآخر ما استمع
إليه كان نباح الكلاب
المتعددة ، ونهيق الحمير

المتفرقة ، وزنين الصراير
الدحج الذي استمر لمدة
ليست بالقصيرة .. وفي
منامه الذي لم يستمر
طويلاً ، رأى حلماً جيلاً :

رأى القمر مشعاً يصب
شلالات الفضة على الحقل ،
فتتحول الشلالات إلى مياه
فضية ناعمة رائقة تشكل
نهرأً فضياً يشق الحقل وعلى
حوافه نمت أزهار ذهبية
ووردية لها روائح آسرة ..

اقترب من النهر الفضي ،
ورشف قطرات منه أحسن
لها طعماً حلواً ، ابتهج كثيراً
وهو يرى النهر الفضي يمتد
ليلتف حول الحقل ..

أما الأشجار الكبيرة فقد
كانت تمتص المياه لتصعد
عصارة تلون الثمار بالنضج
والحيوية .. رأى طيوراً
ملونة .. زرقاء ..

وخضراء .. وصفراء تحوم
حول حواف النهر .. تقع
على حوافه لتشرب ثم تطير
جذلى تزقزق في فرح ،
وتلون أفق الحقل بألوان
جيلة .. وتشكلت غيوم

أرجوانية وبنفسجية فوق
أفق الحقل ..

لم يسمع هديرأً للنهر
الفضي لكنه أحسن انسياً
وصفاءً . نظر في مياهه
فراها صافية تعكس ملامح
وجهه .. ابتسم فرأى
قناديل خضراء ، وشموعاً
ذهبية تنغرس على حواف
النهر الفضي .. تجول بين
أرجاء الحقل .. طاف بين
الأشجار .. استشعر
العذوبة في الهواء .. قطف
الثمار فتذوق الحلى
والمتعة .. رأى النجوم
تومض بدفء يهبط على
الحقل بإشعاع غريب يساعد
على نمو الأشجار ويزيد في
منسوب كمية النهر
الفضي .

لكنه فجأة فتح
عينيه .. فرأى جدلاً لم
ينته .. وسمع نباح كلاب
متعددة ، ونهيق حمير
متفرقة وزنين صراير لم
يتوقف .. ورأى حقلاً
مجدباً تترامى العتمة في
أرجائه .. !!



الدخول في تفاصيل حلم لا ينتهي

أفيق بليل .. وهل
لي صباح ..
الليل والصبح سواء ..
خوفي وأمانني .. الضحك
والبكاء سواء !
أفتح عيني للنور ..
أحتوي أشعة الشمس
الصفراء .. ببسمة
باهتة .. بمسحة حزن
تغلف وجهي .. ذلك
الوجه الذي بدا بالحزن
والاكتئاب عريباً ! بعينين
مكدودتين عرفت نور
الصباح .. بانتفاضة الخوف
الذي يشتمل في داخلي ..
يلتهم مشاعري ...
أرفع كفي ، الأمس
شعاع الشمس ، ألم
شعري .. أغرس فيه
أصابعي ، لا زال التوتر
يسكن عروقي لا زلت
بخوفي أرتعش .. ولا زال
يشاطرنني الدفء في
فراشي .. يسامرني في
ليلي . في قلبي يسكن
إحساس غريب .. وبين
أصابعي تشتعل أنفاس
ملتجة أتوهمها ، وأنسى أنها
أنفاسي المغمومة !!
أبحث عن مطر
يغسلني .. ينتشلني من
وحدتي وحزني ...

أنشب أظافري في
شعري .. في وجهي ..
وقد بدت في تفاصيله بقايا
ابتسامة باهتة .. احتفظت
بها لاستقبال صباح جديد .
الدخول :
دخلت مدينتك ..
تجولت في شوارعها ..
دلفت في أزقتها ومقاهيها ،
تعبت .. تغريت . تشردت
على أرصفتها .. بحثت في
أوديتك عن ماء أو هواء ؟
وجدت رياح خاسينية ..
وتراب يملأ فمي وعيني !
لا ظل .. لا شجر ..
لا مطر .. انتظرت
السحاب .. انتظرت الطل
والبلل .. كي يغسلني
ويغسل مدينتك المظموسة
بالتراب .. وقفت في وجه
الريح وحدي كشجرة
جرداء سائفة . أبحث عن
ليل ودفء ، أتلفت يمينا
ويساراً أعود ببصري
وأحاسيسي للتراب من
جديد .. ليس في أرض
مدينتك القاحلة سوى
أوراق صفراء وأغصان
جافة !
دخلت مدينتك .. وإذا
بي كأنني أدخل بيروت ..

من ضفتها .. حريق في
الأرض .. وغريان ..
ودخان في السماء .
بحثت عن صوتك ...
- كيف أصدقك ..
كيف أثق بجروفيك
ومشاعرك .. فا ..
(أنا)
- أنت على حق ..
لكنني صادق هذه المرة لن
يطول غيابي أنت لي وأنا
لك صدقيني !
- بودي لو أصدقك ،
لكنني أخشي أن يكون
غيابك أدياً ..
- بل سيكون لقائي
بك غداً قريباً ..
- أنا خائفة ..
- لا داعي للخوف ..
ثقي بي .. عام فقط ..
أعود بعده ليضمنا بيت
واحد .



الحلم :
أفيق من هواجسي ..
أفيق من غفلتي ..
من حلم طويل لا ينتهي !!
أشعر بالعطش !
الجفاف يحيطني ..
يحتوينني ، أنشب أظافري
في جسدي .. في شعري !
مللت الانتظار .. مللت
الاحتراق كشعلة في صمت
تذوب ، كسرت مرآتي ..
مزقت صورتي .. كرهت
الغد الذي لا يأتي . صار
العام الذي انتظرت أعوماً
طويلة .
فتحت عيني لدفء
الشمس .. لصفرة
الخوف ، وفي جسدي
ارتعاشة الظمأ ، وفي
داخلي يسكن حلم
غامض .. تعبت في البحث
عن حقيقته ، وحقيقة
بعض الشعر الأبيض
الذي غزا رأسي !! أبحث
عن شمس تحيي موتاتي ..
موات الغد على أرضك
القاحلة اللياب .. فقد
تروها دموعي .. قد
يأتي غيث يغسلها
ويغسلني ..
أفيق من نومي ..

.. وفي فمي طعم
سكرة تذوب .. وفي عيني
طيف جيل يذوب .
بحث عنك .. في أعماق
مدينتك الساكنة ! بحثت
عنك في شعاع الشمس
القادم إلى كل صباح ! بحثت
عن هويتي .. عن حقيقة
الحلم الغامض الذي
يسكنني ، لكنني كنت
كبيروت التي تبحث عن أمن
وسلام ! في تفاصيل وجهي
يذوب حزن سنوات
عجاف .. حزن انتكاسة
عربية .
انتظرت مد بمرك ..
انتظرت عودتك ! حسبت
أن الزمن قد توقف عند
الساعة التي ابتعدت فيها
عني ، اللحظة التي غادرت
فيها مدينتك ...
(تك .. تك ..)
(تك ..) .

هيات .. هيات لهذه
المقارب أن تتوقف .. أن
تتكسر فلا تقوى على
الدوران .. أجوس في
يباب .. أغرق في اكتئاب
أصارع به العمر والزمن .

الليل :

الليل عاد بلحنه
الصاحب ..
لا أدري كيف مضى
النهار ، متى غابت
الشمس .. ؟ متى
تشرق ؟؟

أعود لفراشي
وحيدة .. لخوفي ،
لهواجسي .. لنبضات
قلبي الرتيبة .. (تك ..
تك .. تك ..) .

تدق الواحدة ..
والثانية .. والثالثة ..
ويدق قلبي للمرة
السبعين بعد الألف !!
جئتك يا ليلي ، وفي
ثناياي عطر قديم ، وعلى
جسدي ثوب عرس بهت
لونه !

جئتك يا خوفي
سافرة ! جئت أختال
بزيتتي .. وفي صدري حلم
قديم كحلم عروس
مهجورة .. شاب شعرها ..
ويلي ثوب زفافها .
لم أعد أهتم

بقدموك .. ولا أنتظر أن
يكون القادم أنت بالذات .
فلتكن زينتي لأي قادم
غيرك . فلا أنت غد
يرجى .. ولا أمس أقوى
على تذكر أحلامه !
افتح عيني
للشمس .. أفتحها لأشعة
حثة ! أرفع كفي أصارع
ذلك الشعاع الذي يخترق
عيني الذابلتين .. أغرس
أظافري في شعري ..
يسقط على كتفي .. يغزوه
موج أبيض .. أغوص في
دفع فراشي .. تشتعل في
صدري أنفاس محمومة ..
توهمتها وهي قادمة من
داخلي !! .. من أعماق
أعماقي ، توهمت مطراً
يغسلني .. بلل يروي
ظمأي ... يمحو الجفاف ..
كنت أغرق في
دموعي .. وفي أظافري
المدببة دم متخثر .



أغنية فوفية

وغرقت؟ هذه المرة . لم تنبس بها . شاركته صمته المثقل . دورت الحصر بحزام من سعف النخيل . أمي كانت تحزن فتقتسم معه الهم نصفين متساويين . ثم تعود كمرح طيور الشاطئ . هذه المرة شيء أكبر من كلمة الحزن أطفالاً وهج العينين . طرد البسمة من الوجه الضحوك ، وجعلها لا فرق بينها وبين قوائم الجدران . قلت : لماذا نهجر يا أمي ؟ دفعت البوص في جوف الكانون . زادت من أوار النار . أعدت السؤال مرة أخرى . عاد صوتي وحده يرتطم

لنار حرية بث الدفء في الجسد من خلال الشوب المرفوع على اليدين . دارت حول الرأس وحواف الوجه القمري (بمدورة) سوداء تماماً مثلما تذهب إلى عزاء في أطراف النجع . ثم غنت أغنية حزينة . اختلط الغناء بأنين الهشيم في قلب النار . تراكمت الوحشة في العينين الكاحلتين فانطفأ السحر . سرقت عيناى كرتين لامعتين من الدمع . رغم الوجه المندس في لفافة الحمار .

كانت أمي تقول دائماً حين تأخذه منا لحظة غضوب : أوثقتها قحاً

يجوز الغناء لها . أطل من النوافذ الحديدية بحارة نصف عراة . فانزوت النساء رغم المسافة البعيدة في خرهن . قلن : يا عيب الشوم ، أفخاذ عارية وصدور عارية . كانت الوجوه حمراء كقشرة القرة «السكوتية» . والعيون خضراء ، أحياناً زرقاء لكنها ليست وادعة طيبة كعيوننا .

تزاخت الخلق على الشاطئ ، لم يبق بالنجع سوى البهائم والماشية والعجائز . أطلقت البواخر صفيراً حاداً فوق الرؤوس . غاص في الأجواء الساكنة عند الزرع والحداثق والوديان . استدار أبي . أعطى البواخر ظهره . وضع اليدين متشابكتين . تتم بأيات يحفظها . تطلع إلى خالق السماء والأرض . اكتسى الوجه بألوان أعرفها وقت الحزن ووقت الشدة ، ثم عرجنا تجاه الديار والدروب وأبي واجم . ابيضت العينان من الحزن والوجه كظيم .

في البيت قبعت أمي خلف «الكانون» تركت

لا أحد في النجع يثق في كلام (المصاروة) القادمين من الشمال ، بأن هناك عند الشلال حيث يختنق النهر ، يقام سد من حجر الصوان ، يتحكم في مياه النهر بمقدار ، يحتجز خلفه مياه المجرى فتستدير بحيرة ، لا ترى العين حدودها ، ثم يعلو النهر ويفتح فوهة للحمي والميت ، ويغرق في جوفه كل شيء . وكقول الأسطورة المنقوشة على وجه المعبد : إن القادم من الشمال ليس له عهد ، وكقول أبي : إن من يذهب إلى المدينة تفسده البنادر .

لكن ما حدث اليوم ، كذب الأسطورة وأبي . وصدق (المصاروة) فقد رست على الشاطئ سفن هي تماماً كالبخرة السودانية (البوستة) التي نغني لها ، لأنها تجلب لنا الأحباب من القاهرة البعيد . غنينا لها كما نغني للبوستة : البوستة قالت توت .. الليلة يا سمراء .

لكن أبي والخلق قالوا : البواخر غريبة ، ولا



للحجرة الأخيرة

وحوله . توهجت العيون
كوقدة الظهيرة . دقت
طبول الحرب . غنى الرجال
أغنية الحرب القديمة .
شدوا باسم الله ثم باسم
القبيلة . فغدوا وتحامسوا .
نفضت السواعد والوجوه
رعشة عدائية غاضبة . ثم
طلب قاضي النجع الكلام .
دق الجدران بعصاه .
ووجهه نحو أبي دون
القوم . قال : ستحارب من
يابن بتول ؟ ولا أنت ولا
قبيلتك . الرجل منكم في
طول النخلة « السكوتية »
وعقله عقل الماعز . نسيم
« تعلية » الخزان الأولى . ثم
مط شفثيه . طاح الهواء
بيديه ، قال : رؤوسكم لا
النهر وأعالي الجبال . ثم
صار الكلام بلح (صيص)
لا يشع ولا يغني من جوع .
انفض المجلس . حملت
القوم يأسها وحزنها ، ثم
ملأ رجال البواخر الدروب
والديار يتجولون بحرية .
داروا حول البيت . يحصوننا
مع الدجاج والماشية عدة
مرات . سوف يكون للبنة
المحترقة ثمن . ولرؤوس
النخيل ثمن . والديار ثمن
آخر . صرخ أبي وأرسل

لقفني أبي خلفه على
صهوته كدت أسقط على
الأرض . فنهزني : اثبت
يا بن المدارس . أصبحت
ابن العرب مثل السيف .
ثم عبرنا الدروب إلى
(مندره القبائل) قالت
أمي خلفنا : الله في قلب
النخلات . وفي عمق النهر
ينصرك على من يعاديك .
حملت الريح إلينا أصداء
أغاني . انتظمت أقدام
الحمار . تراقص نصف
جسد أبي الأعلى رغماً
عنه . هناك اجتمعت
القوم . ليس هناك أدنى
خلاف بين الوجوه ووجه
أبي . رحبت رؤوس
القبائل بنا . جلست جوار
أبي . واصل القوم
الحديث ، العمام « منفوشة »
على الرؤوس كعادة أهلي
حين يغضبون . طلب أبي
الحديث . فذكر اسم الله
وفعل القوم مثله . قال في
صوت ساخن من جوفه :
يا قوم من شرب مثلي من
مياه النهر ؟ من قلبه مثل
طهر الصحارى ؟ وقبل أن
تجف الكلمة تلاصق حوله
الرجال . عيونهم لون طمي
الفيضان . انتظموا خلفه

ابتسامة غير الابتسامة .
انتزع الكلمة من صدره
قال : نعم . ثم أشار
للزرائب يطلب الحمار .
كانت الحيوانات ساهمة .
واجبة . حمارنا امتط أذنيه .
اتجه بعينه صوب السحب
الدخانية ، كلما صدر من
البواخر صراخها الحاد .
انجذبت الماشية برؤوسها
تجاه الصراخ وتكورت في
ركن الزريبة . أعددت
السرّج . تاكدت من الحزام
الدائر على منتصف
البطن . ثم اللجام .
تأكدت أن القدمين ليس
بها أية بقايا روث أو طين .
ذكرت اسم الله والمصطفى .
اقتدته إلى وسعة الدار .

بالمجران . كورت يدي
ببعض الحصى . شهرت اليد
المكورة في وجهها . فزعت
ثم استدارت تولول
وتركض : - « ولدك هاجت
في عروقه دماء القبيلة » .
وقبل أن يرميني بعينه
الناريتين . قال وجهي
سؤالا شاردأ .

سألته : صحيح ستهاجر
الخلق يا أبي ؟
دفعني على الذراع
القوي الخاني . أرسل زفيراً
ساخناً . رسم الوجه



صوته لآخر بيت في النجع :
نقودكم لا تساوي حجراً
من سقف دار ولا قطرة من
مجرى النهر .

دارنا بناها أبي حجراً
حجراً . مزج طين النهر
بهشيم القمح . اقتطع
الأحجار من رؤوس
الجبال . ثم مسح على وجه
الدار (بصلصال) أبيض .
قال لي : يا وله .. اكتب
اسم الله ، وامسح نقوش
الكفرة . وبدا اسم الله
مشرقاً .

عاد الصراخ حاداً
موجعاً . قال أبي في صوت
واهن : هيا لم يبق بالدار
سوى (برش) في نصف
ضفائره . لم يكتمل بعد .
أصبحت الدار خلفنا .
نقطة ضوء خابية من زورق
صيد بعيد دارنا كانت
رجة كقلوب الخلق . وبابنا
منفتحاً كالنهر للأحباب .

هذي الطريق مشيناها
سويًا . أعدو خلفه . علي
الحق بمؤخرة الحمار فتزلزل
يدي على ملاسة الذيل .
فأقبح أطفح بكاء . فيعود
نحوي راجلاً يقول لي : لا
تبك يا ولد ثانية . ليس في
القبيلة رجل يبكي . ثم

يركن بمارنا حيث المراكب
الشراعية في بطون الخلجان
الدافئة . يشري لي مراكب
ورقية . أعومها على مجرى
النهر .

هذا هو جامع القبيلة .
بدا مهجوراً إلا من الطير .
كثيراً ما كنت أحاول أن
أطاول هامته المديدة كساق
النخلة فأفشل . أقول متى
أكبر مثلك يا أبي .
فيضحك ضحكته الرقراقة
كماء النهر . كان الوجه
فرحاً . ولم تبيض عيناه من
الحزن .

هذه هي المدرسة .
جدران ونوافذ مظلمة
باردة . اللوحات الورقة
بمكانها .. لوحتي عليها آخر
وجه باسم من قريتي ..
قطعا ستغرق لوحتي في فاه
النهر المفتوح .. يا نهرنا



الهادي الوديع . لماذا أنت
وادع مسكين . لماذا لا
تعترك فيضة غضوب .
وتبتلع في جوفك كل
غريب . آه يا نهرنا الخؤون .

وصلنا الشاطئ قبالة
البواخر . وقرص الشمس
غارق في دماء . قذف
البحارة بالسقالات الخشبية
في وجوهنا . فصفعنا
الرذاذ المتطاير من وجه
النهر . رددت البيوت
الفارغة صدى البواخر
صراخ . تطلعننا إلى أول
عابر . لم يخطو أحد . نزت
الوجوه المأ . تذكرت قول
أبي في فسحة الدار : أنت
يا ولد نخلة صغيرة إن
نزعوها لأرض غير الأرض
نزعت دون ألم . نحن الكبار
يا ولد أشجار نخيل عجوز ،
غارت جذورها القديمة في
عمق الأرض فلا يقدر على
نزعها أحد .

ثم سمعت ديبب أقدامه
بحواري . أمال عمامته قليلاً
من الخلف ، مثلما يراوده
الغناء . انفجرت الأسارير
وتطلع إلى الأفق البعيد
وقرص الشمس المائل . ثم
غنى . قال : غني يا وله .
أمسكت ببداية (الدور)

وازدوج الصوتان معاً .
أهلي حين يحاصرهم فيضان
عائي ، أو جراد يلتهم
الزرع ، يغنون . يملأون
سماء النجع مواويل . علا
الغناء علا . حلق عند كرة
الشمس المودعة . عانق
الديار . دار في دروب
النجع علا على محركات
البواخر . لطم وجوه
البحارة . رحل إلى
الشاطئ الآخر . رحل إلى
الوديان والزرع . بكى
بشرة أبي عرقاً . وعاد
للوحة حزنه الأول .
انطفأت عيناه المتوهجتين .
قبضت يده على بعض من
رمال الشاطئ . أقفلت
عليها بشدة . رغم الصمت
السائد ، سمعت صوت
طقطقة عنيفة لساق نخلة
عجوز . تلون وجه أمي
بألوان شتى . مللمت الجسد
والرمل . الله القادر صاحب
الوديعة استرد وديعته .
تصرخ أمي والديار تردد
الصراخ صدى . البكاء
دمعات ساخنات مكثفة ألم
وحزن وأشياء أخرى لا
أفهمها . وقرص الشمس
الدامي يهبط هناك عند
الجبال الرمادية ولا يعود .



التيسير في المداواة والتدبير

تأليف: أبي مروان عبد الملك بن زهر
عرض وتقديم: د. محمود أحمد دواة

أواسط القرن السادس الهجري . وذكر المؤرخون ومنهم جورج سارتون في كتابه [المدخل إلى تاريخ العلوم] أن ابن زهر ألف كتابه هذا بناءً على طلب صديقه ورفيقه الفيلسوف القاضي ابن رشد لجعله تفضيلاً لكتاب الكليات في الطب وهو الكتاب الذي ألفه ابن رشد . ويجمع مؤرخو الطب العربي أن كتاب التيسير يعد في مرتبة أعظم الكتب العربية التي عرفت في تاريخ الطب ولقد أحدث تطوراً عميقاً في تطور الطب من حيث الأثر خلال القرون الوسطى التي كان فيها الطب الأوروبي ما يزال عاجزاً عن التحليق بجناحيه . ويتألف كتاب التيسير من مجلدين اثنين ومن ملحق بها سماه ابن زهر الجامع .

المحتوى

● المجلد الأول من كتاب التيسير :

بدأه ابن زهر بمقدمة وجيزة ذكر فيها أنه أجبر على إلحاق كتابه بالجامع نزولاً عند رغبة أحد الأمراء وهو الأمير المرابطي صاحب إشبيلية ، فقد أراد هذا الأمير أن يكون لديه كتاب يشمل على صيغ الأدوية المركبة التي استعملها ابن زهر في العلاج . قدم ابن زهر في بداية هذا المجلد بعض التوجيهات الصحية العامة نذكر منها :

- إن تليين الطبيعة عن طريق التمر الهندي والراوند وقشر الأترج معين على دوام الصحة .
- إن من شرب نصف درهم من الترياق بجرعات من ماء فاتر كل عاشر من الأيام في

المرابطين وسطوا سلطانهم على المغرب والأندلس ، ولقد ذاع صيته في فرنسا وإيطاليا وترجم كتابه إلى العبرية واللاتينية ودُرس في جامعات أوروبا حتى نهاية القرن السابع عشر للميلاد .

ولقد قيل إن أبا مروان كان أعظم أطباء عصره وعده ابن رشد أعظم طبيب بعد جالينوس ، وأوجز سارتون كل ما قيل في ابن زهر فقال : « إنه كان أعظم طبيب في العالمين الإسلامي والمسيحي » . ولقد حقق أبو مروان هذا التفوق في الطب لثلاثة هي : انقطاعه إلى الطب دون غيره من العلوم ، وتجرده من قيود التقليد التي تمسك بها سواه من أطباء عصره ، واعتماده على الدقة السريرية في تشخيص الأمراض ومداواتها .

مؤلفاته

كتاب التيسير في المداواة والتدبير ، كتاب الأغذية ، كتاب الزينة ، تذكرة في أمر السدواء السهل ، مقال في علل الكلى ، رسالة في عللي البرص والبهق ، تذكرة الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد .

أما كتاب التيسير في المداواة

والتدبير ، فيجمع المؤرخون على أن هذا الكتاب أفضل وأشهر كتاب ألفه ابن زهر وتحدثوا حذو المؤرخين الموسوعات العربية والأجنبية والمعجمات الطبية الكبرى التي تثبت أسماء أعلام الطب . ولقد ألف ابن زهر كتابه هذا بعد أن نضج علمه واكتملت اختباراته وتعددت مشاهداته مما يحمل على الظن بأنه أنجز كتابه في

إن التراث العربي والعلمي منه بخاصة ، لجدير بالعناية والرعاية والسعي الخثيث لكشفه وتحقيقه ونشره تأكيداً لمكانته في تاريخ الثقافة البشرية وأظهاراً للعمل الريادي الذي نهضت به أمتنا العربية في ميدان الفكر والعلم وصلأ لحاضر هذه الأمة بماض زاهر مشرق وإثارة لعزائم أبنائها كي يجعلوا من زمانها المقبل امتداداً سليماً معافى لما سلف من أيامها الزاهيات . إن أمتنا العربية قد أعطت العالم في العصور السالفة الشيء الكثير وحملت المشعل الوضاء ردياً طويلاً من الزمن ولقد ترك لنا الأطباء العرب النابغون مؤلفات كانت منائر علمية ومراجع نفسية في الطب قروناً عديدة في الشرق والغرب مثل كتاب « الحاوي » للرازي وكتاب « القانون » لابن سينا وكتاب « كامل الصناعة في الطب » لعلي بن عباس وكتاب « التذكير » لعلي بن عيسى وكتاب « زاد المسافر وقوت الحاضر » لابن الجزار وكتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف » لابن القاسم الزهراوي .

المؤلف

إن الطبيب العربي الأندلسي أبا مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر بن الإيادي المولود في إشبيلية سنة ٤٨٤ هـ ، والمتوفى فيها سنة ٥٥٧ هـ ، ولقد خلف أباه في خدمة ملوك المرابطين ثم أصبح وزيراً مقرباً من الخليفة أبي محمد عبد المؤمن ابن علي أول الخلفاء الموحيدين الذين تغلبوا على

زمن الشتاء يسلم بإذن الله من حدوث الحميات الصفوية ومن الصرع والقولنج ، وتدوم صحة أعضائه بعون الله وزعموا أنه يوقف الشيب . وأما من لزِم ذلك ولو عاماً واحداً فإنه لا يضره سم نهشه حيوان سمي ولا يؤثر فيه سم ولا دواء قتال ويساعد على الإنجاب لمن لا نسل له .

● إن الترياق ينفع من قرحة الرئة ويحذر من اجتاع الترياق مع الغذاء في بدن الإنسان .

● إن الحركة المعتدلة بالتصرف والركوب معين على حفظ الصحة . وكذلك فإن الحمام القائم على خلو المعدة من الطعام يحافظ على دوام الصحة وكذلك الاستحمام بالماء العذب المعتدل الحرارة ، ولا يفضل صب الماء المعتدل أو البارد على الرأس .

● إن أصول الجوز إذا استاك المستاك بها كل خامس من الأيام نقر الرأس وصفت الحواس ومنع الدهن .

● إن استعمال الخبز المعتدل الاختار الجيد الطبخ الذي قد عُجن وطُبخ في ذلك اليوم إذا ذهب جسر النار عنه يعيش على دوام الصحة لأنه إذا أكل حاراً غمرت سخونته النارية حرارة المعدة فيعسر انهضامه جداً .

● إن أكل اللحوم في يوم ذبح الحيوان جيد ونافع .

● إن الزمرد يقوي المعدة ويشفي من الصرع وإمساك الزمرد في الفم يقوي الأسنان والمعدة والنظر إلى أعين حمر الوحش يديم صحة النظر أو البصر .

● إن أكل رؤوس الأرناب ينفع من الارتعاش وتنع من الخدر والفالج ومن الاكتحال بالذهب الزبريز يقوي البصر وإن تضميد العينين بزهر الورد أمان من الرمذ .

● إن الانغماس في الزيت الفاتر يبرئ بإذن الله من أوجاع البدن كلها وإن دهن العمود الفقري بدهن اللوز يمنع التقوس والإنحناء . وبعد ذلك تحدث ابن زهر عن عدد لا بأس به من الأمراض واضعاً الأعراض

من الدماغ - الأعراض والأمراض التابعة لاختلال مزاج الدماغ - نخسة العصبية - الصدع مركب يصلح لذلك - الصرع الذي يكون بمشاركة الأعضاء للدماغ - أنواع الصرع الثلاثة - العلة المراقية - السدد السكتة - مركب يصلح لذلك - علة الجمود - علة السبات - مركب لذلك يرجى نفعه - الشرسام الحار - الشرسام البارد - الجنون - الرطوبة التي تحدث في البطن المقدم حول الدماغ - الصدر - مركب لتنقية المعدة من الخلط الصفراوي - داء البيضة - الشقيقة - مركب لذلك - أمراض الرقبة - السدد والرض والفسح والخلع والتشنج والرعشة وانتقاض الاتصال - الرعشة - شراب مركب لذلك - ما يحدث في الرقبة من الأمراض - اغزال فقار الرقبة ذات العين وذات الشمال - أمراض النخاع - التورم الذي يحدث في النخاع - السدة التي تحدث في النخاع - مركب يصلح لذلك - الأورام التي تحدث في الرقبة - ما يعرض في الرقبة من تفرق الاتصال - انتفاخ اللهاة - الذبحة - أورام قصبة الرئة - أمراض المري - ما يحدث في قصبة الرئة من الأمراض - قروح المري - ما يحدث في العضل الذي في المري من الخدر والاسترخاء - أمراض الرئة - البورم الذي يحدث في الرئة - مركب لذلك - حب مركب لذلك - السعال الذي يحدث من سوء المزاج - أمراض القلب - العلاج من ذلك - مركب لذلك - الخفقان يحدث في القلب من أسباب بادية وأسباب متفرقة - الرطوبة التي تعرض في غشاء القلب - الكبد وأمراضها - مركب لذلك - الطحال وأمراضه - مركب لجلسا الطحال - ضداد لجلسا الطحال - اليرقان الأصفر - ما يعرض في مرقا البطن من الفتوق - جراحات البطن وأمراض المعدة - أورام المعدة - الثآليل التي تحدث في المعدة - مركب لذلك - الفواق - أمراض الصدر - الجراحات والحروق تعرض في الصدر - الشوصة - ذات الجنب - الكسر في الصدر - مركب لذلك .

والأسباب معروفاً بالمرض مبيناً وسائل العلاج والشفاء وكافة ما يلزم مما يساعد على الشفاء وهذه الأمراض هي : داء القرع - داء الثعلب - داء الصلح - السعفة - تغير الشعر - اعوجاج الشعر - داء الأبرية - القمل - والصوآب - الجراحات بالحديد - الجراحات بالحجارة - أوجاع الرأس - أورام الغشاء الغليظ - التورم في الغشاء الرقيق - أورام الدماغ - أمراض الأذنين - أمراض الأنف - ورم الأنف الداء المعروف بالكثير الأرجل - أمراض الفم - غلظ اللسان الخارج عن الطبيعة - أورام اللسان - أورام اللهاة - بثرات الفم - علة اهتزاز الأسنان - أمراض الشفاء - القلاع - تشقق اللسان - اللقوة - أمراض العينين - أمراض ظاهر الجفن - أمراض باطن الجفن - الأشعار الزائدة - انتشار الأشفار - الشعيرة - أمراض مآق العين - عظم اللحمية التي في مآق العين - نقصان اللحمية في مآق العين - الأمراض التي تحدث في العين نفسها - تركيب العين - البثر والقروح - اعوجاج الحدقة مع القرحة - شياف ينفع من ذلك - اتساع الحدقة وضيقها - شياف يصلح لذلك - كحل يصلح للمستكئين والكهول والمشايخ - الانتشار - القلح ، الضيق الذي يكون في الحدقة طبعاً - شياف يصلح لذلك - ضعف البصر بسبب كمية الروح الباصر - ضيق العصبية المخوفة - أمراض رطوبات العين - أمراض الملتحم - انتفاخ الملتحم من غير ورم - البثرة في الملتحم - السَّيْل - الامتلاء الذي يحدث في الملتحم وليس تورماً - لطافة الروح الباصر وغلظه ، ما يقع في العين وغيرها من الأعضاء . ما يحدث من الأذن نفسها من الاستنقع - سوء مزاج الجزء المقدم من الدماغ . سوء المزاج الرطب الذي يحدث في الجزء المقدم من الدماغ - أمراض الجزء الوسط

المجلد الثاني من كتاب التيسير:

تحدث ابن زهر في هذا المجلد عن مجموعة من الأمراض الأخرى وقد تناول فيها الوصف والأعراض ووسائل الشفاء وقد اتبع في ذلك النهج نفسه الذي اختطه في المجلد الأول وهذه الأعراض هي: الكلام في البطن الأسفل - مركب لذلك - ذكر ما يعرض في الأمعاء بسبب رياح تحتضن فيها - أنواع احتباس الثفل - الشجج يعرض في الأمعاء - الحصة المتولدة في المثانة والكل - مركب لذلك - مركب لذلك - مركب لذلك - حصى المثانة - مركب لذلك - ما يحدث في الكلى من أمراض سوء المزاج - انتفاض اتصال الكلى - ضعف المثانة وخروج البول منها بغير إرادة - علل الأثنيين - أورام الأثنيين - سوء مزاج الأثنيين - ما يعرض في الأثنيين من سوء المزاج اليابس - استرخاء الأثنيين - ما يعرض في الخريطة - ما يعرض في القضيب - الأرحام وعللها - مركب لذلك - امتناع الطمث - ما يعرض في الفروج - الفطام - مركب لذلك - ما يحدث في جسم الإنسان عموماً من الأمراض - مركب لذلك - مركب للتفجير - الدماميل - مركب لذلك - الحكة - الجسدري والخصبة - الحصبة - البرص - البهق - مركب لذلك - البهق الأسود - الحيلان - نسخته - السلع - الثآليل - مركب لذلك - خشونة الأجسام وحروشتها - علة تقشر الجلد - الجذام - مركب لذلك - ويحدث بالإنسان ألا يحرك بعض أعضائه - مركب لذلك - مركب لذلك - التشنج - الاختلاج - الرعدة - الرعشة - الصواب - العرق البدني - داء البقر - الصفار - حب القرع - ديدان الأذن - الذوالي - مركب لذلك - داء الفيل - السرطان - الدوالي - أوجاع المفاصل - أوجاع العضل - الإعياء - النقرس - التشقق - عرق النسا - مركب لذلك - أوجاع الخاصرتين «أوجاع الشراسيف» - مركب لذلك - التفلات - وصفه ما ذكرت محاولته في أول الحال - مركب لذلك - السدواحسن -

الحمايات - مركب لذلك - وصفه حمى سونوخس - في الأمراض البوائية وما يعرض من الحميات فيها - الحكة المفرطة والحرب والقروح والدماميل - مركب مسهل لمن أصابه شيء من ذلك - مركب لذلك - شراب ينفع الأصحاء ويبقي عليهم صحتهم - شراب يشرب مع الماء ينفع بإذن الله من السدد - وصفه معجون يؤخذ على الطعام ويعين على الهضم - معجون عسالج الكرم اللينة - شراب ينفع من ضعف البصر - شراب ينفع من حدوث العقد في العنق - وصفه معجون يؤخذ منه إثر الطعام - شراب ينفع من البجح - وصفه لعوق ينفع من ذلك - شراب ينفع من السعال - حب ينفع من ذلك - شراب ينفع من اللقوة والفالج واسترخاء الأعضاء - وصفه معجون يؤخذ إثر الأكل - شراب ينفع من التشنج الذي يكون من يس واستفراغ - وصفه معجون ينفع منه - شراب ينفع من التشنج الذي يكون عن امتلاء - وصفه معجون يؤخذ إثر الأكل على طريق التفكه - شراب ينفع من ضعف المعدة ومن ضعف شهوة الطعام - معجون ينفع بإذن الله من ذلك - شراب ينفع بإذن الله من ضعف الكبد وصفرة اللون - وصفه معجون نافع من ذلك - شراب ينفع من غلظ الطحال ويذهب ذلك ويبرئه - وصفه معجون ينفع بذلك بحول الله - شراب ينفع من السدد وأوجاع الشراسيف - وصفه معجون يصلح لذلك عن طريق التفكه - شراب ينفع من ضعف القلب وخفقانه - وصفه معجون ينفع من ذلك - شراب ينفع من نفث الدم من الرئة والصدر - معجون لذلك على طريق التفكه - مركب لذلك - شراب ينفع من الشوص وذات الرئة - حب يجب أن يمكس النهار والليل في الفم - حب ينفع في تلك الحالة - شراب ينفع من الإسهال وزلق الحصى - وصفه معجون ينفع من ذلك - شراب ينفع من إمساك البطن - شراب ينفع من أسر البول - وصفه معجون ينفع من ذلك - شراب ينفع من ذرب البول - وصفه معجون ينفع من ذلك - شراب ينفع من إفراط

انبعاث الدم من أرواح البواسير - وصفه معجون ينفع من ذلك - شراب ينفع من أوجاع مفاصل الركب - وصفه معجون ينفع من ذلك - شراب ينفع من الأوجاع التي تكون في الشراسيف - شراب ينفع من ذلك - معجون يصلح لذلك - شراب ينفع من الحمى الصفراوية - شراب ينفع من الحمى المسماة سونوخوس - شراب ينفع من الحمى البلغمية - وصفه معجون ينفع من ذلك يؤخذ عن طريق التفكه - شراب ينفع من الحمى السوداوية - معجون ينفع من ذلك على طريق التفكه - علاج النقرس - شراب نافع من وجع عرق النسا - نسخة الترياق الفاروق - وصفه أقرص الذرخورون - وصفه عمل أقرص الاشقىل - وصفه عمل أقرص الاشقىل - وصفه عمل أقرص الأفاعي - وصفه المتدرىطوس - وصفه عمل معجون نوفيون - ترياق إذا شربه الإنسان وقد سقي السم - وصفه عملية - ترياق الأربع - ترياق الثوم - وصفه المرهم النخلي - فهرس المصطلحات - المصطلحات الطبية - الأدوية والأغذية المفردة - الأدوية والأغذية المركبة .

إن من يستعرض الموضوعات التي عالجها المؤلف في كتاب التيسير يلاحظ أن الكتاب جلي الترتيب - واضح التنسيق - دقيق العرض - ولا شك في أن تأليف ابن زهر مثل هذا الكتاب في تلك الآونة كان عملاً أصيلاً ، دعاه إلى إنجاز ابن رشد - ومطلع هذا الكتاب اليوم يعجب باستقلال مؤلفه بآرائه وبجراته على نقد الخاطئ من آراء المتقدمين السابقين لا كما كان يفعل متطبيون آخرون خاضعون لكل قول مأثور مهما يكن الخطأ فيه واضحاً .

ولقد ألحق بالكتاب فهرساً للأعلام وآخر للموضوعات وانتهى الكتاب مع نهاية صفحة ٥٥٧ .

الهوامش

(★) الكتاب تحقيق د. ميشيل الخوري - تقديم د. محيي الدين صابر - ط١٩٨٣ م ، دمشق - الناشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

قريّة النمل

شعر: حسن عبد الرازق منصور

خرج النمل في نشاط يحول
حوّله الأرض قد ترامى مداها
فتراه يسير صفّاً طويلاً
في رحاب البيداء يمشي مُجِداً
مُستهام مُتأبّر لا يُبالي
قطع الأرض كلّها والفيافي
عامِلٌ في مناكب الأرض ساع
حيوانٌ ضئيلٌ جسم ولكن
يذرع الأرض طاعياً في خطاه
ما تزال الرحاب فيها اتساع
يتمنى وفي الأمانى سحر
تعجز الأسد والوحوش جميعاً
وله بالثرى أواصر قُرى
كلّ جنس يُريد ملك ثراها
بعضه أبيض جميل ولكن
وكذا أسود وأحمر يسعى
يعرف الجد والنشاط ولكن
نهم ما درى القناعة يوماً
أمّ النمل كلّها قد تداعت
كلّ حزب مسلّح مستعِدّ
يطلب النصر كلّ لا يُبالي
طاوّل النجم همّة وخيالاً
عاش فوق الثرى ويكبر عنه
يا له من جانٍ جنى كلّ شرّ
لم يجد غير جنسه من عدو
قاتل، بل مُدَمَّر كلّ خيل
كلما غالت الوغى منه جيلاً
قصةً تنتهي لتبدأ دوماً
ضجّت الأرض من لظى الحقد حتى
واستعادت منه الخلائق جمعاً
قرية النمل أصبحت دار ظم
أبصرتها النجوم قرية شرّ
فرمتها بالريح تهدر ناراً
عاجلتها الرياح دكاً وحرقةً
جعلت كلّ النمل فيها هباءً
وأفاضت مُزَن السَّاء مياهاً
ربما أصبح التراب طهوراً
يتغذى بالظُّهر جسماً وروحاً

حوّله البيد والرُسى والحقول
وله في أكنافها تامل
نسّق فيه دقة وشمول
ومن الجدّ صاحبٌ ودليل
إن تنهى أو استمرّ السَّيل
وتساوت حزنوها والسُّهول
أكل من خيراتها ما يتول
ليس من طبعه الصنيع الضَّئيل
أين منه جبابر وفحول
في رُياها للنمل خيرٌ جزيل
يدفع النمل، فهو ماضٍ عجول
وهو يمشي وما اعتراه الخمول
فعلى فكره تغوصُ الوحول
ليكون الوحيد فيها بصول
في حنايا النفوس شرٌّ وبيل
بنفوس فيها ضميرٌ هزيل
في سواها فذاك فقط جهول
أو تنهت أطماعه أو تحول
إذا دعته أهواؤها والعقول
هاتفٌ بالدمار وهو الكفيل
في سبيل الوصول كيف الوصول
وهو في الأرض جائم لا يطول
وهو يوماً إلى الثرى سيول
وعلى رأسه الشرور تدول
وله - لو درى - خصومٌ تغول
وهو في الحق - لو علمت - القتل
يغتدي للحروب جيلٌ وجيل
ما توالى للنمل طبعٌ مثيل
لتكاد الجبال منها تزول
فهو داءٌ يشقى به المَقول
كلٌّ من فيها ظالمٌ أو ذليل
مرقتها عداوةٌ وذحول
وأعاصيرٌ ليلها موصول
غاذرتُها وهي الكئيب المهيل
وجزته القناء، وهو قليل
طاهرات على ثراها تسيل
مُنبتاً، والنبت فيه جميل
ثم ينمو وهو النقي السليل





في علوم الأرض



جبهة باردة:

الخط الفاصل بين كتلتين من الهواء إحداهما دافئة والأخرى باردة متجهة نحو الدافئة ومندفعة تحتها ، يقتصر إطلاق المصطلح أحياناً على خط على سطح الأرض تلتقي عنده كتلة زاحفة من الهواء البارد بكتلة من الهواء الدافئ . ويستدل عادة على عبور جبهة باردة بارتفاع الضغط الجوي وانخفاض درجة الحرارة وتغير اتجاه الرياح .



حمة:

وهي الفجوة: ينبوع شديد الحرارة يفور بين حين وآخر قادفاً ماء ساخناً وبخاراً وأحياناً وحلاً . حمة اولد فيثفول هي أشهر حمة في الولايات المتحدة الأمريكية . وفي البلاد العربية (الحمة) الفلسطينية في غور الأردن جنوب بحيرة طبريا . (وحمة أبو دابلة) في غور الأردن أيضاً .



خور:

عمر ضيق ذو جوانب صخرية شديدة الانحدار ، وهو كذلك أضيق جزء في ممر ما ، ويسمى أيضاً الخائق أو الأخدود أو الأفجيج . ويشق النهر أو الجدول عادة الخور الذي يجري فيه .



دويرة:

تل أو خَيْد طويل يبضي الشكل تكون من طرح المثالج واتخذ شكله من فعل غطاء جليدي سالف ، وتوجد الدويرات عادة في مجموعات .



أكمة:

تل كبير عزل بفعل التحات وله جوانب شديدة الانحدار وقمة صغيرة مسطحة مزواة أو مستديرة ، وهي كذلك ربوة قل حجمها بفعل التحات . وقد يبلغ ارتفاع الأكمة عدة مئات من الأقدام فوق قاع الوادي .



برزخ:

شريط ضيق من اليابسة يصل بين مساحتين كبيرتين من الأرض أو بين مساحة كبيرة من الأرض وشبه جزيرة . اميركا الشمالية واميركا الجنوبية موصولتان ببرزخ بنما .



ترابط:

تعيين العمر الجيولوجي المكافئ أو المناظر لطبقتين متباعدتين أصلهما من تكوين واحد أو من تكوينات مختلفة ذوات عمر واحد أو من تكوينات مختلفة ذوات عمر واحد ، وهو كذلك استعمال الحفريات أو الأدلة المادية لتقرير تتابع أعمار الصخور أو الأحداث .



ثلج:

نوع من الترسيب تكون فيه قطرات الماء متجمدة في صورة بلورات جليدية ذوات أشكال سداسية الجوانب متنوعة ، وقد يسقط الثلج على شكل بلورات منفصلة أو بلورات متضامة .

قارة فوق سطح البحر أو تحته مباشرة . وقد تجنح القوارب الصغيرة أحياناً فوق شعب حاجز .

ص

صخر الأدمة :

أو (صخر القاعدة) هو الصخر الأصم الذي يقع تحت طبقة من التربة أو الرمل أو الطين أو كسر الصخور ، وكذلك الصخر الأصم الظاهر على سطح الأرض . يحاول المهندس الإنشائي أن يضع المباني الضخمة على صخر الأدمة .

ض

ضلع :

حيد طويل غير منتظم مكون من رمل وحصى شبه طباقى ناتج عن المجاري المائية التي تسيل في المثلج أو تحتها . لا يوجد الضلع إلا في الأماكن التي غطتها المثلج القارية في وقت ما .

ط

طرح :

تجمع كومة من المواد مثل الجلاميد والحصباء والرمل والطين انتقلت بفعل المثلج وحطها ذوب الجليد ، وهو كذلك كومة من الثلج أو الرمل أحدثتها الرياح أو الماء ، وهو أيضاً تحرك الأجسام الطافية بفعل التيارات في سطح الماء

ظ

ظهر رملي :

حيد أو جسر من الرمل عند سطح الماء أو بالقرب منه ، ويتكون بفعل تيارات الأنهار أو بفعل الأمواج على الشاطئ... كثيراً ما يتكون الظهر الرملي حيث تقل سرعة التيار ، فيفقد قدرته على حمل ما فيه من الرمال .

ع

علوم الأرض :

دراسة الأرض وموادها والقوى المؤثرة فيها وعلاقتها بالأجسام الأخرى

والدويرات تل على اتجاه تحرك المثلجة ، إذ إن محورها الأطول يكون في اتجاه الحركة .

ذ

ذهب :

عنصر فلزي كثيف جداً ، أصفر اللون لين يسهل تشكيله ، يوجد غير متحد بغيره وفي مقادير يسيرة وبخاصة في بعض الرمال وعروق الرو . ويوجد الذهب في ماء البحر إلا أن تكاليف استخلاصه منه ترى على قيمة الذهب المستخلص .

ر

رُكام :

تجمع أو كومة من قطع الصخر انحدرت إلى أسفل جرف أو منحدر شديد الميل ، وكذلك فتات الصخور على مثل هذا المنحدر . ويتكون الرُكام من الصخور التي تحطمت من الجرف بفعل الصقيع أو بفعل عامل آخر من عوامل التجوية .

ز

زَلزال :

رجفة أو هزة في قشرة الأرض ناتجة إما عن نشاط بركاني تحت الأرض وإما عن تزحزح الصخور تحت السطح . الزلزال يحدث أمواجاً صدمية تنتشر من المركز إلى كل الاتجاهات .

لس

صورة مرئية لجسم يعيد سببها الانعكاس الكلي للضوء من السطح الفاصل بين كتلتين من اهواء إحداهما دافئة والأخرى باردة . والسراب عادة صورة للجسم مقلوبة . ويمكن تصوير السراب (بالكاميرا) .

ش

شعب حاجز :

جدار طويل ضيق من صخور المرجان يمتد بجوار ساحل جزيرة أو

الكائنة في الفضاء ، وتشمل دراستها : المدركات الأساسية في الجيولوجيا والأرصاد والفلك والكيمياء والفيزياء .

غ

غرين :

ما يُرْسبه الماء الجاري من طمي وحصى ورمل وحجارة ويوجد في مهاد الأنهار والبحيرات وفي سهول الفيضان ، وهو كذلك : حبيبات من مواد أرضية تتراوح بين أقطارها $\frac{1}{100}$ و $\frac{1}{10}$ من المليمتر . وهي في العادة أصغر من حبيبات الرمل وأكبر من حبيبات الطين .

ف

قوهة :

حفرة كالقصعة في أعلى البركان شبه مستديرة وذات جوانب شديدة الانحدار وهي كذلك حوض بركاني عميق يقل قطرة عن ثلاثة أمثال عمقه وهي أيضاً منخفض يتكون من ارتطام الشهب بالأرض . تتكون القوهة عندما تبني المواد الملقوفة من البركان حلقة حول فتحته أو عندما ينهار أعلى البركان .

ق

قلب :

وسط الأرض الذي يعتقد أنه يتكون من كرة جامدة تحوطها كرة سائلة وهو كذلك العينة الأسطوانية من الصخر التي يحصل عليها بمحفار مجوف خاص لتزيد من معرفتنا بالصخور تحت السطحية .

ك

كثيب :

مرتفع أو تل أو خَيْد من الرمل كونته الريح ، ويوجد عادة في الصحارى أو على شواطئ البحار أو البحيرات . إذا كانت الريح السائدة تهب من اتجاه رئيس واحد فإن الكثيب الرملي يمكن أن يتحرك بمعدل من (١٠) أمتار إلى (١٥) متراً في السنة .

ل

لب الأرض :

قلب الأرض الكثيف الذي يتكون منه جلُّ كتلتها . ويبلغ نصف قطر

لب الأرض (٣,٣٦٠) كم تقريباً إلى (٢,١٠٠) ميل تقريباً .

هـ

مناخ :

الأحوال الجوية التي تتميز بها مساحة ما كما يجري تحديدها بحساب متوسط جميع العناصر الجوية في مدة طويلة من الزمن ، مثل درجة الحرارة والضغط الجوي والرياح والوقد (الرطوبة) والبحر .

ن

نيم :

سطوح تشبه التموجات في الرمل السائب أو مواد التربة تنتج عن تيارات الماء أو الأمواج أو الرياح وقد يشاهد النيم أحياناً على الصخور التي تكونت من رسوبيات كان بها هذا النيم أصلاً .

هـ

هالة :

حلقة ملونة من الضوء تحيط بالشمس أو القمر ، وهي أيضاً دائرة من الضوء تظهر حول الشمس أو القمر عند مشاهدتهما من خلال سحابة سمحاقية طبقية وتحدث الهالة نتيجة لانكسار الضوء في البلورات الجليدية أو بخار الماء في طبقات الجو العليا . ويكون للهالة أحياناً ألوان قوس قزح .

و

وهدة :

منخفض أو حوض بين حيدتين أو قاع طبقة مقعرة ، وهي كذلك المنخفض بين قتي موجتين في الماء ، وهي أيضاً مستطيلة ذات ضغط منخفض في الجو ، وقد تتكون الوهدة عندما تهبط كتلة ضخمة طويلة من قشرة الأرض الواقعة على جانبيها .

ي

اليابسة :

الجزء الجامد من الأرض وهو قشرتها . وتشمل اليابسة أحواض البحيرات والمحيطات وكذلك القارات .

عن الطائرات

في العدد (١٠٢) ذو الحجة ١٤٠٥ هـ = أيلول (سبتمبر) ١٩٨٥ م، من مجلة «الفصل» الغراء، نُشر موضوع خاص حول الطائرة، ولقد كان الموضوع ممتازاً ورائعاً، خصوصاً وهو يحتوي على صور تاريخية نادرة، إلا أن هناك هنة بسيطة أذهبت ببعض رونقه وجماله، ففي الصفحة (٧٩) نشرت صورة لطائرة تومكات - ف ١٤ الأميركية الصنع، وهي تطلق صاروخاً من طراز فوينكس جو - جو، وقد كُتب تعليق تحتها (طائرة حربية من طراز فوينكس، لحظة انطلاق صاروخ جو - جو منها) !! .

إن مثل هذه الأخطاء كثيراً ما تنشر في المجلات العربية، ولكنني أربأ بمجلة محترمة كـ (الفصل) أن ينشر فيها مثل هذا الخطأ، وأود أن أشير إلى أن هذه الطائرة ونظامها التسليحي (المشتمل على صاروخ فوينكس)، تعد من الأسلحة الحديثة المتطورة، حيث تعتمد عليها البحرية الأميركية للعمل على حاملات الطائرات البحرية كطائرة مقاتلة من الطراز الأول، ويؤكد (روبرت هيومان^(١)) مساعد وزير الدفاع الأميركي لشؤون الأبحاث والتطوير واللوجستيات في القوات الجوية (أن هناك مجالا كبيراً لنمو طائرة ف - ١٤ بوصفها حاملة صواريخ ذكية، وأنها ستكون حيوية الأهمية خلال القرن الراهن كله)، ويشمل هذا الكلام صاروخ فوينكس جو - جو الذي يعد صاروخاً فريداً من نوعه، حيث يبلغ مداه ١٦٠ كيلومتراً، وبعض المصادر تؤكد أن مداه أبعد من ذلك بكثير^(٢).

وفي صفحة (٨٦) أي (في آخر المقال)، تطرق الكاتب إلى أنواع الطائرات حيث صنفها إلى قسمين - على أساس مكان هبوطها وإقلاعها - الطائرات البرية والطائرات البحرية، وفي الحقيقة إن هذا التصنيف مبسّط وغير دقيق ويغفل ذكر بعض الأنواع من^(٣) الطائرات، فإذا عن الطائرات البرمائية، وهي طائرات يمكنها الإقلاع والهبوط من على اليابسة أو الماء؟ وماذا عن الخوامات البرمائية (وهي تطير على ارتفاع بسيط عن الأرض أو الماء، فهي بإمكانها الإقلاع والهبوط على الماء^(٤) أو اليابسة)؟، وأين نضع المركبات، التي تطير بدون طيار، وتطلق من الطائرة الأم التي تحملها مثل طائرة بيج Beech أم. كيو، أم - ١٠٧^(٥)، وكذلك أي، كيو. أم - ٣٧ وغيرها أمثلة عديدة.

أما عن الطائرات البحرية^(٦) فهي تقسم إلى الطائرات الجيومائية

مثل الطائرة شورت ١٨٤ والقوارب الطائرة مثل الطراز (فيلكس ستاو)، وهي الأنواع التي عنها الكاتب.

إن التقسيم الذي وضعه كاتب المقال يغفل في هذه الحالة الطائرات المنطلقة من حاملات الطائرات في عرض البحر التي تتميز بخاصية الإقلاع والهبوط العمودي VTOL أو شبه العمودي مثل (سي هارير) و (فورجر) وهي مصممة للعمل في أجواء البحار^(٧)، ولا يستطيع أحد أن يغفل دور حاملات الطائرات، ضمن استراتيجية الدول العظمى.

كما ذكر الكاتب معدياً بعض أنواع الطائرات الأرضية فأورد: طائرة الركاب المدنيين، وطائرات النقل الجوي، والطائرات الحربية، وفي الحقيقة إن معظم طائرات النقل الجوي هي ذاتها طائرات الركاب، حيث إنها تستخدم لنقل الركاب وللنقل الجوي، ولكنني أود أن أشير إلى أن هذه الأنواع الثلاثة التي ذكرها الكاتب تصنف^(٨) ضمن الطائرات الاعتيادية الأثقل من الهواء وهي الطائرات التي لها شكل الطائرة العادية المعروفة لدينا من حيث شكل الهيكل والأجنحة، ومجموعة الذيل والجنيحات، أما إذا اعتمدنا على تصنيف الكاتب حول الطائرات الأرضية على اعتبار أنها تلك التي تستخدم الأرض بصفة عامة، فإن هذا التقسيم يمكن أن يضم الطائرات الشراعية، والطائرات النفاثة، وطائرات الجناح المعلق التي تستخدم في الرياضة والمناطيد والسفن الهوائية، وكذلك مكوك الفضاء الذي يطلق كصاروخ إلى الفضاء ويعود إلى الأرض كطائرة، وهكذا نجد كل هذه المركبات والآلات الطائرة المختلفة فيما بينها اختلافاً كبيراً يمكن أن يضمها هذا التقسيم، هذا ما أردت أن أشير إليه، وأرجو أن لا أكون قد جانببت الصواب فيما قلت.. والله أعلم.

سؤدد فؤاد الآلوسي

العراق - ديالي - بعقوبة

الهوامش

(١) عن كتاب (الاستراتيجية الأميركية الجديدة)، الصادر ضمن (سلسلة الدراسات الاستراتيجية) عن مركز العالم الثالث للدراسات - لندن، الطبعة الأولى ١٩٨٢ م، ص ١٥٦.
(٢) يمكن الرجوع إلى كتاب (ميزان القوى العربي الإسرائيلي ٧٤ - ١٩٧٥ م)، الصادر عن مركز الأبحاث الفلسطينية سنة ١٩٧٥ م، الجدول رقم (١٦)، يشير إلى أن مدى صاروخ فوينكس هو (١٨٠) كيلومتراً، كما يمكن الرجوع إلى كتاب (الطيران البحري وحاملات الطائرات) للعميد صبحي ناظم، الصادر عام ١٩٨٥ م، في بغداد، ص ١٣١ - ١٣٢.

وأود تصويب بعض النقاط في باب «إيقاع الحياة»، في نفس العدد صفحة (٨٥) :

في السطر ٢١ :

يقال : كبريتات المغنيزيوم المائية بدلاً من (ماءات كبريتات المغنيزيوم)، لأنه يقصد بكلمة ماءات زمرة الهيدروكسيل (OH).

في السطر ٣٥ :

لا تصنف البلورات حسب التناظر، لأن هناك ٣٢ صفاً تناظرياً، وإنما تصنف حسب الأبعاد المحورية a, b, c، والزوايا الكائنة بينها إلى ٧ أنظمة بلورية، ذكر منها ٦ أنظمة وأغفل عن النظام المعيني Rhombic.

د. محمد وليد كامل
سورية - حلب

وكذلك هناك الكثير من الكتب والمجلات الأجنبية التي يمكن الرجوع إليها للتأكد مما قلته حول هذه الطائرة (ف - ١٤).

(٣) للحصول على تصنيف دقيق وعلمي، يمكن الرجوع إلى كتاب (السميتات) للعميد الركن طلعت نوري، الصادر عن موسوعة علوم (سلسلة الكتاب العلمي العسكري) في العراق عام ١٩٨٥م، ص ١٦ - ١٨، وذات التصنيف منشور في مجلة (حراس الوطن) العراقية عام ١٩٨٥م.

(٤) المصدر السابق، ص ١٧.

(٥) عن مجلة (ميلتري تكنولوجي)، ص ٣٦ - ٣٧، العدد الصادر في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٨٣م.

(٦) عن كتاب (الطيران البحري وحاملات الطائرات) السابق ذكره، ص ١٦ - ١٧.

(٧) كتاب السميتات الذي سبق ذكره، ص ١٧.

(٨) المصدر السابق، ص ١٦.

آيو.. قر المشتري

يهدف تصويب بعض المصطلحات وتوضيح بعض الفقرات في الموضوع الخاص «آيو.. قر المشتري العجيب» للسيد عدنان عضيمة، الذي ورد في العدد (١٠٤) صفر ١٤٠٦ هـ = تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٥م، ص (٧٥) من مجلة «الفيصل»، اسمحو لي أن أشكر السيد عضيمة على جهده الكبير، وأن أطلب منه إعادة النظر في النقاط التالية :

★ ورد في الصفحة (٧٨)، تحت عنوان «النشاط البركاني المجرى» :

الطاقة الكامنة الثقالية Gravitational Potential Energy

الحيشان الحراري Convection

النقلية Conduction

التجاوب التجاذبي Gravitational Resonance

والأصوب أن نقول : جهد طاقة الجاذبية، الحمل الشاقولي، التوصيل الحراري، الطنين التجاذبي.

توضيح الفقرة (٣) :

يتم فقد الطاقة الحرارية من مركز الكوكب إلى سطحه بالتوصيل ومن السطح إلى الجو المحيط به بالحمل الشاقولي.

توضيح فقرة نهاية صفحة (٧٨) وبداية صفحة (٨٠) :

ويفسر الطنين (التجاوب) في أن التفاعل التجاذبي المتبادل بين قرين، يكون محكوماً بمسافات التجاذب (أبعادهما المدارية)، التي تجعل الدورة الفلكية (أدوارهما المدارية) لكل منهما عدداً صحيحاً مضاعفاً.

الشفق .. والغسق

نلتفت انتباهكم إلى الخطأ الذي وقع في العدد (١٠٦)، ربيع الثاني سنة ١٤٠٦ هـ - كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٥م/ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٦م، وفي الصفحة (٩٠) تحت عنوان إيقاع الحياة «الشفق والغسق»، حيث يقول الكاتب :

«والشفق Crepusclar الذي هو حمرة الأفق عند الغروب يحصل بشكليين ... إلخ».

واستناداً إلى كتاب «معجم المصطلحات الجغرافية» للدكتور يوسف توني، طبعة دار الفكر العربي الصفحة (٣٠٠) نصّح ما نشر حول تعريف الشفق والغسق، ولكي يقارن الأخ القارئ بين ما نشر وبين المعجم المذكور فيقول الدكتور يوسف توني في تعريف الشفق والغسق ما يلي : «ذلك الضوء البسيط الذي يلمع في أفق مختلف أقاليم سطح الأرض قبل شروق الشمس وبعد مغربها، فالفترة التي يضيء فيها الجو قبل شروق الشمس تعرف «بالشفق» أو الفجر، أما الفترة التي يضيء فيها الجو بعد غروب الشمس فتعرف بـ «الغسق»، وتعزى هذه الظاهرة إلى انعكاس ضوء الشمس من طبقات الجو العليا على الأرض،

بينما تكون الشمس نفسها تحت الأفق ويبدأ الشفق عندما تكون الشمس تحت الأفق بمقدار ١٨°. وينتهي الغسق عندما تكون الشمس تحت الأفق بمقدار ١٨° أيضاً. وتسمى هاتان الظاهرتان بالشفق الفلكي والغسق الفلكي، أما الشفق أو الغسق المدني، فيحدث عندما تكون الشمس تحت الأفق بمقدار ٦°، وتحدده كمية الضوء التي تسمح بالعمل خارج المنزل، وتقصر فترة الشفق أو الغسق عامة في الأقاليم المدارية، بينما تطول في العروض العليا، بل ويمتد الغسق والشفق طول الليل لفترة طويلة في منتصف الصيف في المنطقة الواقعة بين خطي عرض ٤٨,٥°، والدائرة القطبية الشمالية أو الجنوبية، ويزداد عدد الليالي التي يتصل فيها الغسق بالشفق كلما اتجهنا نحو القطبين، انتهى تعريف الدكتور للشفق والغسق.

ومن خلال تعريفكم للشفق والغسق، لم تذكروا المصدر المأخوذ منه ذلك التعريف.

غسان عيد المحسن الراوي
سورية - الميادين

زرع نخاع العظام

نشرت مجلة «الفصل» الرائدة في عددها (١٠٥)، ربيع الأول ١٤٠٦ هـ، موضوعاً بعنوان «زرع نخاع العظام»، وبما أنه موضوع حساس ودقيق، لا بد من إيضاح بعض النقاط العلمية التي بدت كأنها متناقضة في النص:

● ورد في صفحة (٩٥) «... يفترق فيه هؤلاء الصغار حاملي مرض نقص المناعة الطبيعي منذ ولادتهم إلى نوع من خلايا الدم البيضاء المعروفة بـ «الخلايا اللمفاوية من نوع (ت)»... وتكون عملية زرع نخاع عظام مأخوذ من شخص سليم في جسم المريض، هو العلاج المعروف حتى الآن لداء نقص المناعة الطبيعي...».

● ورد في صفحة (٩٧) «وقد يظهر في جسم المريض (أي الرضخ للطمع) بعد عملية الزرع حتى عند وجود نسبة اثنين بالمائة فقط من خلايا الدم اللمفاوية من نوع (ت)».

ولتلافي هذا الرضخ، بيّن الكاتب وجوب استعمال الأدوية المثبطة

للخلايا ت، كما ورد في صفحة (٩٧) «وتكون جميع هذه المركبات ذات تأثير مثبط لوظيفة الخلايا اللمفاوية من نوع ت...» ثم تابع تحت عنوان «المركب الجديد» «... ويعمل هذا المركب بصورة خاصة في منع تكاثر الخلايا اللمفاوية ت...» انتهى.

فكما نلاحظ، يظهر تناقض ظاهري واضح دون أن يوضحه الكاتب، فلا بد أن يخطر على البال سؤال، لا بد من جلالته بشكل واضح، إذ كيف بنا نخاطر بإجراء عملية غرس النقي عند طفل ناقص المناعة أصلاً وخاصة من النوع الخلوي بنموذج الخلية ت، كعلاج له للحصول على مناعة قوية وإكثار هذا النوع من الخلايا، ثم نعطي المريض الأدوية القاتلة والمثبطة لهذه الخلية بالذات كما هو واضح من النصوص التي بينتها...

إن النصوص صحيحة، والتناقض ظاهري، ويحتاج فقط إلى الإيضاح، ولم ينقص النص لجلاء هذا الالتباس سوى بيان القواعد الأساسية لغرس النقي. ووجدت نفسي مضطراً لبيان هذه الأسس حرصاً على فائدة الإخوة الذين قرأوا الموضوع وليس لديهم فكرة مسبقة عنه، خاصة أن غرس النقي يختلف في أمور كثيرة عن باقي اغتراس الأعضاء الصلبة الأخرى من الجسم البشري (كغرس الكلية). وأهم نقاط الاختلاف التي تفيدها في الموضوع هي:

١ - إن الهدف من غرس النقي أصلاً هو الحصول على مناعة لجسم الثوي (الشخص المستقبل للطعم)، تقوم به الخلايا التي يتجهها نقي العظم المغروس، والذي نقل من شخص طبيعي، ومتطابق نسيجياً مع المُتلقّي للطعم.

٢ - وبما أن جسم الشخص المتلقي قد يرفض هذا الطعم، ولكي لا تفقد الهدف من غرس النقي، فإن الأدوية القاتلة للخلايا التي ذكرت في البحث تستخدم لفترة قصيرة بهدف منع جسم الثوي من رفضها بل حتى يتلاءم معها، ثم توقف بعد ذلك لإنجاز الهدف الأول من غرس هذا النقي، فيستعيد نشاطه في إنتاج الخلايا المناعية (ت) بعد توقف هذه الأدوية. (بينما لا توقف المعالجة في حالات الغرس للأعضاء الصلبة الأخرى...).

وفي الحقيقة أكثر ما نستعمل هذه الأدوية في حالات فقر الدم اللامضغ، وخاصة إذا كان المصاب قد نقل له دم قبل عملية غرس النقي، لكثرة حدوث الرضخ بعد نقل الدم، وكذلك في حالات الابيضاض، لمحاولة قتل أكبر عدد ممكن من الخلايا الابيضاضية قبل الزرع، وقد نضطر من أجل هذا الهدف إلى تشيع كامل الجسم

لا يخرج الرشم ولا ينميه ، بل يوفر شرائطه اللازمة لذلك . ومن هذه الآية ورد حديث لأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لا يقولن أحدكم زرعاً وليقل حرثت فإن الزارع هو الله » . ومن هذا الأدب الرفيع والعلم الراسخ ليس لنا أن نقول بالزراعة إلا من باب المجاز بقصد تأمين شرائط نجاح المزرع . وينطبق ذلك حتى على زراعة الأعضاء في الطب ، فها مهمة الطبيب سوى تأمين شرائط نجاح العضو المغروس ، وأما نجاح هذا العمل واستمراره ، فإنما مرده إلى الله وحده ، فإن شاء حفظه ، وإن شاء رفضه ، وكل بعلمه وحكمته .

وأما غرس أجهزة صناعية في الجسم فهي مترجمة عن فعل *implant* ، لأنها غير منقولة من جسم بشري آخر . وترجمتها في القاموس الطبي الموحد أيضاً هو « غرسه ، يغرس » . على أية حال يجوز استعمال كلمة زرع ، شريطة أن نعلم ونقصد بأن هذا الاستعمال مجازي وليس حقيقي ، وإنما لشبوة في الاستعمال ، وقد ورد الاستعمال المجازي في كتاب الله تعالى بقوله ﴿ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾ (سورة الفتح ، الآية ٢٩) . كما استعمله سيدنا يوسف بقوله ﴿ تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله ﴾ (سورة يوسف ، الآية ٤٧) .

وما يقصده : تحرثون وتبذرون لتنبت زروعكم .. ومن أراد الاستفاضة في موضوع الزرع فليراجع تفسير القرطبي في سورة الواقعة .

ولقد وردت في صفحة (٩٦) كلمة «جيسي» تعريباً لـ *granulocytic* ، وأعتقد أنها خطأ مطبعي فواضح أن صوابها «جيسيبي» .

كما استعمل الكاتب كثيراً عبارة «منشأ نخاع العظم» ، تعريباً لكلمة *Myeloid* وصوابها «نقوي أو نقياتي» .

وأخيراً ، أحب أن أقول إن غرس النقي العظمي ، قد تطور كثيراً في السنوات الأخيرة ، وأصبح علاجاً جيداً لكثير من الأمراض الدموية ، وارتفعت نسبة الحياة في بعضها إلى ١٤ سنة فيما لم تصل سابقاً إلى ٢ - ٣ سنوات كما في اللمفومات اللاهودجكية .

هذا ، ولقد اختار الكاتب موضوعاً ممتازاً لطرحه للإخوة القراء ، نرجو أن نكون قد تعاوناً في فائدة الجميع . وليس لنا إلا أن نتنظر المزيد من المعلومات عن غرس النقي في السنوات المقبلة .

د . ضياء الدين الجماس

دير الزور - سورية

(TBI) . والمهم أن لا نستعمل هذه الأدوية لأكثر من ٣ - ١٢ شهراً ، ثم توقف .

٣ - في حال إجراء اغتراس النقي العظمي للأطفال المصابين بنقص المناعة من نوع عوز الخلايا (ت) ، وكذلك في حال وجود توأم حقيقي للمتلقي ، فإننا لا نحتاج في معظم هذه الحالات إلى استخدام مثل هذه الأدوية ، وقد فسروا حالات الرفض التي حدثت في مثل هذه الحالات إلى المناعة الذاتية . وعندئذ قد نستعمل هذه الأدوية لفترة وجيزة جداً قد لا تتجاوز عدة أسابيع .

٤ - إن أقل كشافه خلوية للنقي المنقول هي (٢-٦) × ١٠ خلية / كغ من وزن جسم المتلقي . فقد تبين أن رفض الطعم أكيد إذا كانت الكمية المنقولة أقل من هذا الرقم .

بينما يقل احتمال الرفض كلما كانت الكثافة الخلوية المنقولة أعلى من هذا الرقم . أعتقد أن هذه الأسس المبسطة كافية لإيضاح الالتباسات التي وردت في النص ، والأسس كثيرة ، ولكنني ذكرت ما يتعلق بالموضوع .

كما وردت في الموضوع كلمات لا يجوز استعمالها إطلاقاً في هذا الموضوع ، منها مثلاً كلمة «نخاع» ، فهذه الكلمة لم ترد في القواميس الطبية إلا في باب الجهاز العصبي فهي منقولة عن *Myelin* فنعبر بها عن **النخاع الشوكي** والتهاباته *Myelitis* ، أو المادة النخاعية للأعصاب *Myelin* ، وأما ما يتعلق بالعظام فلنبها يسمى *Bone Marrow* فقد عُرِبت في جميع القواميس بما فيها القاموس الطبي الموحد ١٩٨٤م ، باسم «نقي العظم» ، ولم أجد في أي قاموس قديم أو حديث كاللورد ، أو «حتي الطبي» ، أن كلمة *Marrow* هي نخاع . بل ورد في **حتي الطبي** بالإضافة إلى معناها نقي ، مُحُّ العظم ، وهو استعمال عامي لم يأخذ به الأطباء العرب .

وأما كلمة «زرع» ففيها الكثير من البيان :

عند نقل عضو من شخص إلى آخر ، فهو في الإنجليزية مأخوذ من *Transplantation* ، وقد ورد تعريب هذا الاصطلاح في القاموس الطبي الموحد على أنه : اغتراس أو غرس ، ولم يقبلوا فيه كلمة «زرع» ، وفي اعتقادي أنهم محقون في ذلك من الوجهة الشرعية ، ففي قوله تعالى ﴿ أفرايتم ما تحرثون . أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ (سورة الواقعة ، الآيتان ٦٣ - ٦٤) ، إشارة واضحة على أن الزارع الحقيقي هو الله تعالى وحده ، فليس للإنسان من عمل في ذلك سوى توفير شرائط نمو المزروعات من حرث وبذار ، وأما غاؤها فهو يعلم الله ورعايته ، فالإنسان

مرحباً بك صديقاً
للمجلة .. وقد سررنا لمشاورك
الكريمة .. مع تمنياتنا لك
بالتوفيق .

مسابقة مجلة الفيصل

●● نلفت نظر بعض الإخوة الذين يشتركون في مسابقة المجلة ، والذين يكتبون أسماءهم ثنائية فقط .. نلفت نظرهم إلى أن رسائلهم لن تدرج ضمن عملية الفرز ، ما لم ترد أسماءهم الثلاثية ، أو الرباعية إن أمكن .

وهذا يعني حرمانهم من الفوز في المسابقة كلية .. مع العلم أن إيراد الاسم ثلاثياً أو رباعياً ، هو أحد شروط المسابقة .

١ - قيمة الجوائز على النحو التالي :

أ - الجائزة الأولى ٧٥٠ ريالاً

ب - الجائزة الثانية ٥٠٠ ريالاً

ج - الجائزة الثالثة ٣٥٠ ريالاً

د - سبع جوائز قيمة كل منها (٢٠٠ ريال سعودي) .

هـ - عشر جوائز قيمة كل منها اشتراك مجاني لكل فائز لمدة عام في مجلة « الفيصل » .

٢ - شروط المسابقة :

أ - المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وإرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً - إن

أمكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

ب - ترسل الإجابات على العنوان التالي :

(المملكة العربية السعودية - ص. ب (٣) الرياض - (١١٤١١) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

ج - أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها .

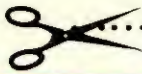
د - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

هـ - ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .



الاسم : _____
المهنة : _____
العنوان : _____

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد (١١٧)



● المسابقة ●

السؤال الأول :

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :
تاريخ الإسلام الكبير - المعمرين - الاقتراح .

السؤال الثاني :

هذه الصورة لحجر رشيد .. متى تم العثور عليه ..
وما اللغات التي كتب بها عليه .. وما اسم العالم الذي
حل رموز إحدى هذه اللغات .. وأين يوجد هذا
الحجر حالياً ؟

السؤال الثالث :

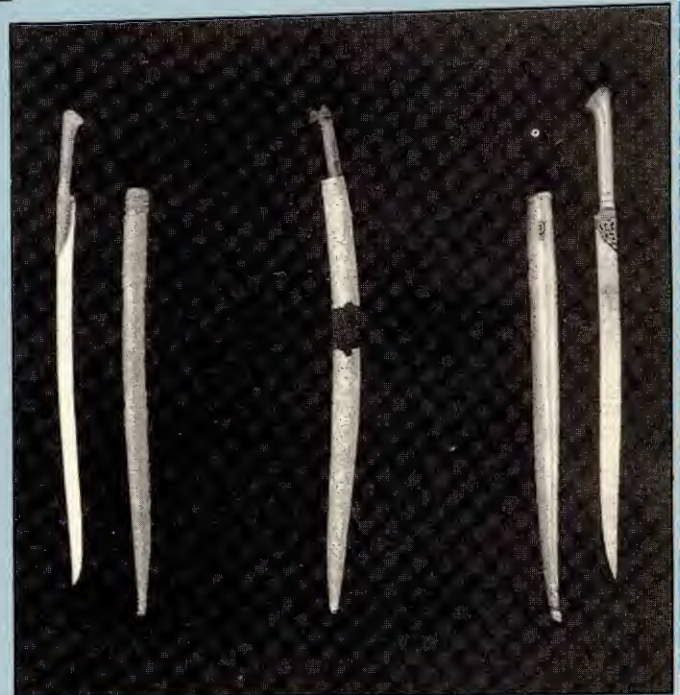
ما وظيفة الغدد النخامية في جسم الإنسان ؟

السؤال الرابع :

متى أنشئ خط قطار السكة الحديد بين مدينتي الرياض
والدمام في المملكة العربية السعودية ؟

السؤال الخامس :

هذه الصورة لعدد من السيوف القديمة .. إلى أي عصر
تعود إليه هذه السيوف .. وما نوعها ؟





●● نتيجة مسابقة العدد (١١٠) ●●

- فاز بالجائزة الأولى ، وقيمتها (٧٥٠) سبعة وخمسون ريالاً سعودياً ، الأخ عبد الغني مصطفى أزغيات ، حي الفرح - الدار البيضاء (٠٤) - المغرب .
- وفاز بالجائزة الثانية ، وقيمتها (٥٠٠) خمسين ريالاً سعودياً ، الأخ محمد فتحي موسى بيومي ، الكاشية - تلالا - متوفية - مصر .
- وفازت بالجائزة الثالثة ، وقيمتها (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسون ريالاً سعودياً ، الأخت عائشة أسعد طه - دمشق - سورية .
- وهناك سبع جوائز ، قيمة كل منها (٢٠٠) مائتا ريالاً سعودياً ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :
● من الجزائر - ابن عكنون - المركز الطبي لتكوين إطارات التربة ، الأخ علي بربورة دحان .
- من أندونيسيا - مادورا ، الأخت زهيدة شكر أحمد .
- من تونس - المنستير ، الأخت منية بنت سالم التريكي .
- من الكويت - ثاتوية الراية للبنين - ص . ب : (٥٨٢٣٢) ، الأخ محمود ذيب حسين إبراهيم .
- من الأردن - إربد ، الأخت ختام حدي غرايبة .
- من لبنان - بيروت ، الأخت غادة عيد الحموي .
- من المملكة العربية السعودية - جيزان - بيش - مدرسة الشريعة الابتدائية ، الأخ عيسى محمد أحمد صغير .
- بالإضافة إلى عشر جوائز ، قيمة كل منها اشتراك مجاني ، لمدة عام ، في مجلة « الفصيل » ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :
● من العراق - ديالى - جلولا - ص . ب : (١) ، الأخ علي حمدي صوفي .
- من البحرين - مدينة عيسى - مدرسة مدينة عيسى الثانية - ص . ب : (٣٢٢٤٤) ، الأخ حسن أحمد حسن حبيب .
- من السودان - ود مدني - ص . ب : (٥٦) ، الأخ مبارك سلمان محمد أحمد .
- من سورية - دمشق - كلية الآداب - قسم اللغة العربية ، الأخ فاروق أحمد عثمان .
- من الإمارات العربية المتحدة - العين - ص . ب : (١٥٣٢٥) ، الأخ عبد الله عبد الحميد عبد الله عرواني .
- من المملكة العربية السعودية - الرياض - مستنق الملك خالد الجامعي ، الأخ عبده محمد هزازي .
- من العراق - بغداد ، الأخت بتول محمد حسن داوود .
- من مصر - دمهور ، الأخت شادية أحمد نصرة .
- من موريتانيا - نواكشوط - ص . ب : (٤٠١٣٣) ، الأخ محمد عبد القادر بن محمد سالم .
- من الجزائر - الحي الجنوبي - بوسعادة ، الأخ جمال محمد أمردفي .

●● أجوبة مسابقة العدد (١١٠) ●●

- ج ١ « الجبر والمقابلة » ، اسم لثلاثة كتب ألفها ثلاثة علماء هم :
١ - أبو عبد الله بن موسى الخوارزمي .
٢ - شجاع بن أسلم .
٣ - أحمد أبو حنيفة بن داوود الدينوري .
- وقد لاحظت لجنة المسابقة أن عدداً كبيراً من المتسابقين قد أورد في إجابته اسم : يحيى أحمد الكاشي ، بدلا من الخوارزمي . . حيث التبس عليهم عنوان « الجبر والمقابلة » الذي تناوله الكاشي موضوعاً من الموضوعات التي وردت في كتابه (كتاب لباب الحساب) ، ولم يكن له مؤلف مستقل يحمل عنوان : « الجبر والمقابلة » .
- ومع ذلك ، فإن اللجنة قد عدت إجابة المتسابقين الذين ذكروا اسم « الكاشي » كأحد الثلاثة علماء المذكورين في هذا السؤال . . إجابة صحيحة .
- ج ٢ الجامع الذي ظهر في الصورة . . هو جامع «كلان» ومثلثته ببخاري - أوزبكستان .
- ج ٣ يبلغ قطر كوكب زحل : ١٢٦٠٠ كلم ، وكوكب المشتري : ١٤٢٨٠٠ كلم ، وكوكب المريخ : ٦٧٨٧ كلم .
- ج ٤ يتنفس نبات الأرز تحت الماء عن طريق شفته للهواء . . ذلك أن عملية التمثيل الغذائي للنبات تخلق نوعاً من التفرغ ، من شأنه أن يجذب الهواء مثلما تجذبه رئة الإنسان .
- ج ٥ القلعة التي ظهرت في الصورة ، وعليها أحد المساجد المشهورة الذي يحمل اسم قائد مسلم معروف . . هي «قلعة محمد علي» الموجودة في القاهرة ، وتسمى «قلعة الجبل» ، وهي نفسها «قلعة صلاح الدين» أو «قلعة القاهرة» ، ويختصر اسمها إلى «القلعة» فقط .

الحركة

الثقافية

في شت

* * من خلال هذا « الملف » سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من إصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وأدبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في « الوطن العربي » فحسب ، بل في « العالم » الانساني .
أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارئ .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق * *

فكر الوطن العربي

● طبع ترجمة معاني القرآن الكريم .

● اغتيال العالم الشيخ صبحي الصالح .

● كشف أثري في العراق .

● مهرجانات للفنون الشعبية .

● معارض للكتاب العربي .

● إنشاء دار نشر كبيرة في الأردن .

فكر العالم

● اللغة العربية في مدارس السنغال .

● طبيب سعودي في الأكاديمية الألمانية .

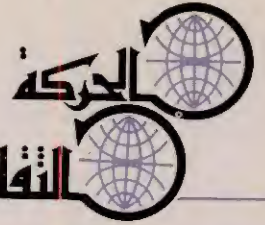
● معرض عن فن صناعة العاج في مصر القديمة .

● موسوعة عن الزهور في الصين .

● صدور صحيفة بريطانية جديدة .



★ د. عبد الله بن عبد الحسَن التركي ★



في الوطن العربي

السعودية

طباعة ترجمة

معاني القرآن الكريم

خدمة للإسلام والمسلمين في شتى بقاع المعمورة وضمن خطة الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي لترجمة معاني القرآن الكريم، يقوم مجمع الملك فهد لطباعة القرآن الكريم بطبع بعض الترجمات، منها:

★ طبع ترجمة برتغالية لمعاني القرآن الكريم حيث انتهى الدكتور حلمي نصر الأستاذ بجامعة ساو باولو بالبرازيل من إعداد ترجمة معاني عشرين جزءاً من القرآن بهذه اللغة من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة العنكبوت.

★ طبع ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة الصومالية، حيث انتهى الشيخ محمود محمد عبيد من ترجمة عشرين جزءاً، وهي طبع الآن، وكانت الرابطة قد أرسلت عشرة أجزاء كدفعة أولى في شهر شعبان من عام ١٤٠٤ هـ، وذلك قبل هذه الترجمة التي أعدها الشيخ محمود.

ندوة الشباب المسلم

اختير الدكتور مانع الجهني الأستاذ بجامعة الملك سعود ليكون أميناً عاماً للندوة العالمية للشباب المسلم التي تتخذ من الرياض مقراً لها.

وقد جاء اختيار الدكتور الجهني لهذا المنصب بناء على قرار المؤتمر العالمي السادس للندوة الذي عُقد مؤخراً بالرياض والذي انتخب فيه الدكتور الجهني ليتولى هذه المسؤولية خلفاً للدكتور توفيق القصير لمدة ثلاث سنوات متتالية، وقد باشر عمله فعلاً.

الجدير بالذكر أن مجلس أمناء الندوة في دورته الحالية يتكون من:

★ الدكتور إبراهيم القعيد الأمين العام المساعد.

★ الدكتور سليمان باسهل أميناً عاماً مساعداً للندوة في جدة.

★ الدكتور حمد الصليفيح عضو مجلس الأمانة عن التوعية الإسلامية.

كما يضم مجلس الأمناء أربعة أعضاء من السعودية بلد مقر الندوة، وهم الدكاترة:

★ محمد عمر ججوم.

★ توفيق أحمد القصير (الأمين العام السابق).

★ صالح الوهيبي.

★ أحمد عثمان التويجري.

ويمثل أوروبا في مجلس الأمناء الدكتور

بهيح ملاحوس، وعن إفريقيا الدكتور

عيسى بيللو، وعن الأمريكتين داود

زوينك، وعن آسيا قر الدين محمد.

ندوة عن تعلم العربية

عقدت بنادي الرياض الأدبي ندوة عن نشر وتعلم اللغة العربية شارك فيها كل من:

★ الدكتور عبد الله التركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

★ الدكتور يوسف الخليفة أبو بكر الخبير بمعهد الخرطوم الدولي.

★ الدكتور عمر جاه سفير جامبيا لدى المملكة.

حضر الندوة ضيوف المؤتمر التأسيسي لامتحانات المدارس العربية والإسلامية الذي عُقد في الرياض خلال شهر محرم بدعوة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

كتب جديدة

● «الإدارة التعليمية على مستوى

المناطق في المملكة العربية السعودية»،

تأليف الدكتور محمد بن حسن المبعوث،

صدر في الرياض.

● «المناحي العلمية عند القزويني»،

تأليف الدكتور علي بن عبد الله الدفاعة، صدر عن نادي القصيم الأدبي.

● «المعارك الأدبية بين زكي مبارك

ومعاصريه»، دراسة بقلم محمد جاد البنا،

صدرت في كتاب عن دار الكتاب السعودي.

● «الكشاف التحليلي للسدوريات

والنشرات العربية والأجنبية المتوفرة في

مركز المعلومات بالأمانة العامة»، صدر

عن قسم الببليوجرافيا والتكشيف، مركز

المعلومات بالأمانة العامة لمجلس التعاون

لدول الخليج العربية بالرياض.

● «الآفات الحشرية والحيوانية وطرق

مكافحتها في المملكة العربية السعودية»،

تأليف الدكتور علي إبراهيم دبور والدكتور

شاكر محمد جاد، صدر عن عمادة شؤون

المكتبات بجامعة الملك سعود بالرياض.

● «تطور الكتابات والنقوش في

الحجاز - منذ فجر الإسلام حتى

منتصف القرن السابع الهجري»، تأليف

محمد فهد عبد الله الفعير، صدر عن

تهامة ضمن سلسلة «رسائل جامعية».

● «تاريخ الفكر الأوروبي الحديث

١٦٠١ - ١٩٧٧ م»، تأليف رونالد

سترومبج، ترجمة أحمد الشيباني، صدر

الجزء الرابع عن دار عكاظ للصحافة

والنشر بالرياض.

● «التلفزيون الإسلامي ودوره في

التنمية»، تأليف يحيى بسيوني مصطفى

والدكتور عادل الصيرفي، صدر عن دار

عالم الكتب بالرياض.

صدرت الكتب التالية عن دار عالم

الكتب بالرياض، من تحقيق هشام بن

إسماعيل السقا، ومراجعة محمود بن محمد

الحداد:

★ «جزء من اسمه عطاء»،

للطبرني.



★ د. علي عبد الله الدقاع ★

وليد إخلاصي .. الفنان والإنسان

عرف الناس **وليد إخلاصي** كاتباً وروائياً ومسرحياً .. يروي قصصه في بساطة ووضوح، ويسبق عليها من فنه الجميل، وروحه الصافية ما يجعل القارئ يعيش في حوادثها، ويحيا مع أبطالها، ويتنقل معهم، ويستمتع بصحبتهم، ويتجاوب معهم فيما يحسون من ألم، وسعادة، لأن شخوص قصصه ورواياته يعيشون بيننا ونراهم في حياتنا اليومية.

وكانت كل قصة لوليد إخلاصي تحمل بين سطورها من روح كاتبها، وما انطبعت عليه نفسه من صفات إنسانية عالية، ومزايا حميدة متعددة، كانت فيها الرجولة، والشهامة، والمعاناة لإنسان هذا العصر.

لقد روى وليد إخلاصي لقرائه القصص التي كتبها قلمه، وأخرجها تفكيره العميق الهادئ، ولكنه لم يقدم للقارئ قصة واحدة من قصص حياته اليومية، مع أن حياته كانت سلسلة من القصص تصلح كل واحدة منها لأن تكون نبراساً لكل شاب يريد أن يشق لنفسه طريقاً واضحاً في هذه الحياة ذات السدوب والمتاهات والضباب.

وكتب مرة أحد الزملاء مقالا يهاجم ويمس وليد إخلاصي مساً واضحاً عنيفاً، وقرأت المقال وشعرت أن فيه كثيراً من التجني على شخص وليد، وتوقعت أن يرد وليد بنفس العنف الذي هوجم به، وقابلته يوم نشر المقال فسألني وهو يبتسم:

«هل قرأت ما كتبه فلان؟ .. قلت: نعم .. هل سترد عليه؟ قال: لا ... فظننت لأول وهلة أن الزميل ليس أهلاً للرد أو ليس بمستوى رد وليد إخلاصي، ولكن تبين لي غير ذلك حيناً أردف قائلاً: لن أرد فهو صديقي، وأخشى أن أبادله الرد فأجرح شعوره أو أوله ..»

ورفض وليد أن يدافع عن نفسه، لأنه كان يضع الصداقة في المقام الأول، أما المسائل الشخصية فلم يكن لها في حياته أو في عمله حساب.

وحدث مرة عندما كنت جالساً معه في مكتبه، دخل علينا شاب لا أعرفه، قام وليد ورحب به، وأثناء تناولنا القهوة، سأله الشاب: هل تنصحني بمطالعة كتب معينة؟ .. أجابه وليد: عليك بمطالعة أي كتاب يقع بين يديك، ومد يده إلى جيبه وأعطاه مائة ليرة وطلب منه شراء بعض القصص. وفي نهاية الزيارة قدم الشاب شكره العميق مغادراً المكتب. ونظرت إلى وليد نظرة استغراب مع اطلاعي على أن ما دفعه وليد لإخلاصي لهذا الشاب من راتبه الشهري قد اقتطع من قوت عياله .. فلاحظ ذلك فقال:

«هذا الشاب من هوة مطالعة القصة، وأنا أعلم أن دخله لا يسمح بشراء القصص فدققت هذا المبلغ حتى أشجع فيه هذه الناحية، فانا أتوقع له مستقبلاً ناجحاً».

هذا هو وليد إخلاصي كما عرفته .. أما الناس فقد عرفوا وليد الفنان، ولم يعرفوا وليد الإنسان .. صحيح أن إنسانية الفنان يمكن أن تستشف من قيمة فنه، ولكن هناك من واقع حياة وليد ما يؤكد علاقته بإنسانيته.

أما ما أخرجته المطابع لوليد إخلاصي، وما نشرته له الصحف فإنه يعطي صورة صادقة عن وليد الكاتب الفنان، أما قصة وليد إخلاصي الإنسان، فهي أعظم قصصه جميعاً في رأيي، وهي القصة التي لم يكتبها هو .. ولم يكتبها أحد.

عبد الغني هباش حلب - سورية

النبي عليه الصلاة والسلام»، تأليف يوسف بن عبد الهادي.

● «لباب الإعراب»، تأليف تاج الدين محمد الإسفراييني، دراسة وتحقيق بهاء الدين عبد الوهاب

★ «حديث الإفك»، تأليف عبد الغني المقدسي.

★ «حق الجار»، تأليف المحافظ الذهبي.

★ «العقد التمام فيمن زوجه

عبد الرحمن، صدر عن دار الرقاعي للنشر بالرياض.

العراق

● كشف أثري ●

عثرت بعثة الآثار العراقية على مجموعة من الأختام الأسطوانية البابلية في منطقة «العوسية» الواقعة شرق مدينة «عنة» بمحافظة الأنبار على بعد (١٢٠) كم غرب العاصمة بغداد.

وثل هذه الأختام مجموعة متكاملة تتألف من سبعين ختمًا مختلفًا.

● كتب جديدة ●

● «قضايا في التربية والتعليم»، تأليف الدكتور مصطفى بغداد، صدر عن دار الموسوعة الصغيرة ببغداد.

● «الفراسة»، مجموعة قصصية للقاصه ميسلون هادي، صدرت في بغداد عن دار الشؤون الثقافية العامة.

● «ديوان علي الشرفي»، جمع وتحقيق الدكتور إبراهيم الوائلي وإبراهيم الكرياسي، صدر في بغداد.

● «الحياة النياية في العراق ١٩٥٢ - ١٩٤٦م»، تأليف حسين الجميل، صدر في بغداد.

● «إمارة كعب العربية في القرن الثامن عشر»، تأليف الدكتور علاء الدين كاظم نورس، صدر في بغداد.

● «صحافة العراق»، بقلم رفائيل بطي، صدر في بغداد.

● «أصول البيان العربي»، تأليف الدكتور محمد حسين علي الصغير، صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة في بغداد.

● وفاة الكاتب
جمال محمد أحمد ●

انتقل إلى رحمة الله تعالى الكاتب السوداني جمال محمد أحمد على إثر مرض ألم به .

وكان رحمه الله في حياته قد شغل منصب وزير خارجية في إحدى الحكومات السودانية . كما كان كاتباً من الكتاب المعروفين ، وله العديد من المؤلفات ، منها كتاب « الوطنية العربية » .
رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

الجزائر

● كتب جديدة ●

صدرت الكتب التالية عن ديوان المطبوعات الجامعية بمدينة الجزائر :
★ « التحليل الرياضي » ، تأليف

الدكتور كوتي . وج . ارزا ، ترجمة الدكتور يوسف عتيق .

★ « عقد البيع في القانون المدني الجزائري » ، تأليف الدكتور محمد حسنين ، صدر في طبعته الثانية .

★ « تمارين في التحليل الرياضي » ، تأليف الدكتور ب . كالفو وآخرون ، ترجمة الدكتور يوسف عتيق .

★ « مسائل الفيزياء » ، تأليف الدكتور عبد الكريم بن عبد الله ، صدر في جزئين .

● « دراسات في القصة الجزائرية القصيرة والطويلة » ، تأليف الدكتور ابن قينة ، صدرت عن المؤسسة الوطنية للكتاب بمدينة الجزائر .

● « طرق الإسعاف » ، تأليف الدكتور مصطفى خياطي ، صدر بالفرنسية عن المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر .

صدرت الكتب التالية عن المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر :

★ « الشخصية » ، تأليف الفرنسي لازا روس ، ترجمة الدكتور سيد محمد غنيم ، مراجعة الدكتور محمد عثمان نجاتي .

★ « الأنا والهو » ، تأليف سيجموند فرويد ، ترجمة الدكتور محمد عثمان نجاتي .

★ « إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين » ، تأليف الدكتور العربي فرج محمود فرج .

★ « التعلم » ، تأليف ساروتوف مدنيكو وآخرون ، ترجمة محمد عماد الدين إسماعيل .

● « آثارة » ، عنوان الأعمال الكاملة للبشير الإبراهيمي ، صدرت عن المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر .

سورية

● معرض للكتاب العربي ●

أقيم بدمشق خلال شهر صفر ١٤٠٧ هـ ، معرض للكتاب العربي في مكتبة الأسد بدمشق ، وذلك بمشاركة العديد من دور النشر المحلية والعربية .

احتوى المعرض على العديد من الكتب التراثية والكتب الجديدة التي شملت مختلف العناوين في شتى التخصصات .

الزاوية الطبية

التريكتيلا
TRECTELA

أحدث مرض في طابور الأمراض التي تنتج عن الطعام والشراب يسمى (التريكتيلا TRECTELA) والمرض الجديد عمره في الوطن العربي ١٥ سنة فقط ولم يكن معروفاً قبل ذلك وإن كان قد عرف في إنجلترا كواب عام ١٩٥٣ م ،

وفي أميركا عام ١٩٥٦ م . والمرض صغير السن وهو يهاجم كل عضلات الجسم ويسبب آلاماً شديدة .. ولا يموت إلا بالغليان لدرجة كبيرة أو بالتجميد تحت الصفر ..
وقد بدأ اكتشافه عام ١٩٥٣ م ، في إنجلترا بمدينة ليفربول حيث انتشر مرض غريب بين الناس بسبب آلاماً

شديدة في عضلات الجسم كلها ويصل إلى عضلات العين فيصيبها بانتفاخ وتورم .. وتكرر في عام ١٩٥٦ م ، في أميركا ذلك المرض ثبت أنه التريكتيلا .. وهو مرض يصيب بعض الحيوانات وعلى وجه الخصوص الفئران والخنزير . والواقع أنه يصيب الخنازير التي تغذى على القمامة التي تعيش فيها الفئران بأعداد كبيرة وهو عبارة عن دودة صغيرة

لا تكاد ترى بالعين المجردة وعندما يصل الطفيل للخنزير يتكاثر بأعداد مهولة ويستقر في العضلات وعندما يأكل الإنسان اللحم نصف نيء تدخل اليرقات لجهازه الهضمي وتمر للعضلات وتسبب الأعراض السابقة .
ويبدأ الدور الأول للمرض عندما يكون الطفيل موجوداً في أمعاء الإنسان فيسبب قيئاً وغثياناً وفقداناً للشهية ومغصاً وإسهالاً في البطن ، وتستمر هذه

الأعراض حوالي أسبوع يصحبها ارتفاع في درجة الحرارة ..
ويأتي الدور الثاني حينما تنتقل اليرقات للعضلات عن طريق الدم وتصل لعضلة القلب والحجاب الحاجز علاوة على العضلات الأخرى ويصاب المريض بالهزال وفقدان الشهية مع ارتفاع درجة الحرارة ..
ويصل الدور الثالث حينما تغطي اليرقات نفسها بأكباس وتستمر هكذا



★ محمد مهدي الجواهري ★ الشيخ صبحي الصالح ★ البشير الإبراهيمي ★

●● كتب جديدة ●●

● «الجمهرة»، مجموعة شعر الشاعر محمد مهدي الجواهري، صدرت ضمن سلسلة موسوعة الشعر العربي بدمشق عن وزارة الثقافة السورية.

● «الأفعى والراعي»، تأليف نظمية أكراد، صدر عن اتحاد الكتاب بدمشق.

● «عين الإصابة في استدراك عائشة على الصحابة»، لجلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، صدر عن دار الإيمان بدمشق.

● «رقصات الورد والجنون»، مجموعة شعرية للشاعر يوسف طافش، صدرت عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين - فرع سورية -.

● «حديث الجراح»، آخر ديوان شعر للشاعر الراحل شكري هلال، صدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.

● «شرفة علي الفاكهي»، مجموعة قصصية للقاص لبنانة بدر، صدرت عن دائرة الثقافة والإعلام بدمشق.

● «الولاية الثانية للمسرح في سورية ١٩٥٥ - ١٩٨٠ م»، تأليف جان الكسان، صدر ضمن منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق.

● «تهنئات الجفاف»، ديوان شعر للشاعر محمود السرساوي، صدر عن دار شاهين بدمشق.

● «حياة الصحابة»، تأليف الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، تحقيق نايف العباسي ومحمد علي دولة، صدر عن دار القلم بدمشق في أربعة أجزاء.

● لبنان ●

●● اغتيال صبحي الصالح ●●

انتقل إلى رحمة الله تعالى المفكر الإسلامي الدكتور صبحي الصالح، أحد أبرز رجالات الفكر في لبنان والعالم الإسلامي، ونائب رئيس المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى في لبنان، والأستاذ بالجامعة اللبنانية، وذلك على إثر اغتياله في اليوم الرابع من شهر صفر ١٤٠٧ هـ.

والدكتور الصالح من مواليد عام ١٩٢٦ م. كان رحمه الله بالإضافة إلى نشاطاته المتعددة في خدمة الإسلام قد درّس في جامعات سورية، ولبنان، والعراق، والأردن، وحاضر في عدة جامعات كأستاذ زائر، ومن ضمنها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وجامعات عربية أخرى.

وله العديد من الكتب الدينية واللغوية والأدبية والفكرية، ومن ضمنها:

★ مقاييس النقد عند المحدثين.

★ تجربة التعريب في المشرق العربي.

★ أثر الدراسات التاريخية في علوم القرآن.

كما ألقى العديد من المحاضرات في أماكن مختلفة، ولعل آخرها محاضرة ألقاها في مدينة الرباط بالمغرب في إطار الندوة التي نظمتها الأكاديمية المغربية وحضرها حشد من العلماء المسلمين، وكان عنوان المحاضرة «الحماية من القرصنة في نظر الشريعة الإسلامية».

كما كان آخر تقدير لهذا العالم الجليل أن منحه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تونس جائزتها في (التفكير

على اليرقات المتكيسة داخل العضلات.

والمرض ليس له أية مضاعفات إلا إذا وصل عضلة القلب.. عندها يصبح خطيراً جداً، إذ يصيب القلب بالضعف الشديد وقد يؤدي ذلك لمضاعفات شديدة..

ونلاحظ أن المرض قد يوجد في حالات كثيرة مصابة وتظهر عليها أعراض إكلينيكية ولا تكشف إلا مصادفة أو بعد عمل بحث

إعطاء عقار - ميتازول - Mentasol - الذي يقضي على المرض تماماً في أقل مدة ممكنة هي ثلاثة أيام..

أما إذا وصلت اليرقات للعضلات فإن العلاج يصعب لأنه يتركز على تخفيف الألم عن المريض بإعطاء المسكنات ويضطر بعض الأطباء إلى إعطاء الكورتيزون Corteson لتخفيف حدة المرض الذي يستمر عدة أشهر ولكن نلاحظ أن الكورتيزون ليس له أي تأثير

العضلات حركة مما يجذب اليرقات للسكن داخلها..

ويم الكشف عن المرض بإجراء فحص للدم لتحديد عدد كرات الدم البيضاء، أو عن طريق الفحص الميكروسكوبي لعضلات المريض.. وهي عموماً في عضلات الكتف والساكنة، والعلاج لهذا المرض ناجح بدرجة كبيرة جداً أثناء وجود الطفيل في الجهاز الهضمي ولكن هنا فقط يتم العلاج عن طريق

سنوات طويلة.. ونلاحظ أن الأشعة يمكنها اكتشاف وجودها بسهولة. ويستحيل اكتشاف المرض في دوره الأول لأن هذه الأعراض تختلط مع أعراض عمر الهضم والتسمم الغذائي ولكن يمكن معرفة المرض بعد ذلك عند تورم العين والعضلات وارتفاع درجة الحرارة ٤٠°.

وتفسير ورم العين بالذات يعود لحركة عضلة العين الدائمة وهي أكثر

كبير ومسح شامل كما حدث في إنجلترا وأمريكا حيث تستهلك كميات كبيرة من لحم الخنزير. ونلاحظ أن المرض يتركز في الوطن العربي بنسبة كبيرة في مصر ولبنان وسورية ودول المغرب العربي وسجلت دول الخليج أقل نسبة للإصابة بهذا المرض الخطير..

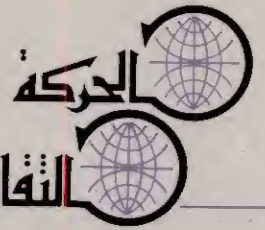
ترجمة: الدكتور بهاء لطفي قاويل الشرقية - مصر



★ د. علي صبح ★

★ عبد الله كنون ★

★ عبد الكريم نيازي ★



الثقافية في الوطن العربي

السوفييات، ترجمة حسان إسحق، صدر عن دار الكتاب الحديث ببيروت.

● «ضرورة التراث»، تأليف فكتور سحاب، صدر عن دار العلم للملايين ببيروت.

● «مالك بن نبي... مفكراً إصلاحياً»، تأليف الدكتور أسعد، صدر في بيروت.

● «مختصر تفسير ابن كثير ج ١، ج ٢»، اختصار الشيخ محمد كريم راجح، صدر عن دار المعرفة ببيروت.

● «أوضح البيان في شرح مفردات وجل القرآن»، إعداد الشيخ محمد كريم راجح، صدر عن دار المعرفة ببيروت.

المخبر

مهرجان أغادير للفنون

أقيم مهرجان عربي إفريقي للفنون الشعبية بمدينة أغادير المغربية.

شاركت فيه عدة وفود تمثل أكثر من (٢٠) دولة من العالم العربي وإفريقيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية.

وعلى هامش هذا المهرجان الأول من نوعه في هذه المدينة أقيمت عدة احتفالات ومسابقات رياضية ومعارض للفنون التشكيلية والصور الفوتوغرافية ومعارض للصناعة التقليدية.

الجدير بالذكر أن المعرض أو المهرجان قد أقيم خلال شهر صفر ١٤٠٧ هـ، الماضي.

كتب جديدة

● «الإعفاف الوجيز.. تاريخ العدوتين»، تأليف محمد بن علي، تحقيق مصطفى بوشعراء، صدر عن الحزنة العلمية بمدينة سلا.

تأليف الدكتور صلاح الدين المنجد، صدر عن دار الكتاب الجديد ببيروت.

● «أمراض القلب والشرابين»، تأليف الدكتور محمد ياسين، صدر عن دار الكتاب اللبناني ببيروت.

● «الموانئ السعودية على البحر الأحمر - دراسة في الجغرافيا الاقتصادية»، تأليف الدكتور محمد أحمد الرويثي، صدر عن مؤسسة الرسالة ببيروت.

● «مطالب المستقبل... هموم، وتساؤلات»، تأليف الدكتور قسطنطين زريق، صدر عن دار العلم للملايين ببيروت.

● «ثلاث مدن أندلسية في شعر عبد الوهاب البياتي»، دراسة أعدها الدكتور بدر مارتينز موتتابت، ترجمة الدكتور محمد عبد الله الجعيد، صدرت عن دار «أيف» للطباعة والنشر ببيروت.

● «العالم الإسلامي وقضاياها التاريخية»، تأليف الروسية بيانكا مارياسكاكا، ترجمة سمير سعد، صدر عن دار ابن خلدون ببيروت.

● «القلب في الصحة والمرض»، تأليف الدكتور سعيد الصائغ، صدر عن دار العلم للملايين ببيروت.

● «شرح خطبة الزهراء»، تأليف نزيه قبيحة، صدر عن مؤسسة الوفاء ببيروت.

● «النقد والحداثة مع دليل بيليوغرافي»، تأليف الدكتور عبد السلام المسدي، صدر عن دار الطليعة ببيروت.

● «البحث عن النقد الأدبي الجديد»، تأليف محمد ساري، صدر عن دار الحداثة ببيروت.

● «أزمة المواد الأولية في الرأسمالية المعاصرة»، تأليف مجموعة من الكتاب

الاجتهادي في الإسلام) وذلك بمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجري.

رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كتب جديدة

● «فارس العرب والقضية»، تأليف عبد الكريم نيازي، صدر في بيروت.

● «الجماعة الأوروبية: تجربة التكامل والوحدة»، تأليف الدكتور عبد المنعم سعيد، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت.

● «التعريب والقومية العربية في المغرب العربي»، تأليف الدكتورة نازلي معوض أحمد، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت.

● «الشعوب والأدب»، بقلم الدكتور خليل إبراهيم، صدر في بيروت.

● «علم الاجتماع السياسي»، تأليف توم بوتومور، ترجمة الدكتور وفيق نظمي، صدر عن دار الطليعة في بيروت.

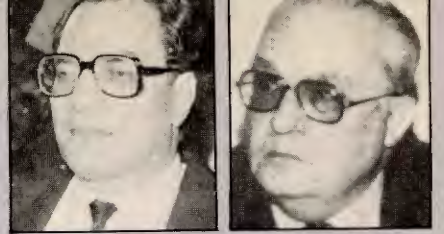
● «الوحدة الاقتصادية العربية: تجاربها وتوقعاتها»، تأليف الدكتور محمد لييب شقير، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت.

● «الرد القرآني على كتيب - هل يمكن الاعتقاد بالقرآن»، تأليف عبد الله كنون، صدر عن دار الكتاب اللبناني ببيروت.

● «دراسات في التربية الإسلامية»، إعداد الدكتور تركي راجح، صدرت عن المؤسسة الجامعية ببيروت.

● «الجهاد.. والحقوق الدولية العامة في الإسلام»، تأليف ظافر القاسمي، صدر عن دار العلم للملايين ببيروت.

● «النظم الدبلوماسية في الإسلام»،



★ ثروت أباطة ★ د. غالي شكري ★

محاضرات

- «الولاء في الإسلام»، محاضرة ألقاها الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين بجامعة الغنام بالزلفي.
- «دور الأئمة في الدعوة»، محاضرة ألقاها الدكتور عبد الله عمر نصيف بمعهد الأئمة والدعاة بمكة المكرمة.
- «ازدهار العلم في الأمة منوط بطلابه»، محاضرة ألقاها عبد الفتاح أبو غدة بنادي أبها الأدبي.
- «الصور البيانية في شعر البحري»، محاضرة ألقاها الدكتور طه أبوكرشة بنادي المدينة المنورة.
- «الحريون والمركز الوطني»، محاضرة ألقاها الدكتور محمد عبده يماني بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.
- «أسباب التغير المناخي في عصر البلايستوسين وما قبله - دراسة في الجغرافية التاريخية»، محاضرة ألقاها الدكتور طلعت أحمد عبده بكلية آداب جامعة الملك سعود.
- «القافية في الشعر العربي، وآراء النقاد حول لزومها»، محاضرة ألقاها الأستاذ علي محمد العمير بنادي المدينة المنورة الأدبي.
- «دور علماء العرب والمسلمين في العلوم التجريبية»، محاضرة ألقاها الدكتور علي عبد الله الدفاع بنادي جدة الأدبي.
- «أسطورة الموضوعية في الصحافة الغربية»، محاضرة ألقاها الدكتور عمر الخطيب بنادي الرياض الأدبي.
- «الذات وحضارة الآخر»، محاضرة ألقاها الدكتور سعد البازعي بفرع جمعية الثقافة والفنون بجدة.

★ ★ ★

تونس

- كتب جديدة
- «الثقافة العربية في تونس»، تأليف الدكتور غالي شكري، صدر في تونس.

الإمارات العربية

- معرض للكتاب
- أقامت اللجنة الثقافية بنادي رأس الخيمة الثقافي الرياضي معرضاً للكتاب، وذلك خلال شهر صفر ١٤٠٧ هـ.
- شارك في المعرض بعض دور النشر المحلية، بالإضافة إلى مكتبات خاصة، وبلغت العروض أكثر من ثلاثة آلاف كتاب في مختلف التخصصات.

طبعته الثانية عن دار الموقف العربي بالقاهرة.

- «دراسة إسلامية في العمل والعمال»، تأليف لييب السعيد، صدرت في كتاب بالقاهرة ضمن سلسلة «قضايا إسلامية».

- «لغة الكيمياء عند الكائنات الحية»، تأليف الدكتور أحمد مدحت إسلام، صدر في القاهرة.

- «الحب رمياً بالرصاص»، مجموعة قصصية للقااص العراقي عبد الستار ناصر، صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلسلة «الإبداع العربي».

- «هذا زمانك»، ديوان شعر للشاعر الدكتور أسامة عبد الرحمن، صدر في القاهرة.

- «أنوال»، مسرحية شعرية للشاعر محمد الحلوي، صدرت عن شركة الطبع والنشر بالدار البيضاء.
- «فيضان الثلج»، ديوان شعر للشاعر حمد المسبح، صدر عن دار قرطبة بالدار البيضاء.

الكويت

● معرض للكتاب العربي ●

في السابع عشر من هذا الشهر وحتى السادس والعشرين منه يقام معرض الكتاب العربي الثاني عشر، حيث سيشارك فيه العديد من دور النشر المحلية والعربية، وستعرض فيه العديد من الكتب القديمة والحديثة في مختلف التخصصات.

● كتب جديدة ●

- «الحكايات الشعبية الكويتية - دراسة مقارنة»، بقلم صفوت كمال، صدر عن وزارة الإعلام الكويتية.

مصر

● كتب جديدة ●

- «عمود الشعر عند الأمدي»، تأليف الدكتور علي صبح، صدر في القاهرة.
- «بناء النص التراثي»، بقلم الدكتورة فدوى مالطي دوجلاس، صدر عن الهيئة العامة للكتاب بمصر ضمن سلسلة «دراسات أدبية».
- «النهر لا يحترق»، رواية للكاتب ثروت أباطة، صدرت في القاهرة.
- «الوفاق الدولي والأمن القومي العربي»، تأليف حسن طوالة، صدر في

قطر

المهرجان الثاني للفنون الشعبية

أقيم في الدوحة المهرجان الثاني للفنون الشعبية لشباب الخليج العربي، وذلك خلال الفترة الواقعة بين ١٥ و ١٩ من شهر صفر ١٤٠٧ هـ، الماضي.

أقيمت في هذا المهرجان العروض الشعبية والمعارض التشكيلية، ومعارض النادى العلمي، وبمشاركة مندوبين من دول الخليج.

الأردن

دار نشر أردنية

يهدف النهوض بواقع الحركة الثقافية في الأردن، وتعزيز الصلات الثقافية بين الكتاب والنشرين العرب، والتعريف بالثقافة العربية، فقد قررت الحكومة الأردنية إنشاء دار نشر أردنية لهذا الغرض.

المعروف أن الكتاب الأردني يعاني من محدودية الانتشار، الأمر الذي سوف تحقق هذه السدار الكثير من المزايا وعلى رأسها انتشاره وتوزيعه في الساحة العربية.

كتب جديدة

● احتفال الشبابيك بالعاصفة، ديوان شعر للشاعر عمر شبانة، صدر عن رابطة الكتاب الأردنيين بعمّان.

فلسطين

كتب جديدة

● لكي نحرث الأرض، بقلم الكاتب الفلسطيني شفيق الحوت، صدر عن دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت.

ألمانيا

فوز باحث سعودي

حصل البحث الذي تقدم به الدكتور السعودي سعد اليوسف، وهو استشاري أمراض قلب الأطفال بالمستشفى العسكري بالرياض على المركز الأول في مجال أمراض القلب. وكان الدكتور اليوسف قد تقدم به إلى المؤتمر الألماني الذي عقد في مدينة «آخن» الألمانية خلال الخامس والعشرين والسادس والعشرين من شهر محرم ١٤٠٧ هـ، الماضي، هذا المؤتمر الذي اشترك فيه ٥٠٠ طبيب قلب أطفال من (١٢) دولة. هذا وقد تناول البحث «طريقة توسعة ضيق مضاعف للوريدين الأجوفين العلوي والسفلي، وذلك باستخدام البالونة المزدوجة دون الحاجة إلى عملية جراحية».

والجدير بالذكر أن الملكة قد شاركت في هذا المؤتمر بثلاثة محاور تناولت تشخيص وعلاج أمراض قلب الأطفال في المستشفى العسكري بالرياض.

وتقديراً للدكتور اليوسف فقد وافقت الأكاديمية الألمانية لقلب الأطفال التي تعد من أبرز الأكاديميات العلمية في هذا المجال، وافقت على عضويته كأحد أعضاء هذه الأكاديمية التي لا يتولى هذا المركز فيها إلا من برز في مجال عمله على مستوى العالم.

معرض عن فن العاج

أقيم في العاصمة الألمانية (بون) معرض حول آثار مصر القديمة تحت عنوان «فن العاج في مصر القديمة»، وذلك في مدينة «إيرباخ» في منطقة (أودنغالد) القريبة من مدينة فرانكفورت التي تضم متحفاً هو الوحيد من نوعه في العالم، هو متحف «العاج الألماني»، حيث تم الاحتفال بالذكرى العشرين

على إنشائه، وبعمر مائتي سنة على تأسيس فن حفر العاج وتصنيعه في هذه المدينة. الجدير بالذكر أن المعرض سيستمر حتى نهاية هذا الشهر (ديسمبر) كانون الأول (١٩٨٦ م).

معرض دولي للكتاب

أقيم في مدينة فرانكفورت المعرض الدولي الثامن والثلاثون للكتاب وذلك خلال شهر أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٦ م. شارك في هذا المعرض الذي يقام سنوياً العديد من دور النشر العالمية، وعرضت فيه أحدث العناوين في مجال التأليف وفي مختلف التخصصات.

صحيفة جديدة

صدر في الأسواق البريطانية العدد الأول من صحيفة «ذي انديبنندنت» حيث طبع منه أكثر من (٦٣٠) ألف نسخة في أربعة مراكز إقليمية.

ويعمل في هذه الصحيفة الجديدة حوالي ٣٥٥ شخصاً يستعملون أحدث الأجهزة التكنولوجية. وتتكون من ٣٢ صفحة تشتمل على أبواب متنوعة، منها الأخبار المحلية والتقارير الخارجية وصفحات الأدب والفن.

أحدث الكتب

● «البراءة»، رواية بقلم بيتلوب فيتز جيرالد، صدرت في لندن.
● «هكذا قال الصياد»، رواية الكاتب البريطاني المسلم المتوفى عام ١٩٣٦ م، مارمادوك بكتول، صدرت حديثاً عن دار النشر كوارتيت اللندنية.
● «مارمادوك بكتول»، تأليف بيتر

رسائل جامعية

- ● «الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها السيد عبد الله بن صالح العريفي.
- ● «دراسة دوائية مقارنة بين سم الشعابين (بيتس ارتيسانس) الأفعى النافثة، و (بيتس جابونيكا) أفعى الجابون»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الصيدلة بجامعة الملك سعود بالرياض، تقدم بها السيد محمد سليمان الأحيدب.
- ● «الفوائد المصورة في شرح المقصورة»، تأليف محمد بن أحمد بن هشام اللخمي السبتي المتوفى سنة ٥٧٧هـ، دراسة وتحقيق محمد حامد خلف، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية الآداب بالرياض.
- ● «اتجاهات وقضايا النقد العربي في القرن الرابع الهجري ومدى تأثيرها بالقرآن الكريم»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالمعهد الوطني للتعليم العالي في باتنة بالجزائر، تقدم بها السيد الطاهر حليس.

وأسلوب العلاج وإرشادات خاصة بالمعالجة الشعاعية»، تأليف تشارلز سكارانتينو، صدر عن شركة سبرينجر فيرلاج للنشر بنيويورك.

● «المدارس الطبية الحديثة والمستحدثة من منتصف القرن الحالي حتى أعوام الثمانينات»، تحليل للتطورات التي طرأت على مدارس تخريج الأطباء»، تأليف ر. شوفيلد، صدر عن شركة خوسيه باس للنشر في سان فرانسيسكو.

السنغال

● ● اللغة العربية والمدارس ● ●

ضمن الاهتمام المتزايد بلغة القرآن الكريم «اللغة العربية» دولياً وعالمياً، تعترم وزارة التربية الوطنية في السنغال إعطاء تعليم اللغة العربية نفس الأهمية التي تحظى بها اللغات الإنجليزية والألمانية، وذلك بتعليمها لأبناء المدارس في البرنامج العام.

ولهذا فقد تقرر إيفاد خمسين طالباً إلى موريتانيا لتعلم اللغة العربية، كما وافقت موريتانيا بدورها على إرسال أساتذة لتعليم العربية في

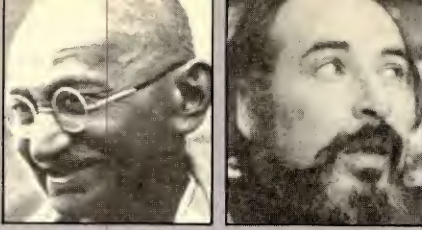
- «الإفريقيون»، تأليف علي مزروي، صدر عن شركة كتب بي. بي. سي. سي.
- «مباراة القرن: المباراة الثالثة بين كاسباروف وكاربوف»، تأليف ريموند كين ودافيد جودمان، صدر عن شركة جون بارتولوميو.

أمريكا

● ● أحدث الكتب ● ●

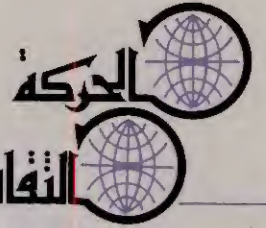
- «جنوب إفريقيا - الزمن بدأ ينضب»، دراسة أعدتها لجنة مكونة من عدة خبراء، صدرت في طبعها الثانية عن جامعة كاليفورنيا.
- «مدخل للأدب الفيتنامي»، تأليف مجموعة من الباحثين، صدر عن جامعة كولومبيا.
- «ابيضاض الدم «الليوكيميا» الحاد والمزمن عند الكبار»، تأليف كلارا بلومفيلد وويليام مك غوير، صدر عن شركة مارتيناس نيجوف للنشر.
- «سرطان الرئة: طرق التشخيص

- كلارك، صدر عن كوارتيت اللندنية.
- «تقنيات وأعمال تحويل الخشب»، تأليف بروس تولتير، صدر عن شركة أرجوس بوكس.
- «حروب البحار بين عامي ١٩٣٩ - ١٩٤٥»، تأليف جوناثان جريمود، صدر عن مطبعة بلاند فورد.
- «الجيش السوفياتي منذ عام ١٩١٨م، وحتى الآن»، تأليف ألبرت وجوان سيتون، صدر عن شركة بودلي هيد.
- «زيارة إلى كينيا»، تأليف جون بريجدين، صدر عن شركة باتسفورد.
- «صور من البيرو»، تأليف طوني هوتشكينز وديلوين جينكينز، صدر عن شركة بيل وهامان.
- «مزروعات الحدائق»، تأليف روي لانكستر، صدر عن شركة بيل وهامان.
- «الصين والقوى العظمى»، تأليف روي مادفديف، صدر عن شركة بازيل بلاكويل.
- «جورباتشوف»، تأليف زورس مادفديف، صدر عن شركة بازيل بلاكويل.
- «تروتسكي: سيرة حياة»، تأليف دافيد كينج، صدر عن شركة بازيل بلاكويل.
- «الأميريكيون في باريس: الرسامون والأدباء الأميركيون الذين تأثروا بالثقافة الفرنسية»، تأليف همفري كاريينتز، صدر عن شركة ألن - وأنوين بلندن.
- «الأيام الأخيرة للرايح»، تأليف جيمس لوكاس، صدر عن شركة آدمز أند آرمر.
- «علاج الحساسية الغذائية»، تأليف جويان دافيس، صدر ضمن مطبوعات أوارد.



★ المهاتما غاندي ★

★ الطاهر بن جلون ★



الثقافية في العالم

المعهد العربي الفرنسي بمدينة لوبيا
السنغالية.

فرنسا

أحدث الكتب

● «طفل في الرمال»، رواية للكاتب
المغربي الطاهر بن جلون، صدرت في
باريس.

● «العالم العربي والمرأة»، بقلم
الكاتبة المغربية غيتا الخياط، صدر في
باريس عن دار لامارتين.

الصين

موسوعة عن الزهور

يعكف (٨٠) عالماً وخبيراً صينياً من
المتخصصين بزهور الحدائق على تأليف وإعداد
موسوعة علمية حول الزهور في الصين،
حيث ستضمن التعريف بأكثر من (١٧٠٠) نوع
من الزهور من حيث أسمائها وتصنيفاتها العلمية
وتاريخ زراعتها، وصفاتها المميزة من النواحي
البيئية والتشريبية، وقيمتها الجمالية والاقتصادية.
كما ستضمن رسوماً وصوراً لأنواع من الزهور
التي ستناولها الموسوعة.

كندا

أحدث الكتب

● «البريطانيون»، تأليف ستيفن
هاندلمان، صدر عن شركة كوليز.

● «مدن كندا الكبرى»، تأليف ايلما
سكيمينور، صدر عن شركة سيلفر
بورديت.

● «الحساسية والأطفال»، تأليف

مجموعة من الأطباء، صدر عن مطبعة
كيدس كان.

● «حيوانات القطب الشمالي»، تأليف
وتصوير فريد برومير، صدر عن شركة مك
كلياند وستيوارت.

● «القذافي»، تأليف هاري
جريجوري، صدر عن شركة بيير جاكس.
● «السياسات في كندا: الثقافة
والتنظيمات الاجتماعية والأمن الوطني»،
تأليف جاكسون، صدر عن شركة برينتيس
هول.

● «كندا والعالم: أطلس جغرافي
ويشري»، تأليف جيوفري ماثيوس وروبرت
مورو، صدر عن شركة برينتيس هول.
● «رحلة إلى عالم الحيتان»، تأليف
هال وايتيد، صدر عن شركة ستودارت.

أستراليا

أحدث الكتب

● «عالم الأديان»، تأليف ماكس
تشارلز وورث وروبرت اينجين، صدر عن
شركة هيل أوف كونتينت.

● «علاقاتنا بالأطفال»، تأليف
الدكتور شيلي فيليبس، صدر عن مطبعة
كانجارو.

● «ماركوس: السقوط»، تأليف جون
ليونز وكارل ويلسون، صدر عن شركة
كانجارو.

● «موسوعة السراخس»، تأليف
دافيد جونز، صدر عن شركة لوثيان
يوكس.

● «المخترعون»، تأليف جيوفري
دوتون، صدر عن ماكميلان.

● «التاريخ القصير لأستراليا»، تأليف
مانينغ كلارك، صدر عن شركة ميد
وبيكيت.

● «عالم الأعماق والشعاب
المرجانية»، تأليف روجر ستين، صدر عن
شركة ميد وبيكيت.

● «كتاب بنجوين حول شاعرات
أستراليا»، تأليف سوزان هامبتون وكيث
ليولين، صدر عن شركة بنجوين.

● «دراسة السكان»، تأليف ميسيل
وآل، صدر عن مطبعة بيرجامون.

● «المحدرات في أستراليا»، تأليف
براون وآل، صدر عن مطبعة الجامعة
الوطنية الأسترالية.

● «فهم الجسم البشري»، تأليف
ر. و. ا. تيودور، صدر عن شركة بيتان.

● «الفرانكوفونية: المنظمات
والتعاون»، تأليف ويليام بوستوك، صدر
عن شركة مطبوعات ريفر سين.

الهند

أحدث الكتب

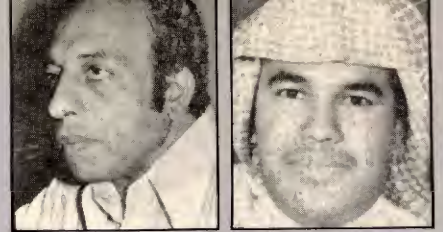
● «أهم خصائص تاريخ وثقافة
آسيا»، تأليف أوياندرا تاكور، صدر ضمن
مطبوعات أبيناف.

● «التقارب الكبير: دراسة الأدب
الهندي - الأمريكي والعلاقات
الثقافية»، تأليف ر. جويتا، صدر ضمن
مطبوعات أبيناف.

● «دور الأقليات في الكفاح
التحرري»، تأليف أسغار علي، صدر عن
شركة كتب أجاتنا.

● «الهند منذ الاستقلال: دراسات
حول تطور قوة وإمكانات الدولة»، تأليف
ت. ساتيامورتى، صدر عن شركة كتب
أجاتنا.

● «الدولة وسياساتها في الهند
العصرية»، تأليف موين شاكير، صدر عن
شركة كتب أجاتنا.



★ أحمد بهجت ★

★ فاروق باسلامة ★

أخبار العدد

السعودية

●● كتب جديدة ●●

● «فائدة من كتاب»، إعداد فاروق باسلامة، سيصدر عن الدار السعودية للنشر والتوزيع بجدة.

● «آخر رسالة إليها»، ديوان شعر للشاعر إبراهيم أبو عجمية، سيصدر عن فرع جمعية الثقافة والفنون بأبها.

مصر

●● كتب جديدة ●●

● «من أوراق شاب كان يعيش طويلاً»، ديوان شعر للشاعر الدكتور أحمد عبد الرحمن الشرقاوي، سيصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● «حوار بين طفل ساذج وقط مثقف»، تأليف أحمد بهجت، سيصدر عن دار الأهرام.

● «قصص القرآن»، كتاب للأطفال، تأليف أحمد بهجت، سيصدر عن دار الأهرام.

العراق

●● كتب جديدة ●●

● «الفكر الحر في القرن التاسع عشر»، سيصدر مترجماً في العراق إلى العربية بترجمة يوسف ثروة.

المغرب

●● كتب جديدة ●●

● «العصارة الخالدة»، جمع وتأليف نور الدين موهدي، سيصدر في المغرب.

سورية

●● كتب جديدة ●●

● «المجوهرات في عيون من أشعاره»، مختارات من دواوين الجواهري الخمسة، سيصدر عن وزارة الثقافة السورية.

أمريكا

●● أحدث الكتب ●●

● «أدب الجزيرة العربية»، مجلد ضخيم، سيصدر عن مؤسسة (يروتا) للثقافة العربية.

● «مذكرات بوسي»، تأليف لويس أوشتنكلوس، سيصدر في نيويورك.

● «دراسة مفصلة للهند القديمة»، تأليف بونجارد ليفين، صدر عن شركة كتب أجاتنا.

● «الطائفية في الهند»، تأليف أسغار علي، صدر عن شركة كتب أجاتنا.

● «قافلة الألم: قصائد فيض أحمد فيض»، بقلم خالد حسن، صدر عن مطبوعات الأيد.

● «الفلسفة الهندية»، تأليف نيلما شاكرافارتي، صدر عن مطبوعات الأيد.

● «اليوجا: مبادئ الممارسة والفوائد الصحية»، تأليف جيتا ليننجر، صدر عن مطبوعات الأيد.

● «المهاثما غاندي»، تأليف شانجار غوز، صدر عن مطبوعات الأيد.

● «آفاق التنمية الدولية»، تأليف مكى متو وا، صدر عن مطبوعات الأيد.

● «تطور الفكر السياسي الإسلامي في الهند»، تأليف أ. زايدي، صدر عن شركة س. شاند.

أيرلندا

●● أحدث الكتب ●●

عن مطبعة ابليتي صدرت الكتب التالية:
★ «أيرلندا: الدليل السياحي والجغرافي».

★ «أين تذهب في أيرلندا»، صدر ضمن سلسلة كتاب الجيب.

★ «انطباعات عن دبلن»، دليل مصور عن العاصمة دبلن.

★ «دليل الطيور الأيرلندية»، تأليف جوردون داركي.

● «مائة من العظماء الأمريكيين ذوي الأصل الأيرلندي»، تأليف باتريك جالاجير، صدر عن شركة رينبو.



«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح أمام القارئ آفاقاً أوسع وأرحب وأبعد مدى» .

ويسألونك عن المرأة

تأليف عبد الحافظ عبد محمد الكبيسي . تناول فيه معالجة الكثير من قضايا المرأة في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية ومن خلال استعراض النصوص الثابتة واجتهاد العلماء . يقع الكتاب في (٢٥٦) صفحة من القطع المتوسط . طبع في مطابع ثنيان - بغداد .

مرافعة في الوطن المحتل

مجموعة شعرية للشاعر مصطفى عبد الكريم الغدير ، عكس من خلالها انفعالاته من خلال معاشته لجراحات المناضلين من أبناء الأرض المحتلة . طبع الكتاب بمطبعة الفيصل بسورية ، ويقع في (٨٦) صفحة من القطع الصغير .

مواويل شتائية

تأليف الشاعر إبراهيم سعيد أبو صيام . يضم الديوان مجموعة شعرية تعكس

هموم وتطلعات الشعب الفلسطيني وهو يخوض كفاحه لاسترداد الأرض وبناء الغد الزاهر . صدر الكتاب عن دار شركة مطابع نجد التجارية بالرياض ، ويقع في (١٥٢) صفحة من القطع الصغير .

كل ما تريد أن تعرفه عن مرض نقص المناعة المكتسبة «ايدز»

تأليف الدكتور حرب عطا المهري . تناول فيه التعريف بمرض نقص المناعة المكتسبة ، مبيناً تاريخ اكتشافه وخطورته ، مع توضيح أسباب انتشاره . صدر الكتاب ضمن مطبوعات تهامة ، ويقع في (١٢٦) صفحة من القطع الصغير .

الابتسام في الأيام الصعبة

مجموعة قصص قصيرة تأليف الأستاذ فاضل السباعي . تتميز بأسلوبها الواقعي وصورها المعبرة في نقل

مشاهد من صميم الحياة والواقع . صدر الكتاب عن الشركة التونسية للتوزيع ، ويقع في (١٣٦) صفحة من القطع الصغير .

مذنب هالي عبر التاريخ العربي

كتيب من تأليف الأستاذ محمد عبد الفتاح أبو غدة . يضم بحثاً عن فترات ظهور مذنب هالي عبر التاريخ العربي الإسلامي من خلال ما جاء في كتابات المؤرخين المسلمين ، وذلك ابتداءً بعام ٦٠٧ الميلادي . يقع الكتيب في (٦٦) صفحة من القطع الصغير وصدر برقم [٤٧] ضمن سلسلة «المكتبة الصغيرة» التي تصدرها دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض .

تاريخ فاتح العالم جهانكشاي

تأليف عطا ملك الجويني حاكم بغداد بعد هولاكو ، وقد

نقله عن الفارسية الدكتور محمد التوجي الأستاذ بجامعة حلب . تقع الترجمة في مجلدين ويتناول الكتاب تاريخ المغول والخوارزميين والإسماعيلية برواية شاهد عيان ومستمع مباشر عن الثقات ، حيث إن المؤلف من الشخصيات البارزة في عصر المغول ، صدر الكتاب عن دار الملاح للطباعة والنشر .

التراث الثقافي للأجناس البشرية في إفريقيا بين الأصالة والتجديد

تأليف الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خفر . يتناول الكتاب دراسة الجغرافية البشرية للشعوب الإفريقية وتراثها الثقافي ، حيث يتحدث عن الفنون الإفريقية وأصالتها واللغات الإفريقية ودورها الثقافي ، وكذلك العادات والتقاليد ودور الجهود الإسلامية في تحرير الشعوب الإفريقية من الأساطير والخرافات التي تكتنفها . صدر الكتاب ضمن إصدارات النادي الأدبي الثقافي بمكة ، ويقع في (٢٢٨) صفحة من القطع الصغير .

من كتاب هذا العدد



كمال عبد الكريم الوحيدي

- ★ من مواليد غزة - فلسطين عام ١٩٣٢ م .
- ★ ليسانس آداب .
- ★ يجيد الإنجليزية وثنياً من الفرنسية والعبرية .
- ★ عمل في حقل التدريس .
- ★ يعمل حالياً أميناً لمكتبة في إحدى المدارس في الدوحة - قطر .
- ★ صدرت له ثلاثة دواوين شعرية ، وله دواوين أخرى ومسرحيات ومجموعات قصصية وبحوث تحت الطبع .



د. سلوى علي سليم

- ★ من مواليد القاهرة - مصر عام ١٩٤٧ م .
- ★ دكتوراه علم اجتماع .
- ★ تعمل مدرسة لعلم الاجتماع الديني في كلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر - فرع البنات .
- ★ لها كتاب « الإسلام والضغط الاجتماعي » صدر عام ١٩٨٥ م .



د. عبد الحكيم عامر

- ★ من مواليد حلب - سورية عام ١٩٢٧ م .
- ★ دكتوراه في الطب - جامعة بوسطن - أميركا .
- ★ يجيد الإنجليزية وثنياً من الفرنسية والألمانية .
- ★ شارك في عدد من المؤتمرات الطبية المتخصصة بالجراحة .
- ★ يعمل حالياً طبيباً جراحاً في عيادته الخاصة .
- ★ له عدد من المقالات الطبية بالعربية والإنجليزية ، وسيصدر له كتاب طبي بالإنجليزية .



محمد بن علي العلوي

- ★ من مواليد فاس - المغرب ١٣٤٠ هـ .
- ★ الكفاءة في التعليم الابتدائي .
- ★ عمل في حقل التدريس الابتدائي مدة ٣٢ عاماً ، وهو الآن متقاعد .
- ★ له ديوان شعر ومجموعة قصص وبعض المقالات لم تطبع .
- ★ نشر أعماله في مجلات وبواسطة الإذاعة والتلفاز .

- ★ يعمل حالياً في إحدى اللجان الثقافية بإحدى الشركات .



إبراهيم فهمي

- ★ مسابقة نادي القصة .
- ★ نشر أعماله بالصحف والمجلات المحلية والعربية .
- ★ له تحت الطبع مجموعة قصصية .

- ★ من مواليد مصر .
- ★ طالب ليسانس حقوق .
- ★ حصل على جائزتين في

٣	كاريكاتير
٤	تاريخ الحضارة في العراق (في بلاد الله)
١٢	حياة الماساي .. مهرجان دائم (من عادات الشعوب)
١٩	من ديوان الشعر السعودي (سهماء)
٢٠	و.. للحديث شجون
٢٢	علوم اللغة في القرن العشرين
٢٤	الدولة .. في التاريخ
٢٩	حليمة (قصيدة)
٣٠	نحن .. والطوطمية
٣٤	عذر تلميذ (قصيدة)
٣٥	د. سعد دعبيس (لقاء مع)
٣٨	نذاء (قصيدة)
٣٩	من غرائب المعتقدات
٤٢	التحريف في بعض أوزان الشعر القديم
٤٤	بدايات (الغراث)
٤٥	من المكتبة السعودية
٥٠	وكان الحلم في أمس سرايا (قصيدة)
٥١	مع الهجرة إلى الحبشة
٥٨	أيام وأحلام (قصيدة)
٦٠	المستقبل في الأدب الروائي العالمي
٦٣	الاتجاه السلوكي في علم النفس
٦٧	الأوبئة في تاريخ البشرية (رحلة في كتاب)
٧٠	تأليف: جان روفاي وجون باريك سورنيا
٧٥	أبواب للريح والشمس (مطالعات في الكتب)
٨٤	تأليف: عبد الله عبد الرحمن الجفري
٨٥	الغواصة (موضوع خاص)
٨٦	ذكريات صغيرة (قصيدة)
٨٨	إيقاع الحياة (هذه القروء نائمة)
٩٠	اكتشافات علمية
٩٢	حلم شرقي (لوحة وفنان)
٩٥	العدسات اللاصقة
١٠٣	المولوجرافي .. أو تصوير كل شيء
١٠٧	مدرسة الديوان وأثرها في الشعر والنقد
١١١	وظائف اللغة عند رومان جاكوبسون
١١٥	نحات جديدة من حياة سيمون دي بوفوار
١١٦	شعر الأطفال .. ومئة عام على ميلاد المراهوي
١١٨	الأحقى (قصة قصيرة)
١٢٠	نهر من الفضة (قصة قصيرة)
١٢٣	الدخول في تفاصيل حلم لا ينتهي (قصة قصيرة)
١٢٦	أغنية نوبية للهجرة الأخيرة (قصة قصيرة)
١٢٧	التيسير في المداواة والتدبير (من كتب التراث)
١٣١	تأليف: أبي مروان عبد الملك بن زهر
١٣٥	قرية الخمل (قصيدة)
١٣٦	في علوم الأرض (دائرة المعارف)
١٣٩	مناقشات وتعليقات
١٤٠	ردود قصيرة
١٤١	مسابقة مجلة الفيصل
١٤٢	المركبة الثقافية في شهر
١٤٣	كتب وردت إلى المجلة
١٤٤	من كتاب هذا العدد



●● في دراسة التاريخ .. وخاصة تاريخ بلاد الرافدين «العراق» في الأحقاب القديمة .. نستطيع أن نلمس مدى عراقية وعغى الحضارة التي كانت موجودة فيها .. حضارة يعود تاريخها إلى ألف سنة قبل الميلاد . طالع ص (٤) .



●● «الطوطمية»: فكرة دينية، تتركز فيها الأشياء المقدسة للجماعة، وفيها تتجسد قوة خارقة، تجعله قادراً - لدى من يعتنقها - على تجسيد القداسة بمظهر مادي . طالع ص (٣٠) .



●● تعددت أصوات النقاد العرب، وباتى الدكتور «سعد أحمد دعبيس»، واحداً من الأصوات الداعية إلى الإبداع في الأدب، وإلى إيجاد نظرية عربية تتفق وإبداعاتنا المعاصرة . طالع «لقاء معه» على الصفحة (٣٥) .

الفصل

ALFAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية MONTHLY CULTURAL MAGAZINE

PUBLISHED BY
AL-FAISAL
CULTURAL HOUSE

تصدر عن
دار الفصل
الثقافية

ISSUE 117 - 10TH YEAR - NOV./DEC. 1986.

العدد (١١٧) - ربيع الأول ١٤٠٧ هـ - السنة العاشرة - تشرين الثاني (نوفمبر) / كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٦ م.

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

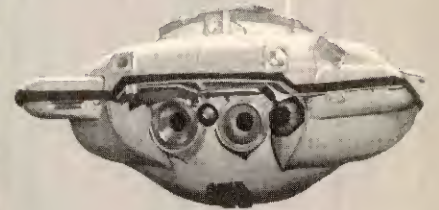
ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

عدد •• في هذا العدد ••

•• من «غرائب المعتقدات»: في «إفريقيا»: نسمع العجائب في عبادات الوثنيين. وفي «روسيا»: نلمس أن الشيوعيين اعتبروا المادة كل شيء.. وفي «نيبال»: يعبد الهندوس «البقرة».. وجزء من يقتلها السجن «مدى الحياة»! طالع ص (٣٩).

•• لماذا تسبب «بعض الجراثيم» أمراضاً معدية في جسم الإنسان؟
لماذا اختفت - تقريباً - معظم أمراض الماضي المعدية، مثل «الطاعون» و«الجذري»؟
هل بإمكان هذه الأمراض أن تعود ثانية.. وهل نخشى من ظهور أوبئة جديدة؟ طالع ص (٦٧).



•• «الفواصة».. ما هي؟
الفواصة.. كيف تعمل؟
الفواصة.. والبحر، والعلم، والحرب.
الفواصة.. حجمها.. وزنها.. بناؤها. طالع ص (٧٥).



•• في إنجلترا.. حوالي المليون شخص من سكانها يعتمدون على «العدسات اللاصقة».. لماذا؟
إذا كنت تفكر في استخدام هذه العدسات.. فإليك كل ما تحتاجه من معرفة عنها. طالع ص (٩٠).

All Correspondence To:

AL-FAISAL MAGAZINE

P.O. BOX 3

RIYADH 11411-Saudi Arabia

Tel: 4653026-4653027, TELEX 202600 DRFATHSJ

المراسلات:

مجلة الفصل - ص. ب (٣)

الرياض ١١٤١١. المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧

تلكس: ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨	ريال	الأردن	٤٠٠	فلس	تونس	٥٠٠	مليم
الكويت	٦٠٠	فلس	ج.ع.ع. الجنية	٦	ريال	الجزائر	٥	دينار
الإمارات العربية المتحدة	٧	درهم	ج.البحرين الديمقراطية الشعبية	٨٠٠	فلس	العراق	٤٠٠	فلس
قطر	٦	ريال	مصر	٥٠	قرشاً	سورية	٥	ليرة
البحرين	٥٠٠	فلس	السودان	٥٠	قرشاً	لبنان	٥	ليرة
سلطنة عمان	٦٠٠	بنة	المغرب	٥	دراهم	ليبيا	٨٠٠	درهم

EUROPE - AMERICA - ASIA

Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	12	U.S.A.	\$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	Dr	100	Spain	PTS	150			

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S.R. 150 Others S.R. 250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

•• أسعار الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ ريال سعودي لغیر الأفراد ٢٥٠ ريال سعودي

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفصل

الإدارة العامة وتوزيع مجلة فصل الرياض فرع مكتب الصحف فرع الدمام فرع أبها مكتب التوزيع مكتب حائل

ص.ب: ١١٤١١ هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ (١٠ خطوطاً) ٢٠٢٦٠٠ تلكس: DRFATH SJ

مكتب الدعاية العامة مكتب العلاقات العامة مكتب التوزيع مكتب حائل مكتب الدمام فرع أبها مكتب التوزيع مكتب حائل

٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ (١٠ خطوطاً) ٢٠٢٦٠٠ تلكس: DRFATH SJ

لترتيب الاشتراكات

تهامة

للإعلان والعلاقات العامة وأبحاث التسويق

.. لغة الرسم .. لغة الرسم .. لغة الرسم .. لغة الرسم .. لغة الرسم .. لغة الرسم ..

●● لعبة الأمم ●●

